المجالس السَّنيّة

في

مناقب ومصائب العترة النبويّة

تأليف :

المجتهد الأكبر السيّد محسن الأمين رضوان الله عليه

- الجزء الثالث -

الطبعة الخامسة

1394 ه - 1974 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

وبعد : فهذا هو الجزء الثالث من كتاب : ( المجالس السَّنيّة ) في ذكرى مصائب ومناقب العترة النبويّة ، تأليف أفقر العباد إلى عفو ربّه الغني ، محسن ابن المرحوم السيّد عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي نزيل دمشق ، عفا الله عن جرائمه ، وحشره مع محمّد وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المجلس الرابع والأربعون بعد المئة

روى المسعودي في مروج الذهب ، بسنده عن المنذر بن الجارود قال : لـمّا قدم علي (عليه‌السلام) البصرة خرجت أنظر إليه ، فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب ، عليه قلنسوة وثياب بيض متقلّد سيفاً ومعه راية ، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصُّفرة ، مدجّجين في الحديد والسّلاح ، فقلت : مَن هذا ؟ فقيل : أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وهؤلاء الأنصار وغيرهم. ثمّ تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض ، متقلّد سيفاً متنكّب قوساً ، معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس ، فقلت : مَن هذا ؟ فقيل : هذا خُزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين. ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس كميت ، معمّم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء ، وعليه قباء أبيض مصقول ، متقلّد سيفاً متنكّب قوساً في نحو ألف فارس من النّاس ومعه راية ، فقلت : مَن هذا ؟ فقيل لي : أبو قتادة بن ربعي الأنصاري.

ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس أشهب ، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه ، شديد الأدمة ، عليه سكينة ووقار ، رافع صوته بقراءة القرآن ، متقلّد سيفاً متنكّب قوساً ، معه راية بيضاء في ألف من النّاس مختلفي التيجان ، حوله مشيخة وكهول وشباب كأنّ قد اُوقفوا للحساب ، أثر السّجود قد أثّر في جباههم ، فقلت : مَن هذا ؟ فقيل : عمّار بن ياسر في عدّة من الصحابة ؛ من المهاجرين والأنصار وأبنائهم. ثمّ مرّ بنا فارس على فرس أشقر ، عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء ، متنكّب قوساً متقلّد سيفاً ، تخطّ رجلاه في الأرض في ألف من النّاس ، الغالب على تيجانهم الصُّفرة والبياض ، معه راية خضراء ، فقلت : مَن

هذا ؟ قيل : هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان. ثمّ مرّ بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه ، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء ، قلت : مَن هذا ؟ قيل : هو عبد الله بن العبّاس في عدة من أصحاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). ثمّ تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه النّاس بالأوّلين ، قلت : مَن هذا ؟ قيل : قثم بن العبّاس. ثمّ أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً واشتبكت الرماح ، ثمّ ورد موكب فيه خلق من النّاس عليهم السّلاح والحديد ، مختلفو الرايات ، كأنّما على رؤوسهم الطير ، يقدمهم رجل كأنّما كُسر وجُبر - قال : وهذه صفة رجل شديد الساعدين ، كذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنّه : كُسر وجُبر - نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق ، وعن يمينه شاب حسن الوجه ، وعن شماله شاب حسن الوجه ، قلت مَن هؤلاء ؟ قيل : هذا علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ، وهذان الحسن والحسين (عليهما‌السلام) عن يمينه وشماله ، وهذا محمّد بن الحنفيّة بين يديه معه الراية العظمى ، وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (عليه‌السلام) ، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم ، وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

فساروا حتّى نزلوا الموضع المعروف بـ ( الزاوية ) ، فصلّى علي (عليه‌السلام) أربع ركعات وعفّر خديه على التربة - وقد خالط ذلك دموعه - ثمّ رفع يديه يدعو ، فقال : (( اللهمّ ، ربّ السّماوات وما أظلّت ، والأرضين وما أقلّت ، وربّ العرش العظيم ، هذه البصرة أسألك من خيرها ، وأعوذ بك من شرّها )).

هذا دخول علي (عليه‌السلام) البصرة من أرض العراق كما وصفه المنذر بن الجارود ، بما فيه من الجلالة والعظمة ، ولا يقتصر عنه في الجلالة والعظمة ، دخول ولده الحسين بن علي (عليه‌السلام) أرض العراق بأنصاره وأهل بيته (عليهم‌السلام) ، وهم نجوم الأرض من آل عبد مناف ، من ولد علي والحسن والحسين وجعفر وعقيل (عليهم‌السلام) ، الذين ليس لهم على وجه الأرض شبيه. ولكن دخول

علي (عليه‌السلام) البصرة انتهى بنصره على أعدائه ، أمّا دخول ولده الحسين (عليه‌السلام) أرض العراق ، فابتدأ بملاقاة الحُرّ بن يزيد له في ألف فارس ومنعه عن الرجوع ، ثمّ أخذه طريقاً لا يدخله الكوفة ولا يردّه إلى المدينة حتّى جاء أمر بن مرجانة إلى الحُرّ بأن يُجعجع بالحسين (عليه‌السلام) ويضيّق عليه ، ولا يُنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء. وجعل كلّما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه اُخرى حتّى ورد كربلاء ، فقال : (( أهذه كربلاء ؟ )). قالوا : نعم يابن رسول الله. قال : (( انزلوا، فههنا مَحطُّ رحالنا ، وسفك دمائنا ، ومقتل رجالنا )).

وكما دعا أمير المؤمنين (عليه‌السلام) عند نزوله ( الزاوية ) دعا الحسين (عليه‌السلام) لـمّا صبّحته الخيل يوم عاشوراء ، فقال : (( اللهمّ ، أنت ثقتي في كلّ كرب ، وأنت رجائي في كلّ شدّة ، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقةٌ وعدةٌ. كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك ؛ رغبة منّي إليك عمّن سواك ، ففرّجته عنّي وكشفته ، فأنت وليُّ كلّ نعمة ، وصاحب كلّ حسنة ، ومنتهى كلّ رغبة )). ثمّ انتهى الأمر بقتل الحسين (عليه‌السلام) وقتل أنصاره وأبنائه وإخوته وأبناء عمومته.

فليتك يا أمير المؤمنين الذي قتل الأبطال وأفنى الرجال يوم البصرة ، لا غبت عن ولدك الحسين (عليه‌السلام) يوم كربلاء ، وقد بقي وحيداً فريداً ، لا ناصر له ولا معين :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خِلوٌ من الأنصارِ غير مُهنَّدٍ  |  | صافي الغِرارِ وصعْدةٍ سمْراءِ  |
| منعُوهُ من ماءِ الفُراتِ ووردِهِ  |  | وأبوُهُ ساقي الحوضِ يومَ جزاءِ  |
| حتّى قضَى عَطشاً كما اشْتَهتْ العِدى  |  | بأكفِّ لا صِيدٍ ولا أكفاءِ  |

المجلس الخامس والأربعون بعد المئة

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين : عن عبد الرحمن بن عوف الأحمر ، قال : لـمّا قدمنا على معاوية وأهل الشام بـ ( صفّين ) ، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه بساطاً واسعاً ، وأخذوا الشريعة(1) فهي في أيديهم ، وقد صفّ أبو الأعور عليها الخيل والرجّالة ، وقد أجمعوا أنْ يمنعونا الماء. ففزعنا إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) فأخبرناه بذلك ، فدعا صعصعة بن صوحان ، فقال: (( ائت معاوية ، فقل إنّا سرنا مسيرنا هذا ، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، وإنّك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أنْ نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكفّ حتّى ندعوك ونحتّج عليك ، وهذه اُخرى قد فعلتموها ؛ حلتم بين النّاس وبين الماء ، فخلِّ بينهم وبينه حتّى تنظر فيما قدمنا له، وإنْ كان أحبّ إليك أنْ ندع ما جئنا له ، و ندع النّاس يقتتلون على الماء حتّى يكون الغالب هو الشارب فعلنا )).

فقال معاوية لأصحابه : ما ترَون ؟ قال الوليد بن عقبة : امنعهم الماء كما منعوه ابن عفّان ، اقتلهم عطشاً قتلهم الله. قال عمرو بن العاص : خلِّ بين القوم وبين الماء ؛ فإنّهم لن يعطشوا وأنت ريّان ، ولكن لغير الماء فانظر. فأعاد الوليد مقالته وقال لعبد الله بن أبي سرح : امنعهم الماء إلى الليل ؛ فإنّهم إنْ لمْ يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمتهم ، امنعهم الماء منعهم الله إيّاه يوم القيامة. فقال صعصعة : إنّما يمنعه اللهُ يوم القيامة الكفرةَ الفجرة شَرَبة الخمر مثلك ومثل هذا الفاسق - يعني : الوليد بن عقبة -. فوثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدون. فقال معاوية : كفّوا عن الرجل ؛ فإنّه رسول. فقال صعصة لمعاوية : ما تردّ عليّ ؟ قال : سيأتيكم رأيي.

قال الراوي : فوالله ، ما راعنا إلّا تسوية الرجال والخيل والصفوف ، وأرسل إلى أبي

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الشريعة : منحدر الماء.

الأعور امنعهم الماء. فقام رجل من أهل الشام من همدان إلى معاوية ، وكان ناسكاً ، فقال : سبحان الله ! إنْ سبقتم القوم إلى الفرات تمنعوهم عنه ، أما والله ، لو سبقوكم إليه لسقوكم منه ، أما تعلمون أنّ فيهم العبد والأجير والضعيف ؟! هذا والله ، أوّل الجور. فأغلظ له معاوية ، فسار الهمداني في سواد الليل فلحق بعلي (عليه‌السلام).

ومكث علي (عليه‌السلام) يوماً وليلة بغير ماء ، فخرج نحو رايات مذحج وإذا رجل ينادي في سواد الليل :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أيَمنَعُنا القومُ ماءَ الفُراتْ  |  | وفينا الرِّماحُ وفيناالحَجَفْ  |
| وفينا عليٌّ له سَورةٌ  |  | إذا خوَّفوهُ الرَّدى لمْ يَخَفْ  |
| فنحنُ الذينَ غَداةَ الزّبير  |  | وطلحةَ خضْنا غمارَ التَّلفْ  |
| فما بالُنا أمسُ اُسدُ لعرينْ  |  | وما بالُنا اليومَ شاءُ النَّجفْ  |

وجاء الأشعث إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) فقال : يا أمير المؤمنين ، أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا ومعنا السّيوف ؟ خلِّ عنّا وعن القوم ، فوالله ، لا نرجع حتّى نردّه أو نموت. فقال (عليه‌السلام) : (( ذلك إليك )). فنادى الأشعث : مَن كان يريد الماء أو الموت فميعاده الصبح. فأتاه اثنا عشر ألفا ً، فلمّا أصبح حمل هو والأشتر ، وجعل الأشتر يُلقي رمحه ويقول : بأبي أنتم واُمّي ! تقدّموا قاب رمحي هذا. فلم يزل كذلك حتّى خالط القوم ، وبعث إلى الأشعث : أنْ أقحم الخيل. فأقحمها حتّى وضعت سنابكها في الفرات ، وأخذت أهل الشام السّيوف فولّوا مدبرين.

وقال معاوية لعمرو : ما ظنّك بعلي ؟ قال : ظنّي به أنّه لا يستحلّ منك ما استحلّك منه ، وإنّ الذي جاء لَغير الماء. فقال أهل العراق : والله ، لا نُسقيهم. فأرسل إليهم علي (عليه‌السلام) : (( خذوا من الماء حاجتكم ، وخلّوا بينهم وبين الماء ؛ فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم )).

وعلى هذه السُنّة جرى ابن زياد وأصحابه - أتباع يزيد بن معاوية - يوم كربلاء ، فكما منع معاوية وأتباعه أمير المؤمنين (عليه‌السلام)

وأصحابه يوم صفّين ماء الفرات ، منع الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه ماء الفرات يوم كربلاء ، وكتب ابن زياد إلى ابن سعد : أنْ حِل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، فلا يذوقوا منه قطرة كما صُنع بالتقيِّ الزكيِّ عثمان. فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجّاج في خمسمئة فارس ، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه وبين الماء ، ومنعوهم أن يستقوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين (عليه‌السلام) بثلاثة أيام.

لكنّ منع علي (عليه‌السلام) وأصحابه الماء يوم صفّين انتهى بانتصار أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) واستيلائهم على الشريعة ؛ ومنع الحسين (عليه‌السلام) الماء يوم كربلاء انتهى بقتل الحسين (عليه‌السلام) عطشان ظاميا ً، وقُتل أهل بيته وأصحابه ، وسبي نسائه وذراريه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| منعوهُمُ ماءَ الفُراتِ ودونَهُ  |  | بسيوفِهمْ دمُهمْ يُطلُّ مُحلّلا  |

\* \* \*

المجلس السّادس والأربعون بعد المئة

لـمّا كان يوم صفّين صلّى علي (عليه‌السلام) صلاة الغَداة ، ثمّ زحف إلى أهل الشام ، فلمّا أبصروه قد خرج ، استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثمّ إنّ خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب علي ألف رجل أو أكثر ، فأحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين أصحابهم فلمْ يروهم ، فنادى علي (عليه‌السلام) يومئذ : (( ألا رجل يشري نفسه لله ويبيع دنياه بآخرته ؟ )). فأتاه رجل من جُعف يقال له : عبد العزيز بن الحارث على فرس أدهم ، كأنّه غراب مقنّعاً في الحديد لا يُرى منه إلّا عيناه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مُرني بأمرك ، فوالله ، ما تأمرني بشيء إلّا صنعته.

فقال علي (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سمحْتَ بأمرٍ لا يُطاقُ حفيظةً  |  | وصِدقاً وإخوانُ الحفاظِ قليلُ  |
| جزاك إلهُ النّاسِ خيراً فقدْ وفَتْ  |  | يداكَ بفضلٍ ما هناكَ جزيلِ(1)  |

(( أبا الحارث ، شدّ الله ركنك ، احمل على أهل الشام حتّى تأتي أصحابك فتقول لهم : أمير المؤمنين يقرأ عليكم السّلام ، ويقول لكم : هلّلوا وكبّروا من ناحيتكم ، ونُهلّل نحن ونكبّر من ناحيتنا ، واحملوا من جانبكم ، ونحمل نحن من جانبنا على أهل الشام )).

فضرب الجُعفي فرسه حتّى إذا قام على السنابك حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب علي (عليه‌السلام) ، فطاعنهم ساعة وقاتلهم ، فانفرجوا له حتّى أتى أصحابه. فلمّا رأوه استبشروا به وفرحوا، وقالوا : ما فعل أمير المؤمنين ؟ قال : صالح يقرؤكم السّلام ويقول لكم : هلّلوا وكبّروا واحملوا حملة رجل واحد من ذلك الجانب ، ونهلّل نحن من جانبنا ونكبّر ونحمل من خلفكم. فهلّلوا وكبّروا وحملوا ، وهلّل علي (عليه‌السلام) وأصحابه وكبّروا وحملوا على أهل الشام ، فانفرج أهل الشام عنهم ، فخرجوا وما اُصيب منهم رجل واحد ، ولقد قُتل من فرسان أهل الشام يومئذ زهاء سبعمئة رجل. فقال علي (عليه‌السلام) : (( مَن أعظم النّاس غناءً ؟ )). فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين. قال : (( كلاّ ، ولكنّه الجُعفي )).

إنّ مقام هذا الجُعفي بصفّين لمقامٌ عظيمٌ ، وكفاه شهادة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) له بأنّه أعظم النّاس غناءً ، وما أشبه مقامه بمقام أبي الفضل العبّاس يوم كربلاء حين برز عمرو بن خالد الصيداوي ، فقال : له الحسين (عليه‌السلام) : (( تقدّمْ فإنّا لاحقون بك عن ساعة )). فحمل هو وسعد مولاه ، وجنادة بن الحارث السلماني ، ومجمع بن عبد الله العائذي ، فشدّوا مقدمين بأسيافهم على النّاس ، فلمّا وغلوا في أصحاب ابن سعد قطعوهم عن أصحابهم وأحاطوا بهم ، فندب الحسين (عليه‌السلام) لهم أخاه العبّاس

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) في البيت إقواء بيّن. (موقع معهد الإمامَين الحسنَين)

فحمل على القوم وحده ، فضرب فيهم بسيفه حتّى فرّقهم عن أصحابه وخلص إليهم ، فسلّموا عليه واستنقذهم وجاء بهم ولكنّهم كانوا جرحى ، فأبوا عليه أنْ يستنقذهم سالمين ، فعاودوا القتال وحملوا فقاتلوا وهو يدفع عنهم حتّى قُتلوا في مكان واحد ، فعاد العبّاس إلى أخيه وأخبره بخبرهم.

ولكنّ شتّان بين المقامين ؛ فالجُعفي حمل على أهل الشام مستعيناً بأمير المؤمنين (عليه‌السلام) وأصحابه حتّى استنقذوه ومَن معه ، وأبو الفضل العبّاس حمل وحده على ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة ، وضاربهم حتّى وصل إلى أصحابه وأنصار أخيه الحسين (عليه‌السلام) ، واستنقذهم وحده لم يساعده أحد.

قرّت عينك يا أمير المؤمنين بولدك أبي الفضل العبّاس الذي ورث منك الشجاعة والفروسية ، وقاتل بين يدي أخيه الحسين (عليه‌السلام) قتال الأبطال ، فلو ترآه وهو مقطوع اليدين ، مرضوخ الجبين ، مشكوك العين بسهم ، مثخناً بالجراح ، وولدك أبو عبد الله الحسين (عليه‌السلام) واقف عنده منحنياً ، ثمّ جلس عند رأسه يبكي حتّى فاضت نفسه الطاهرة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبا حسَنٍ أبناؤُكَ اليومَ حلَّقتْ  |  | بقادمةِ الأسيافِ عنْ خطَّةِ الخسفِ  |
| سلْ الطَّفَّ عنهُمْ أين بالأمسِ طنَّبُوا  |  | وأين استقلُّوا اليومَ عن عرْصةِ الطَّفِّ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولـمّا رأوا بعضَ الحياةِ مذلَّةً  |  | عليهمْ وعِزَّ الموتِ غيرَ مُحرَّمِ  |
| أبَوا أنْ يذوقُوا العيشَ والذاقعٌ  |  | عليهِ وماتُوا ميتةً لم ذمَّمِ  |
| ولا عجبٌ للاُسْدِ إنْ ظفرَتْ بها  |  | كلابُ الأعادِي منْ فصيحٍ أعجَمِ  |
| فحربةُ وحشيٍّ سَقتْ حمزةَ الرَّدى  |  | وحتفُ عليٍّ من حسامِ ابنِ مُلجَمِ  |

المجلس السّابع والأربعون بعد المئة

لـمّا كان يوم صفّين برز رجل من أهل الشام اسمه كريب بن الصبّاح الحِميري من آل ذي يزن ، ليس في أهل الشام يومئذ رجل أشهر منه بشدّة البأس ، ثمّ نادى : مَن يبارز ؟ فبرز إليه المرتفع بن الوضّاع الزبيدي فقتل المرتفع ، ثمّ نادى : مَن يبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن الجلاّح فقتله ، ثمّ نادى مَن يبارز ؟ فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتل عائذاً ، ثمّ رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ، ثمّ قام عليها بغياً واعتداءً ، ثمّ نادى : هل بقي من مبارز ؟ فبدر إليه علي (عليه‌السلام) ، ثمّ ناداه : (( ويحك يا كريب ! إنّي اُحذّرك وأدعوك إلى سنّة الله وسنّة رسوله. ويحك ! لا يدخلنّك ابن آكلة الأكباد النّار )). فكان جوابه أن قال : ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك فلا حاجة لنا فيها ، أقدم إذا شئت. مَن يشتري سيفي وهذا أثره ؟ فقال علي (عليه‌السلام) : (( لا حول ولا قوة إلّا بالله )). ثمّ مشى إليه فلمْ يمهله أن ضربه ضربة خرّ منها قتيلاً يتشحّط في دمه.

ثمّ نادى علي (عليه‌السلام) : (( مَن يبارز ؟ )). فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتل الحارث، ثمّ نادى : (( مَن يبارز ؟ )). فلم يبرز إليه أحد ، ثمّ إنّ عليّاً (عليه‌السلام) نادى : (( يا معشر المسلمين ،( الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ )(1). ويحك يا معاوية ! هلُمّ إليّ فبارزني ، ولا يقتتلن النّاس فيما بيننا )). فقال عمرو : اغتنمه منتهزاً ، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب ، وإنّي أطمع أن يظفرك الله به. فقال معاوية : ويحك يا عمرو ! والله ، إنْ تريد إلّا أنْ اُقتل فتصيب الخلافة بعدي ، اذهب إليك عنّي ، فليس مثلي يُخدع.

قال زياد بن النّصر الحارثي :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة البقرة / 194.

شهدت مع علي (عليه‌السلام) بصفّين ، فاقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتّى تكسرت الرماح ونفدت السّهام ، ثمّ صرنا إلى المسايفة ، فاجتلدنا بالسيوف إلى نصف الليل حتّى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً ، وقد قاتلت تلك الليلة بجميع السّلاح فلمْ يبقَ شيء من السّلاح إلّا قاتلت به حتّى تحاثينا بالتراب ، وتكادمنا بالأفواه حتّى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى بعض ، ما يستطيع أحد من الفريقين أنْ ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل. فلمّا كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف ، وغلب علي (عليه‌السلام) على القتلى تلك الليلة ، وأقبل على أصحاب محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأصحابه فدفنهم.

فأين كان أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) عن ولده الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه يوم طفّ كربلاء ، فيصلّي عليهم ويدفنهم حتّى لا يبقوا ثلاثة أيام بلياليها على وجه الصعيد كالأضاحي جثثاً بلا رؤوس ، تسفي عليهم الرياح ، زوارهم الوحوش والطيور، وأكفانهم السّواقي من الرمال ؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مُطرَّحينَ على الرَّمْضاءِ قد لبسُوا  |  | من الـمَهابةِ أبراداً لها قُشُبَا  |
| مضرَّجينَ بمحمرِّ النَّجيعِ بنَى  |  | نبلُ العِدى والقَنا من فوقِهمْ قُببَا  |
| منْ كلِّ جسمٍ بوجهِ الأرضِ مطَّرحٍ  |  | وكلِّ رأسٍ برأسِ الرُّمحِ قدْ نُصبَا  |

وأين كان أمير المؤمنين (عليه‌السلام) عن ولده الحسين (عليه‌السلام) حين نادى عمر بن سعد : مَن يبتدر للحسين فيدوس صدره بحوافر فرسه ؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما شفَى داءَ ضغْنِها القتلُ حتّى  |  | بالعوادي عادتْ ترضُّ قُراهَا  |

المجلس الثامن والأربعون بعد المئة

لـمّا كان يوم صفّين خرج رجل من أهل الشام يسأل المبارزة ، فخرج إليه رجل من أهل العراق، فاقتتلا بين الصفّين قتالاً شديداً ، ثمّ إنّ العراقي اعتنق الشامي فوقعا جميعاً تحت قوائم فرسيهما ، فجلس العراقي على صدره وكشف المغفر عنه يريد ذبحه ، فلمّا رآه عرفه فاذا هو أخوه. فصاح به أصحاب علي (عليه‌السلام) : أجهز على الرجل. فقال : إنّه أخي. قالوا : فاتركه. فقال : حتّى يأذن لي أمير المؤمنين (عليه‌السلام). فاُخبر علي (عليه‌السلام) بذلك ، فأرسل إليه : (( دعْهُ )). فتركه.

وكان لمعاوية مولىً يُقال له : حريث ، وكان فارس معاوية الذي يعدّه لكلّ مبارز ولكلّ عظيم. وكان حريث يلبس سلاح معاوية متشبّهاً به ، فإذا قاتل قال النّاس : ذاك معاوية. وإنّ معاوية دعاه وقال له : يا حريث ، اتّقِ عليّاً وضع رمحك حيث شئت. فأتاه عمرو بن العاص ، فقال : يا حريث ، لو كنت قرشيّاً لأحبَّ معاوية أنْ تقتل عليّاً ، ولكن كره أنْ يكون لك حظَّها ، فإنْ رأيت فرصة لعلي فأقحم عليه وقاتله.

قال : وخرج أمير المؤمنين (عليه‌السلام) أمام الخيل ، فحمل عليه حريث مولى معاوية ، وكان شديداً ذا بأس ، ونادى : يا علي ، هل لك في المبارزة ؟ فأقدم أبا حسن إذا شئت. فأقبل أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا عليٌّ و ابنُ عبدِ الـمُطَّلبْ  |  | نحنُ لَعمرُ اللهِ أولى بالكُتُبْ  |
| منّا النّبيُّ الـمُصطفَى غيرُ كذبْ  |  | أهلُ اللواءِ والمقامِ والحُجُبْ  |
| يا أيُّها العبدُ الغريبُالـمُنتدِبْ  |  | اثبتْ لنا يا أيُّها الكلبُ الكَلِبْ  |

ثم ضربه علي (عليه‌السلام) فقتله ، فجزع عليه معاوية جزعاً شديداً ،

وعاتب عمرو بن العاص في ذلك ، ثمّ أنشأ معاوية يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| حُريثُ ألَمْ تعلمْ وجهلُك ضائرُ  |  | بأنّ عليّاً للفوارسِ قاهرُ  |
| وأنّ عليّاً لمْ يبارزه فارسٌ  |  | من النّاس إلّا أقصدتهُ الأظافرُ  |
| أمرتُك أمراً حازماً فعصيتَني  |  | فجدّك إذْ لمْ تقبل النُّصحَ عاثرُ  |
| ودلاّك عمروٌ والحوادثُ جمَّةٌ  |  | غرُوراً وما جرَّتْ عليك المقادرُ  |
| وظنَّ حُريثٌ إنّ عمْراً نصيحُهُ  |  | وقد يُهلِكُ الإنسانَ مَن لا يحاذرُ  |

ولـمّا قتل أمير المؤمنين (عليه‌السلام) حريثاً ، برز عمرو بن الحصين السكسكي - وهو من أهل الشام - ، فنادى بأعلى صوته : يا أبا حسن ، هلمّ إلىّ المبارزة. فأنشأ علي (عليه‌السلام) يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما علَّتي وأنا جلدٌ حازمْ(1)  |  | وعن يميني مَذحِجُ القماقمْ  |
| وعن يساري وائلُ الخضارِمْ  |  | والقلبُ حولي مُضرُ الجماجمْ  |
| أقسمتُ بالله العليِّ العالِمْ  |  | لا أنثني إلّا بردِّ الرّاغمْ  |

ثمّ حمل عمرو بن الحصين على أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ليضربه ، فبادر إليه سعيد بن قيس الهمداني ففلق صلبه ، فقال أمير المؤمنين (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| دعوتُ فلبّاني منَ القومِ عُصبةٌ  |  | فوارِسُ من هَمْدانَ غيرُ لئامِ  |
| فوارسُ منْ همْدانَ ليسُوا بعزَّلٍ  |  | غَداةَ الوغَى من شاكرٍ وشِبامِ(2)  |
| بكلِّ رُدينيٍّ وعَضْبٍ تخالُهُ  |  | إذا اختلفَ الأقوامُ شَعْلَ ضِرامِ  |
| لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يَزينهُمْ  |  | وبأسٌ إذا لاقوْا وحدُّ خصامِ  |
| وجِدٌّ وصدقٌ في الحروبِ ونجدةٌ  |  | وقولٌ إذا قالوا بغيرِ أثامِ  |
| متى تأتِهمْ في دارهِمْ تستَضفهُمْ  |  | تبِتْ ناعماً في خِدمةٍ وطعامِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) في الشطر خلل عروضي ، وربما كان صوابه بهذا النّحو : ( ما علّتي إذْ أنا جلد حازمْ ). (موقع معهد الإمامَين الحسنَين)

(2) شاكر وشبام : بطنان من همدان.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جَزى اللهُ همْدانَ الجنانَ فإنّها  |  | سِمامُ العِدى في كلِّ يوم زحامِ  |
| فلو كنتُ بوّابا على باب جنَّةٍ  |  | لقلتُ لهمْدانَ ادخلوا بسلامِ  |

وكانت قبيلة همدان من القبائل الموالية لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) والمتفانية في حبّه ، وكفاهم قوله (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فلو كنتُ بوّابا على باب جنَّةٍ  |  | لقلتُ لهمْدانَ ادخلوا بسلامِ  |

و كان منهم مع ولده الحسين (عليه‌السلام) عدد غير قليل ، منهم : أبو ثمامة الصائدي الذي قال للحسين (عليه‌السلام) يوم عاشوراء : يا أبا عبدالله ، نفسي لنفسك الفداء ! هؤلاء اقتربوا منك ، لا والله ، لا تُقتل حتّى اُقتل دونك ، وأحبّ أنْ ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة معك. فرفع الحسين (عليه‌السلام) طرفه إلى السّماء ، وقال : (( ذكرتَ الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين ، نعم هذا أوّل وقتها )). ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( سلوهم أنْ يكفّوا عنّا حتّى نصلّي )). ثمّ إنّ أبا ثمامة قال للحسين (عليه‌السلام) : يا أبا عبد الله ، إنّي قد هممت أنْ ألحق بأصحابي وكرهت أنْ اتخلّف وأراك وحيداً من أهلك قتيلاً. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( تقدّم فإنّا لاحقون بك عن ساعة )). فتقدّم فقاتل حتّى اُثخن بالجراحات ، ولمْ يزل يقاتل حتّى قُتل.

ومنهم : بُرير بن خضير الهمداني الذي جلس هو وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري على باب الفسطاط الذي دخله الحسين (عليه‌السلام) يوم عاشوراء ليصلّي ، فجعل برير يضاحك عبد الرحمن ، فقال له عبد الرحمن : يا برير ، ما هذه ساعة باطل ! فقال برير : لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً ؛ وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه ، فوالله ، ما هو إلّا أنْ نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة ، ثمّ نعانق الحور العين :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فوارسُ اتخَذوا سُمرَ القنَا سَمَراً  |  | فكلَّما سجَعَتْ ورقُ القنَا طَربُوا  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يسْتنجِعونَ الرَّدى شَوقاً لغايتِهِ  |  | كأنّما الضربُ في أفوهِها الضَرَبُ(1)  |
| واستأثَرُوا بالرَّدى منْ دونِ سيِّدهِمْ  |  | قصْداً وما كلُّ إيثارٍ به الأربُ  |

\* \* \*

المجلس التاسع والأربعون بعد المئة

لـمّا كان يوم صفّين قام علي (عليه‌السلام) بين الصفّين ، ونادى : (( يا معاوية )) ، يكررها. فقال معاوية : اسألوه ما شأنه ؟ قال (عليه‌السلام) : (( أحبّ أن يظهر لي فاُكلّمه كلمة واحدة )). فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص ، فلمْ يلتفت إلى عمرو. وقال (عليه‌السلام) لمعاوية : (( ويحك ! علامَ يُقتتل النّاس بيني وبينك ؟! ابرز إليّ فأيُّنا قتل صاحبه فالأمر له )). فالتفت معاوية إلى عمرو ، فقال : ما ترى يا أبا عبد الله ، اُبارزه ؟ فقال عمرو : لقد أنصفك الرجل ، واعلم أنّك إنْ نكلت عنه لمْ تزل سُبّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي. فقال معاوية : يا عمرو ، ليس مثلي يُخدع عن نفسه ، والله ، ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قطّ إلّا سقى الأرض من دمه.

ثمّ انصرفا راجعين حتّى انتهيا إلى آخر الصفوف ، وحقَدها معاوية على عمرو ، وقال : ما أظنّك إلّا مازحاً ! فلمّا جلس معاوية مجلسه دخل عليه عمرو ، فقال معاوية :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا عمروُ إنّكَ قدْ قشرتَ ليَ العَصا  |  | برضاكَ في وسَطِ العجاجِ بِرازي  |
| ولقدْ أعدْتَ فقُلتُ مَزْحَةُ مازحٍ  |  | والـمَزْحُ يحملُهُ مقالُ الهازي  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الضرب : العسل وزناً ومعنىً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإذا الذي منَّتكَ نفسُكَ خالياً  |  | قتلِي جزاكَ بما نويتَ الجازي  |

فقال له عمرو : أتجبن عن خصمك وتتهم نصيحك ؟ وقال مجيباً له :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| معاويَ إنْ نكلتَ عن البِرازِ  |  | لك الويلاتُ فانظُرْ في المخازي  |
| وما ذنبي بإنْ نادَى عليٌّ  |  | وكبشُ القومِ يدعَى للبِرازِ  |
| فلَو بارزْتهُ بارزتَ ليثاً  |  | حديدَ النَّابِ ينفذُ كلَّ بازِ  |
| وتزْعمُ أنّني أضمرتُ غِشاً  |  | جزاني بالذي أضمرتُ جازِ  |

وبرز عمرو بن العاص في بعض أيام صفّين ، فاعترضه علي (عليه‌السلام) ثمّ طعنه فصرعه ، واتّقاه عمرو برجله فبدت عورته ، فصرف علي (عليه‌السلام) وجهه عنه ، فقال القوم : أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قال (عليه‌السلام) : (( وهل تدرون مَن هو ؟ )). قالوا : لا. قال (عليه‌السلام) : (( فإنّه عمرو بن العاص تلقّاني بعورته فصرفت وجهي عنه )). وإلى ذلك أشار أبو فراس الحمداني بقوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولا خيرَ في دفعِ الرَّدى بمذلّةٍ  |  | كما ردَّها يوماً بسوأتهِ عَمرو  |

ورجع عمرو إلى معاوية ، فقال له : ما صنعت ؟ قال : لقيني علي فصرعني فاتّقيته بعورتي. قال : احمد الله وعورتك ، أمّا والله ، لو عرفته ما أقحمت عليه. وقال معاوية في ذلك :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألا لله منْ هفواتِ عَمرٍو  |  | يعاتبُني على تركِي بِرازي  |
| فقدْ لاقى أبا حسنٍ عليّاً  |  | فآبَ الوائليُّ مآبَ خازِ  |
| فلَو لمْ يُبدِ عورتَهُ للاقَى  |  | بهِ ليثاً يذللُ كلَّ نازِ  |
| له كفٌّ كأنَّ براحتيْها  |  | منايا القومِ يخطِفُ خطفَ بازِ  |
| فإنْ تكُنْ المنيَّةُ أخطأتْهُ  |  | فقدْ غنَّى بها أهلُ الحجازِ  |

فغضب عمرو ، وقال : هل هو إلّا رجل لقيه ابن عمّه فصرعه ، أفترى السّماء قاطرةً لذلك دماً ؟! قال معاوية : ولكنّها تعقبك جبناً.

وبرز عُروة بن داود الدمشقي ، فقال : إنْ كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلمّ. فتقدّم إليه علي (عليه‌السلام) فقال له أصحابه : ذَر هذا الكلب ؛ فإنّه ليس لك بخطر. فقال (عليه‌السلام) : (( والله ، ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه ، دعوني وإيّاه )). ثمّ حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين ، سقطت إحداهما يمنة والاُخرى يسرة ، فارتجّ العسكران لهول الضربة ، ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( يا عُروة، اذهب فأخبر قومك ، أما والذي بعث محمّداً بالحقِّ لقد عاينت النّار وأصبحت من النّادمين )).

وحمل ابن عمّ لعُروة على علي (عليه‌السلام) فطعنه ، فضرب علي (عليه‌السلام) الرمح فبراه ، ثمّ قنّعه ضربة فألحقه بابن عمّه ، ومعاوية ينظر. فقال معاوية : تبّاً لهذه الرجال وقبحاً ! أما فيهم مَن يقتل هذا - يعني : أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) - مبارزةً أو غيلة ، أو في اختلاط الفيلق وثَوَران النّقع(1) ؟ فقال الوليد بن عقبة : ابرز إليه أنت ؛ فإنّك أولى النّاس بمبارزته. فقال : والله ، لقد دعاني إلى البراز حتّى استحييت من قريش ، وإنّي والله ، لا أبرز إليه ؛ ما جُعل العسكر بين يدي الرئيس إلّا وقاية له. فقال عتبة بن أبي سفيان : الهوا عن هذا ، كأنّكم لم تسمعوا نداءه ، فقد علمتم أنّه قتل حريثاً وفضح عمراً ، ولا يتحكّك به أحد إلّا قتله. فقال معاوية لبُسر بن أرطاة : أتقوم لمبارزته ؟ فقال : ما أحد أحقّ بها منك ، وإذا أبيتموه فأنا له.

وكان عند بُسر ابنُ عمّ له قدم من الحجاز يخطب ابنته ، فقال لبُسر : ما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : الحياء. فضحك الغلام ، وقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تنازلُهُ يا بُسْرُ إنْ كُنتَ ثلَهُ  |  | وإلّا فإنَّ الليثَ للضبعِ آكلُ  |
| كأنّك يا بُسْرُ بنَ أرطاةَ جاهلٌ  |  | بآثارِهِ في الحربِ أو متجاهلُ  |
| متَى تلْقِهِ فالموتُ في رأسِ رُمحِهِ  |  | وفي سيفهِ شغلٌ لنفسك شاغلُ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) النّقع : الغبار.

فقال بُسر : هل هو إلّا الموت ! فغدا علي (عليه‌السلام) منقطعاً من خيله ومعه الأشتر ، فناداه بُسر : ابرز إليّ أبا حسن. فجاءه علي (عليه‌السلام) بتؤدة(1) غير مكترث ، فلمّا قاربه طعنه وهو دارع فألقاه على الأرض ، ومنع الدرعُ السّنان أنْ يصل إليه فاتّقاه بُسر ، وقصد أنْ يكشف سوأته ليستدفع بأسه فانصرف علي (عليه‌السلام) عنه مستدبراً له ، فقال له الأشتر : إنّه بُسر بن أرطاة ! عدو الله وعدوك يا أمير المؤمنين. فقال (عليه‌السلام) : (( دَعْه عليه لعنة الله ، أبَعد أنْ فعلها ! )).

ورجع بُسر ، فقال له معاوية : ارفع طرفك قد أدال الله عمراً منك. فقال في ذلك النّضر بن الحارث :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أفي كلِّ يومٍ فارسٌ تندبُونهُ  |  | لهُ عورةٌ وسطَ العَجاجةِ باديهْ  |
| يكفُّ بها عنهُ عليٌّ سِنانَهُ  |  | ويضحكُ منها في الخلاءِ مُعاويهْ  |
| بدتْ أمسِ من عمرٍو فقنَّع رأسَهُ  |  | وعورةُ بُسرٍ مثلُها حَذْوَ حاذِيهْ  |
| فقولا لعمرٍو وابنِ أرطأةَ أبصِرا  |  | سبيلَكُما لا تَلقَيا اللَّيثَ ثانيهْ  |
| ولا تَحمدا إلّا الحيا وخُصاكُما  |  | هُما كانتا واللهِ للَّنفس واقيهْ  |
| فلولاهما لم تَنجُوَا منْ سنانهِ  |  | وتلك بما فيها عنْ العَودِ ناهيهْ  |
| متَى تلقيا الخيلَ الـمُشيحةَ صُبْحةً  |  | وفيها عليٌّ فاتْرُكا الخيلَ ناحيهْ  |
| وكونا بعيداً حيثُ لا يبلغ القَنا  |  | نحورَكُما إنّ التجاربَ كافيهْ  |
| وإنْ كان منهُ بعدُ في النَّفسِ حاجةٌ  |  | فعُودا إلى ما شئتُما هي ما هِيهْ  |

وعمرو هذا هو الذي دبّر الحيلة على مولانا أمير المؤمنين (عليه‌السلام) برفع المصاحف على رؤوس الرماح حتّى اغترّ بذلك أهل العراق ، واضطرّ أمير المؤمنين (عليه‌السلام) إلى القبول بالتحاكم إلى القرآن وهو يقول لهم : (( أنا كتاب الله النّاطق ، وهذا كتاب الله الصامت )). فلمْ يسمعوا.

ولولا رفع تلك المصاحف على رؤوس الرماح ، لم يُرفع رأس الحسين (عليه‌السلام) ورؤوس أصحابه على رؤوس الرماح يوم كربلاء ، يسار بها من بلد إلى بلد ، فمن كربلاء إلى الكوفة ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي : مشى مشياً وئيداً.

ومن الكوفة إلى الشام أمام عينَي زين العابدين (عليه‌السلام) ، وأمام عينَي زينب وسائر النّساء.

ولـمّا قربوا من دمشق دنت اُمّ كلثوم من شمر ، فقالت له : لي إليك حاجة. فقال : ما حاجتك ؟ قالت : إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظّارة ، وتقدّم إليهم أنْ يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحّونا عنها ؛ فقد خزينا من كثرة النّظر إلينا ونحن في هذه الحال. فأمر في جواب سؤالها ، أنْ تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغيّاً منه وكفراً ، وسلك بهم بين النظّارة على تلك الصفة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليتَ المواكبَ والوصيُّ زعيمُها  |  | وقفوا كموقِفكُمْ على صفّين  |
| بالطفِّ كي يرَوا الاُولى فوق القنَا  |  | رُفعتْ مصاحفُها اتّقاءَ منونِ  |
| جعلتْ رؤوسَ بني النّبيِّ مكانَها  |  | وشفَتْ قديمَ لواعجٍ وضغونِ  |

المجلس الخمسون بعد المئة

اجتمع عند معاوية بصفّين ليلةً عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وغيرهم، فقال عتبة : إنّ أمرنا وأمر علي لعجب ! ليس منّا إلّا موتور ؛ أمّا أنا فقتل جدّي وشرك في دم عمومتي يوم بدر ؛ وأمّا أنت يا وليد ، فقتل أبوك يوم الجمل وأيتم إخوتك ؛ وأمّا أنت يا مروان ، فكما قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأفَلتَهُنَّ(1) عِلباءٌ(2) جَريضاً(3)  |  | ولو أدرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ(4)  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) انفلت منهن.

(2) اسم رجل.

(3) الجريض : المغموم.

(4) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن. وصفرت الوطاب : أي خلت من اللبن ، ويكنّى به عن الموت. يقال : صفرت وطابه : أي مات أو قُتل. وهذا البيت ضربه كالمثل لمروان ، أي : أنّه أفلت يوم الجمل بآخر رمق ، ولو أدركه علي (عليه‌السلام) لقتله. - المؤلّف -

قال معاوية : هذا الإقرار فأين الغير ؟ قال مروان : أيّ غير تريد ؟ قال : اُريد أنْ يشجر بالرماح. فقال : والله ، إنّك لهازل ولقد ثقلنا عليك. فقال الوليد بن عقبة في ذلك :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يقولُ لنا معاويةُ بنُ حربٍ  |  | أمَا فيكُمْ لِواترِكُمْ طَلُوبُ  |
| يشدُّ على أبي حسنٍ عليٍّ  |  | بأسمرَ لمْ تُهجِّنهُ الكُعوبُ  |
| فقلتُ لهُ أتلعبُ يابنَ هندٍ  |  | كانَّك وسْطَنا رجلٌ غريبُ  |
| أتأمرُنا بحيَّةِ بطنِ وادٍ  |  | إذا نَهشَتْ فليس لها طبيبُ  |
| وما ضَبُعٌ أقام ببطنِ وادٍ  |  | اُتيح له بهِ أسدٌ مَهيبُ  |
| بأضعفَ حيلةً منّا إذا ما  |  | لَقيناه وذا منَّا عَجيبُ  |
| سِوى عمرٍو وقَتْهُ خُصيتاهُ  |  | نجا ولِقلبِهِ منها وَجيبُ  |
| لعمر أبي معاويةَ بن حربٍ  |  | وما ظنِّي ستلحقهُ العيوبُ  |
| لقد ناداهُ في الهيجا عليٌّ  |  | فأسمعهُ ولكنْ لا يُجيبُ  |

فغضب عمرو ، وقال : إنْ كان الوليد صادقاً ، فليلقَ عليّاً أو ليقف حيث يسمع صوته. وقال عمرو :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يُذكِّرُني الوليدُ دُعَا عليٍّ  |  | وبطنُ المرءِ يملؤهُ الوعيدُ  |
| مَتى تذكُرْ مشاهدَهُ قُريشٌ  |  | يَطِرْ منْ خوفهِ القلبُ الشديدُ  |
| فأمّا في اللقاءِ فأين منهُ  |  | معاويةُ بنُ حربٍ والوليدُ  |
| وعيَّرَني الوليدُ لقاءَ ليثٍ  |  | إذا ما زارَ هابَتْهُ الاُسودُ(1)  |
| لقيتُ ولستُ أجهلُهُ عليّاً  |  | وقدْ بُلّتْ من العَلَقِ الكُبُودُ  |
| فأطعنُهُ ويطعنُني خِلاساً  |  | وماذا بَعد طعنتِهِ اُريدُ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) إنّ مفردة ( زار ) هنا مخففة عن ( زأر ) التي بمعنى : صاح عن صدره. (موقع معهد الإمامَين الحسنَين)

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فرُمْها منهُ يابنَ أبي مُعَيْطٍ  |  | وأنتَ الفارسُ البطلُ النَّجيدُ  |
| فاُقسِمُ لو سمعتَ نِدَا عليٍّ  |  | لطارَ القلبُ وانتفَخَ الوريدُ  |
| ولو لاقيتَهُ شُقَّتْ جُيوبٌ  |  | عليك ولُطِّمتْ فيك الخُدودُ  |

وما زالت أضغان بني اُميّة كامنةً في صدورهم بقتل مَن قتله منهم أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، يوم كانوا يقودون الجيوش لحرب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ومحو الإسلام في يوم بدر واُحد والأحزاب ، ويُظهرونها لعلي (عليه‌السلام) وأولاده ، ويجهدون في محوهم عن جديد الأرض كلّما سنحت لهم الفرصة، ويُظهرون الشماتة والفرح بما يُصيب آل بيت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من المصائب.

فمِن ذلك لـمّا جاء الخبر إلى المدينة بقتل الحسين (عليه‌السلام) ، وكان الأمير عليها من بني اُميّة وهو عمرو بن سعيد بن العاص ، فلمّا سمع أصوات نساء بني هاشم يبكين على الحسين (عليه‌السلام) ويندبنه ، ضحك وتمثل بقول بعض العرب :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عجَّتْ نساءُ بني زيادٍ عجَّةً  |  | كعجيجِ نسوتِنا غَداةَ الأرنبِ  |

ثم خطب النّاس ، وقال في خطبته : إنّها لدمةٌ بلدمة وصدمة بصدمة ، كمْ خطبة بعد خطبة ، وموعظة بعد موعظة ، حكمة بالغة فما تُغني النّذر.

ومن ذلك لـمّا وُضع رأس الحسين (عليه‌السلام) ورؤوس أهل بيته وأصحابه بين يدي يزيد ، دعا بقضيب خيزران وجعل ينكت به ثنايا الحسين (عليه‌السلام) ، ثم قال : يوم بيوم بدر. وقيل : إنّ مروان بن الحكم أخذ الرأس الشريف وتركه بين يديه ، وقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا حبَّذا بُردُك في اليَدينِ  |  | ولونُكَ الأحمرُ في الخدَّينِ  |
| كأنّما حفَّ بوردَتينِ  |  | شفيتُ نفسي من دمِ الحُسينِ  |

والله , لكأنّي أنظر إلى أيام عثمان.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قومٌ قَتلتُمْ على الإسلامِ أوّلَهُمْ  |  | حتّى إذا اسْتمكَنُوا جازوا على الكُفُرِ  |
| أبناءُ حرْبٍ ومروانٍ واُسرتُهمْ  |  | بنو مُعيطٍ وُلاةُ الحُقدِ والوَغَرِ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بني اُميّةَ ما الأسيافُ نائمةً  |  | عن ساهرٍ في أقاصي الأرضِ مَوتورِ  |
| أكلُّ يومٍ لآلِ الـمُصطفَى قمرٌ  |  | يهوي بوقعِ العوالي والمبَاتيرِ  |

المجلس الحادي والخمسون بعد المئة

من مواقف أمير المؤمنين (عليه‌السلام) في وقعة صفّين ، ما كان يوم الهرير.

قال بعض الرواة : فوالذي بعث محمّداً بالحقِّ نبيّاً ، ما سمعنا برئيس قوم ، منذ خلق الله السّماوات والأرض ، أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب علي (عليه‌السلام) ؛ إنّه قتل - فيما ذكر العادّون - زيادةً على خمسمئة من أعلام العرب ، يخرج بسيفه منحنياً ، فيقول : (( معذرة إلى الله وإليكم من هذا ، لقد هممت أنْ أفلقه(1) ولكن يحجزني عنه أنّي سمعت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، يقول: لا سيف إلّا ذو الفقار ، ولا فَتَى إلّا علي. وأنا اُقاتل دونه )).

قال : فكنّا نأخذه فنقوّمه ، ثمّ يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصفّ ، فلا والله ، ما ليثٌ بأشد نكاية منه في عدوه ، وكان في أوائل أيام صفّين يسهر الليل كلَّه إلى الصباح يُعبئ الكتائب ، ويأمر الاُمراء ، ويعقد الألوية. ومرّ في اليوم السّابع ، ومعه بنوه ، نحو الميسرة والنّبل يمرّ بين عاتقيه ومنكبيه ، وما من بنيه إلّا مَن يقيه بنفسه ، فيكره علي (عليه‌السلام) ذلك ، ويتقدّم نحو أهل الشام ويؤخر الذي يقيه إلى ورائه.

وجاء أحمر مولى بني اُميّة يوم صفّين ، وقال لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) : قتلني الله إنْ لمْ أقتلك. فخرج إليه كيسان مولى علي (عليه‌السلام)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي : أكسره.

فقتله أحمرُ ، وأراد أن يضرب أمير المؤمنين (عليه‌السلام) بالسّيف ، فانتهزه أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ووضع يده في جيب درع أحمر ، فجذبه عن فرسه وحمله على عاتقه.

قال الراوي : فوالله ، لكأنّي أنظر إلى رجلي أحمر تختلفان على عنق علي (عليه‌السلام) ، ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه ، وشدّ الحسين ومحمد بن الحنفيّة (عليهما‌السلام) فضرباه بأسيافهما حتّى برد ، وبقي الحسن (عليه‌السلام) واقفاً مع أبيه ، فقال (عليه‌السلام) له : (( ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك ؟ )). قال : (( كفياني يا أمير المؤمنين )).

ثمّ دنا أهل الشام من أمير المؤمنين (عليه‌السلام) يريدونه. قال الراوي : فوالله ، ما يزيده قربهم منه ودنوهم إليه سرعة في مشيه. فطلب منه الحسن (عليه‌السلام) أن يسرع في مشيه ليلحق بربيعة ، فقال له : (( يا بني ، إنّ لأبيك يوماً لنْ يعدوه ، ولا يُبطئ به عنه السَّعي ، ولا يُقرِّبه إليه الوقوف. إنّ أباك لا يُبالي إنْ وقع على الموت أو وقع الموتُ عليه )). ومن هذه الشجاعة ورث ولده الحسين (عليه‌السلام) ، وعلى نهجها نهج ، وفي سبيلها درج :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فهو ابنُ حيدرةَ البطِينِ الأنْزَعِ الـ  |  | ـمُفني الاُلوفَ بحومةِ الهيْجاءِ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لهُ منْ عليٍّ في الحُروبِ شجاعةٌ  |  | ومنْ أحمدٍ عندَ الخطابةِ قيلُ  |

ولـمّا كان يوم عاشوراء دعا النّاس إلى البراز ، فلم يزل يقتل كلّ مَن يبرز إليه حتّى قتل مقتلة عظيمة ، ثمّ حمل على الميمنة ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| القتلُ أولَى منْ رُكوبِ العارِ  |  | والعارُ أولَى منْ دُخولِ النّارِ  |

واللهِ مِنْ هذا وهذا جاري

ثمّ حمل على الميسرة ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا الحُسينُ بنُ عليْ  |  | آليتُ أنْ لا أنْثَنِي  |
| أحمِي عِيالاتِ أبي  |  | أمضي على دينِ النّبيْ  |

قال بعض الرواة : فوالله ، ما رأيت مكثوراً ( أي : مغلوباً ) قطْ قد قُتل وُلده وأهل بيته وأصحابه ، أربط جأشاً ، ولا أمضى جناناً ، ولا أجرأ مقدماً منه. والله ، ما رأيت قبله ولا بعده مثله ؛ إنْ كانت الرجّالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه ، فتنكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إنْ شدّ فيها الذئب. ولقد كان يحمل فيهم ، وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً ، فينهزمون من بين يدَيه كأنّهم الجراد المنتشر ، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول : (( لا حول ولا قوّة إلا بالله )). وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجد ، وكلمّا حمل بفرسه على الفرات ، حملوا عليه بأجمعهم حتّى أجلوه عنه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| منعُوهُ من ماء الفُراتِ ووردِهِ  |  | وأبوُهُ ساقي الحوضِ يومَ جزاءِ  |
| حتّى قضى عَطشاً كما اشْتهتِ العِدى  |  | بأكفِّ لا صيدٍ ولا أكفاءِ  |

المجلس الثاني والخمسون بعد المئة

لـمّا كان يوم صفّين جاء علي أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، ومعه بنوه نحو رايات ربيعة ، فنادى (عليه‌السلام) بأعلى صوته : (( لـمَنْ هذه الرّايات ؟ )). قالوا : هذه رايات ربيعة. فقال (عليه‌السلام) : (( بل هي رايات الله ، عصم الله أهلَها ، وصبَّرهمْ وثبَّت أقدامهمْ )). ثمّ قال (عليه‌السلام) للحضين بن المنذر : (( يا فتى ، ألا تدني رايتك هذه ذراعاً ؟ )). فقال له : نعم والله ، وعشرة أذرع. فأقبل بها حتّى أدناها ، فقال له : (( حسبُك مكانك )).

وقال الحضين بن المنذر : أعطاني علي الراية ، وقال : (( سِرْ

على اسم الله يا حضين ، واعلم أنّه لا يخفق على رأسك راية مثلها أبداً ؛ لأنّها راية رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) )). وزحف الحضين بن المنذر برايته ، وكانت حمراء ، فأعجب عليّاً زحفُه وثباته ، فأنشأ (عليه‌السلام) يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لـمَنْ رايةٌ حمراءُ يخْفقُ ظلُّها  |  | إذا قِيل قدِّمهَا حُضينُ تَقدَّما  |
| ويدنُو بها في الصَّفِّ حتّى يَديرها  |  | حِمامُ المنايا تَقطُر الموتَ والدَّما  |
| تراهُ إذا مَا كان يومُ عظيمةٍ  |  | أبى فيهِ إلّا عِزَّةً وتكرُّما  |
| جزى اللهُ قوماً صابَرُوا في لقائِهمْ  |  | لَدَى البأسِ حُرّاً ما أعفّ وأكرَما  |
| وأحزمَ صبْراً حِينَ تُدعَى إلى الوغَى  |  | إذا كانَ أصواتُ الكُماةِ تغمْغُما  |
| ربيعةَ أعني إنّهُمْ أهلُ نجدةٍ  |  | وبأسٍ إذا لاقَوا خميساً عرَمْرما  |

فلمّا أصبحوا في اليوم العاشر ، أصبحوا وربيعة محدقة بعلي (عليه‌السلام) ، إحداق بياض العين بسوادها.

قال عتاب بن لقيط : إنْ اُصيب علي فيكم افتضحتم ؛ وقد لجأ إلى راياتكم. وقال لهم شقيق بن ثور : يا معشر ربيعة ، ليس لكم عذر في العرب إن اُصيب علي فيكم ومنكم رجل حيّ ، فقاتلوا قتالاً شديداً. وقام خالد بن المعمّر السَّدوسي ، فنادى : مَن يُبايع على الموت ويشري نفسه لله ؟ فبايعه سبعة آلاف على أنْ لا ينظر رجل منهم خلفه حتّى يردوا سرادق معاوية. فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقد كسروا جفون سيوفهم ، فلمّا نظر إليهم معاوية قد أقبلوا ، قال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا قلتُ قدْ ولَّتْ ربيعةُ أقبَلَتْ  |  | كتائبُ منهُمْ كالجبالِ تُجالدُ  |

ثمّ خرج عن سرادقه هارباً إلى بعض مضارب العسكر فدخل فيه.

ونذر معاوية سبي نساء ربيعة إنْ ظفر بهم ، وقتل رجالهم ، فقال في

ذلك خالد بن المعمّر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تمنَّى ابنُ حرْبٍ نذْرَةً في نِسْائِنا  |  | ودونَ الذي ينْوي سيوفٌ قواضبْ  |

ولمْ يرث يزيد سبي نساء المسلمين عن كلالة ، بل ورث ذلك عن أبيه ، فكما نذر أبوه سبي نساء ربيعة إنْ ظفر بهم ، سبى هو نساء سادات المسلمين وعقائل بيت النّبوّة ، وأمر بحملهنّ إليه من العراق إلى الشام ، فحُملوا إليه على أقتاب الجمال ، وساروا بهنّ كما يُسار بسبايا الكفّار.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يُسار بها عُنْفاً بلا رِفقِ مَحْرَمٍ  |  | بها غير مغلولٍ يحنُّ على صَعْبِ  |

ولـمّا وردوا دمشق ، اُوقِفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يُقام السبي ، وبينهم زين العابدين (عليه‌السلام) وهو مغلول بغُلٍّ إلى عنقه ، وهو إمام أهل البيت الطاهر ، ووارث علوم جده الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله). ثمّ اُدخلوا على يزيد ، وهم مُقرَّنون في الحبال وزين العابدين (عليه‌السلام) مغلول ، فلمّا وقفوا بين يديه ، وهم على تلك الحال ، قال له علي بن الحسين (عليه‌السلام) : (( أنشدك الله يا يزيد ، ما ظنّك برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، لو رآنا على هذه الصفة ؟! )). فلمْ يبقَ في القوم أحد إلّا وبكى ، فأمر يزيد بالحبال فقُطعت ، وأمر بفكّ الغُلّ عن زين العابدين (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خلتْ الحميَّةُ يا اُميّةُ فاخلَعِي  |  | حُلَل الحَيا وبثوبِ بغْيكِ فارْفُلي  |
| سوّدْتِ وجهَ حَفائظِ العَربِ التي  |  | كرُمتْ إذا ظفرتْ برحلٍ مُفْضِلِ  |

المجلس الثالث والخمسون بعد المئة

كان عبد الله بن بُديل الخزاعي مع علي (عليه‌السلام) يوم صفّين ،

وعليه سيفان ودرعان ، وجعل يضرب النّاس بسيفه قُدُماً(1) وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لمْ يبقَ غيرُ الصَّبرِ والتَّوكُّلِ  |  | والتِّرسِ والرُّمحِ وسيفٍ مِصقَلِ  |
| ثُمّ التَّمشِّي في الرَّعيلِ الأوَّلِ  |  | مَشِي الجمالِ في حِياضِ المنْهَلِ  |

فلمْ يزل يضرب بسيفه حتّى انتهى إلى معاوية ، فأزاله عن موقفه ، ومع معاوية عبد الله بن عامر واقفاً ، فأقبل أصحاب معاوية على عبد الله بن بديل يرضخونه بالصخر حتّى أثخنوه وقتلوه، وأقبل إليه معاوية وعبد الله بن عامر ؛ فأمّا عبد الله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحّم عليه ، وكان له أخاً وصديقاً. فقال له معاوية : اكشف عن وجهه. فقال عبد الله : والله ، لا يُمثّل به وفيّ الروح. فقال له معاوية : اكشف عن وجهه ، فقد وهبته لك. فكشف عن وجهه ، فقال معاوية : هذا كبش القوم وربّ الكعبة. اللهمّ ، ظفّرني بالأشتر النّخعي والأشعث الكندي ، والله ، ما مثل هذا إلّا كما قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أخو الحربِ إنْ عضَّتْ بهِ الحرْبُ عَضَّها  |  | وإنْ شمٍرتْ عنْ ساقِها الحربُ شمَّرا  |
| ويحْمِي إذا ما الموتُ كان لقَاؤهُ  |  | لدى الشرِّ يحْمِي الأنْفَ أنْ يتأخَّرا  |
| كليثِ هِزْبرٍ كانَ يحْمِي ذِمارَهُ  |  | رَمتْهُ المنايَا فصدَّها فتَقطَّرا  |

مع أنّ نساء خُزاعة لو قدرت على أن تقاتلني - فضلاً عن رجالها - فعلت.

أمَا كان يوم كربلاء رجل مثل عبد الله بن عامر ، فيضع عمامته على وجه الحسين (عليه‌السلام) ، ليمنع أهل الكوفة من أن يمثّلوا به

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) قُدُماً ، بضمتين : المضي أمام أمام. كذا في القاموس. - المؤلّف -

وبأصحابه ؛ وذلك لـمّا أمر ابن سعد - لعنه الله - بقطع رأس الحسين (عليه‌السلام) ورؤوس أصحابه ، ففعل أهل الكوفة ما أمرهم به ، فقطعوا الرؤوس وحملوها على رؤوس الرماح ، وبعث بها من كربلاء إلى الكوفة - إلى عبيد الله بن زياد - مع خولي بن يزيد الأصبحي ، وحميد بن مسلم ، وشمر بن ذي الجوشن ؟! ولمْ يكفهم ذلك حتّى نادى عمر بن سعد في أصحابه : مَن ينتدب للحسين ، فيوطئ الخيل صدره وظهره ؟ فانتدب منهم عشرة فوارس ، فداسوا جسد الحسين (عليه‌السلام) بحوافر خيولهم حتّى رضّوا صدره وظهره ، وجاؤوا حتّى وقفوا على ابن زياد - لعنه الله - فقال أحدهم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نحنُ رضَضْنا الصَّدرَ بعدَ الظَّهرِ  |  | بكلِّ يَعْبُوبٍ شدِيدِ الأسْرِ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تطأُ الصَّواهلُ جسْمَهُ وعلى القنَا  |  | منْ رأسِهِ المرْفُوعِ بدْرُ سمَاءِ  |

المجلس الرابع والخمسون بعد المئة

روى غير واحد من المؤرخين ، عن أبي الأغر التميمي قال : إنّي لَواقف يوم صفّين ، إذ مرّ بي العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وهو شاكٍ في السّلاح ؛ على رأسه مغفر ، وبيده صفيحة يمانية يقلّبها ، وهو على فرس له أدهم ، وكأنّ عيناه عيني أفعى. فبينا هو يروّض فرسه ويلين من عريكته ، إذ هتف به هاتف من أهل الشام يُقال له غرار : هلمّ يا عبّاس إلى البزاز. قال : فالنّزول إذاً ؛ فإنّه أبأس من القفول. فنزل الشامي وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنْ ترْكَبُوا فركوبُ الخيلِ عادتُنَا  |  | أو تَنْزلُوا فإنّا معْشرٌ نُزُلُ  |

وثنى العبّاس رجله ، ثمّ عصب فضلات درعه في حجزته(1) ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي : في وسطه.

ودفع فرسه إلى غلام له أسود ، ودلف كلّ واحد منهما إلى صاحبه.

قال أبو الأغر : فذكرت قول أبي ذؤيب :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فتَنازلا وتواقَفتْ خيلاهُمَا  |  | وكلاهُمَا بطلُ اللّقاءِ مُجدِّعُ  |

ثمّ تكافحا بسيفهما مليّاً ، لا يصل واحد منهما إلى صاحبه ؛ لكمال لامته ، إلى أنْ لحظ العبّاس وهناً في درع الشامي ، فأهوى إليه بيده فهتكه إلى صدره ، ثمّ عاد لمجاولته وقد أصحر له مفتق الدرع ، فضربه العبّاس ضربة انتظم بها جوانح صدره ، وخرّ الشامي صريعاً لخلده ، وسما العبّاس في النّاس ، وكبّر النّاس تكبيرة ارتجّت لها الأرض.

قال أبو الأغر : فسمعت قائلاً يقول من ورائي : ( يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ \* وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ )(1). فالتفت فإذا هو أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، فقال (عليه‌السلام) : (( يا أبا الأغر ، مَن المبارز لعدوّنا؟ )). قلت : العبّاس بن ربيعة. قال (عليه‌السلام) : (( يا عبّاس )). قال : لبيك. قال (عليه‌السلام) : (( ألمْ أنهك ، وحسناً وحسيناً ، وعبد الله بن جعفر ، أنْ تخلّوا بمراكزكم وأنْ تُباشروا حرباً ؟ )). قال : أفاُدعى يا أمير المؤمنين إلى البزار ، فلا اُجيب جعلت فداك ؟! قال (عليه‌السلام) : (( نعم ، طاعةُ إمامِك أولى. ودّ معاوية أنّه ما بقي من بني هاشم نافخُ ضرمة إلّا طُعن في قلبه ؛ ( إطفاءً لنور الله ، وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ )(2) )).

وبلغ الخبر إلى معاوية ، فقال : ألا رجل يطلب بدم غرار ؟ فانتدب له رجلان من لَخم ، فقال معاوية : أيّكما قتل العبّاس ، فله كذا. فأتيا العبّاس ، فقال : إنّ لي سيّداً اُؤامره. فأتى إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) فأخبره ، فقال (عليه‌السلام) : (( ناقلني سلاحك بسلاحي )). فناقله ، وركب عليٌ فرس العبّاس ، فلم يشكّ الشاميان أنّه العبّاس ، فقالا له : أذنَ لك سيّدك ؟ فقال : ( أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنّ اللّهَ عَلَى‏ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ )(3). فبرز إليه أحدهما فكأنّما اختطفه ، ثمّ برز إليه الثاني فألحقه بالأوّل وانصرف ، وهو يقول : ( الشَّهْرُ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة التوبة / 14 - 15.

(2) سورة التوبة / 32.

(3) سورة الحجّ / 39.

الْحَرَامُ بِالشّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى‏ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى‏ عَلَيْكُمْ )(1). فبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبّح الله اللجاج ؛ ما ركبته ألّا خُذلت. فقال عمرو بن العاص : المخذول والله ، اللخميان لا أنت.

أقول : إنّ الذي خفته يا أمير المؤمنين على بني هاشم يوم صفّين ، فكنت تقيهم بنفسك ، ولا تأذن لهم في المبارزة ؛ خوفاً عليهم ، قد أدركه منهم بنو اُميّة يوم كربلاء ، فأفنوهم قتلاً ، ولمْ يتركوا منهم نافخ ضرمة ؛ قتلوا ولدك الحسين (عليه‌السلام) وذبحوه كما يُذبح الكبش ، وقتلوا معه سبعة عشر رجلاً من أهل بيتك من بني هاشم ، ما لهم على وجه الأرض شبيه. ولئن نجا منهم - بسببك - ابن عمّك العبّاس بن ربيعة يوم صفّين ، فلم ينجُ منهم ولدك أبو الفضل العبّاس يوم كربلاء :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قطَعُوا يَديهِ وهامُهُ فَلَقُوهُ في  |  | عَمَدِ الحديدِ فَخرَّ خيرُ طَعينِ  |
| ومشَى إليهِ السّبطُ ينْعاهُ كسَرْ  |  | تَ الآنَ ظهْري يا أخي ومُعيني  |
| عباسُ كبشَ كَتيْبَتي وكِنانَتي  |  | وسريَّ قومي بلْ أعزّ حُصوني  |
| فرسٌ ملكتَ بها الشَّريعةَ إنّها  |  | عادَتْ إليَّ بصفقةِ المغْبُونِ  |

المجلس الخامس والخمسون بعد المئة

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين ، عن عمّار بن ربيعة قال : صلّى علي (عليه‌السلام) بالنّاس صلاةَ الغَداة بصفّين ، ثمّ زحف إلى أهل الشام ، وكانت الحرب أكلت الفريقين ، ولكنّها في أهل الشام أشدّ نكايةً وأعظم وقعاً ، فقد ملّوا الحرب وكرهوا القتال ، وتضعضعت أركانهم. فخرج من أهل العراق رجل على فرس كميت ذَنوب ، عليه السّلاح ، لا يرى منه إلّا عيناه ، وبيده الرمح ، فجعل يضرب رؤوس أصحاب علي بالقناة ويقول : سوّوا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة البقرة / 194.

صفوفكم. حتّى إذا عدّل الصفوف والرايات ، استقبلهم بوجهه وولّى أهل الشام ظهره ، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : الحمد لله الذي جعل فيكم ابن عم نبيّكم ، أقدمهم هجرة وأوّلهم إسلاماً ، سيفٌ من سيوف الله صبّه على أعدائه. فانظروا إليّ : إذا حمي الوطيس ، وثار القتام ، وتكسّر المرّان ، وجالت الخيل بالأبطال ، فلا أسمع إلاّ غمغمة أو همهمة ، [ فاتبعوني وكوني في إثري ]. ثمّ حمل على أهل الشام وكسر فيهم رمحه ثمّ رجع ، فإذا هو الأشتر.

وزحف النّاس بعضهم إلى بعض ، فارتموا بالنّبل حتّى فنيت ، ثمّ تطاعنوا بالرماح حتّى كُسرت واندقّت ، ثمّ مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسّيوف وعمد الحديد ، فلم يسمع السّامع إلاّ وقع الحديد على الحديد.

قال : وانكسفت الشمس ، وثار القتام ، وضلّت الألوية والرايات ، والأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، فيأمر كلّ قبيلة أو كتيبة من القرّاء بالإقدام على التي تليها. قال : فاجتلدوا بالسّيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل ، لمْ يُصلّوا لله صلاة ، فلمْ يزل يفعل ذلك الأشتر بالنّاس ، وافترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة ، وهي ليلة الهرير.

وقُتل يوم صفّين عبد الله بن كعب ، فمرّ به الأسود بن قيس بآخر رمق ، فقال : عزّ والله ، عليَّ مصرعك. أما والله ، لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك ، ولو أعرف الذي صرعك ، لأحببت أن لا يزايلني حتّى يُلحقني بك. ثمّ نزل إليه ، فقال : والله ، إنْ كان جارك ليأمن بواثقك، وإنْ كنت من الذاكرين الله كثيراً ، أوصني رحمك الله. قال : اُوصيك بتقوى الله ، وأن تناصح أمير المؤمنين ، وأنْ تُقاتل معه المحلّين حتّى يظهر الحقّ أو تلحق بالله. وأبلغه عنّي السّلام ، وقُل له : قاتل على المعركة حتّى تجعلها خلف ظهرك ؛ فإنّه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب. ثمّ لم يلبث أنْ مات.

فأقبل الأسود إلى علي (عليه‌السلام) فأخبره ، فقال (عليه‌السلام) : (( رحمه‌الله ، جاهد معنا عدونا في الحياة،

ونصح لنا في الوفاة )).

ما أشبه وصيّة عبد الله للأسود بوصية مسلم بن عوسجة لحبيب بن مظاهر ؛ وذلك لـمّا صرع ابن عوسجة فمشى إليه الحسين (عليه‌السلام) ، ومعه حبيب بن مظاهر ، فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( رحمك الله يا مسلم ،( فَمِنْهُم مّن قَضَى‏ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدّلُوا تَبْدِيلاً )(1) )). ودنا منه حبيب ، فقال : عزّ عليَّ مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنّة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشرّك الله بخير. ثمّ قال له حبيب : لولا أنّي أعلم أنّي في الأثر من ساعتي هذه ، لأحببت أن توصيني بكلّ ما أهمّك. فقال له مسلم : فإنّي اُوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين (عليه‌السلام) - فقاتل دونه حتّى تموت. فقال له حبيب : لأنعمنّك عيناً. ثمّ مات رضوان الله عليه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ امرأً يمشِي لمصرَعِهِ  |  | سبطُ النَّبيِّ لَفاقدُ التِّربِ  |
| أوصَى حبيباً أنْ يجُودَ لهُ  |  | بالنَّفسِ من مِقَةٍ ومنْ حُبِّ  |
| أعززْ علينا يابنَ عَوْسجةٍ  |  | منْ أنْ تفارقَ ساحةَ الحربِ  |
| عانقْتَ بيضَهُمُ وسمرهُمُ  |  | ورجعتَ بعدُ مُعانقَ التَّربِ  |
| أبكي عليكّ وما يُفيدُ بُكا  |  | عيني وقدْ أكلَ الأسَى قلبي  |

\* \* \*

المجلس السّادس والخمسون بعد المئة

عن ابن عبّاس ، قال : عقمُت النّساء أنْ يأتين بمثل علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ! فوالله ، ما كشفت ذيولهنّ عن مثله ، وقد شهدته يوم صفّين وعلى رأسه عمامة سوداء ، وعيناه كأنّهما سراجاً سليطاً يتوقّدان من تحتها ، وهو يقف على كلّ شِرْذِمة يحرّضهم على الحرب ، إذْ طلعت علينا خيل لمعاوية ، وهي عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب ، فاقشعرّ النّاس

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 23.

لـمّا رآوها ، وانحاز بعضهم إلى بعض. قال أمير المؤمنين (عليه‌السلام) : (( فيمَ الهلعُ والنَّخعُ يا أهل العراق ! هل هي إلّا أشخاصٌ ماثلة فيها قلوبٌ طائرة ، لو مسّتها سيوف أهل الحقِّ لتهافتت تهافت الفراش في النّار ، سفّتها الريح في يوم عاصف ، فادَّرعوا الصَّبر وغُضّوا الأصوات ، وقلقلوا الأسياف في الأغماد ، وصلوا السّيوف بالخُطا ، والرماح بالنّبال ؛ فإنّكم بعين الله ومع أخي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). وعليكم بهذا السّرادق الأدلم ، والرواق الـمُظلم ، فاضربوا ثبجه ؛ فإنّ الشيطان راقد في كسره ، نافج حضنيه ، مفترش ذراعيه ، قد قدّم للوثبة يداً ، وأخَّر للنكوص رجلاً. ألا إنّ خِضاب النّساء الحَنّاء ، وخضاب الرجال الدماء ، فصمداً صمداً حتّى ينجلي لكم عمود الحقِّ وأنتم الأعلَون ، فشِدّوا على اسم الله تعالى )). ثمّ حمل (عليه‌السلام) وتبعته خويلة لم تبلغ المئة فارس ، وهو (عليه‌السلام) يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| دبُّوا دَبيْبَ النَّملِ لا تفُوتُوا  |  | وأصبِحُوا بحربِكُمْ وبيتُوا  |
| حتّى تنالُوا الثأرَ أو تَموتُوا  |  | أو لا فإنّي طالما عُصِيتُ  |

قال : فأجالها أبو الحسن جَوَلان الرّحا ، فارتفعت عجاجة منعتني النّظر ، فلم أرَ إلّا رأساً نادراً ويداً طائحة ، فما كان أسرع من أنْ ولّى أهل الشام مدبرين : ( كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ \* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ )(1). وإذا بأمير المؤمنين (عليه‌السلام) يمسح العلق عن ذراعيه ، وسيفه ينطف دماً ، ووجهه كشقة القمر الطالع ، وهو يقول : ( فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ )(2).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فلا سيْفَ إلّا ذُو الفقَارِ ولا فَتَى  |  | سوى حيدرِ الكرْارِ مُردي القسَاورِ  |
| فيا ليتَهُ لا غابَ عنْ يومِ كربَلاْ  |  | فتلكَ لعَمْرُ اللهِ اُمُّ الكبائِرِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة المدّثر / 50 - 51.

(2) سورة التوبة / 12.

إي والله ، يا ليته لا غاب عن يوم كربلاء ليرى عزيزه الحسين (عليه‌السلام) ، وقد أحاط به ثلاثون ألفاً من أهل الكوفة ، وهو ينادي : (( هل منْ ذابٍّ يذبُّ عن حرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؟ هل منْ مُوحد يخاف الله فينا ؟ هل منْ مغيث يرجو الله في إغاثتنا ؟ هل منْ مُعين يرجو ما عند الله في إعانتنا ؟ )). فارتفعت أصوات النّساء بالعويل ، وحمل النّاس عليه عن يمينه وشماله ، فحمل على الذين عن يمينه فتفرّقوا ، ثمّ حمل على الذين عن يساره فتفرّقوا.

قال بعض الرواة : فوالله ، ما رأيت مكثوراً ( أي : مغلوباً ) قطْ قد قُتل وُلده وأهل بيته وأصحابه ، أربط جأشاً ، ولا أمضى جناناً ، ولا أجرأ مقدماً منه. والله ، ما رأيت قبله ولا بعده مثله ؛ إنْ كانت الرجّالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه ، فتنكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إنْ شدّ فيها الذئب. ولقد كان يحمل فيهم ، وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً ، فينهزمون من بين يدَيه كأنّهم الجراد المنتشر ، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول : (( لا حول ولا قوّة إلا بالله )). وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجد ، وكلمّا حمل بفرسه على الفرات ، حملوا عليه بأجمعهم حتّى أجلوه عنه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وعادَ ريحانَةُ الـمُختارِ مُنفرِداً  |  | بينَ العِدى ما لَهُ حامٍ ولا عَضدُ  |
| يكرُّ فيهِمْ بماضِيهِ فيهزمُهُمْ  |  | وهُمْ ثلاثون ألفاً وهوَ مُنفَردُ  |

\* \* \*

المجلس السّابع والخمسون بعد المئة

كان عمّار بن ياسر رضوان الله عليه من السّابقين الأوّلين ، هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وصلّى إلى القبلتين ، وشهد بدراً واليمامة وأبلى فيهما بلاءً حسناً. وكان هو واُمّه ممّن يُعذَّب في الله ، فأعطاهم عمّار

ما أرادوا بلسانه ، فنزل فيه : ( إِلّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنّ بِالإِيمَانِ )(1). وقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) - كما رواه ابن حجر في الإصابة - : (( مَن عادى عمّاراً عاداه الله ، ومَن أبغض عمّاراً أبغضه الله )). قال : وتواترت الأحاديث عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( إنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية)). وأجمعوا على أنّه قُتل مع علي (عليه‌السلام) بصفّين.

وفي الإستيعاب : هذا من إخباره (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بالغيب وإعلام نبوّته ، وهو من أصحّ الأحاديث. وقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( إنّ عمّاراً مُلئَ إيماناً إلى مشاشه(2) )). ويُروى : (( إلى أخمص قدميه )). وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( عمّارٌ جلدةٌ ما بين عيني )). ورآه النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يوم بناء المسجد يحمل لبنتين لبنتين ، وغيره لبنة لبنة ، فجعل ينفض التراب عنه ، ويقول : (( ويح عمّار ! يدعوهم إلى الجنّة ، ويدعونه إلى النّار )).

وقيل لحذيفة حين احتضر - وقد ذكر الفتنة - : إذا اختلف النّاس بمَن تأمرنا ؟ قال : عليكم بابن سُميّة - يعني : عمّاراً - ؛ فإنّه لنْ يفارق الحقّ حتّى يموت. وروى نصر بن مزاحم : أنّه لـمّا كانت وقعة صفّين ، ونظر عمّار إلى راية عمرو بن العاص ، قال : والله ، هذه الراية قد قاتلتها ثلاث عركات ، وما هذه بأرشدهن. ولـمّا كان يوم صفّين خرج عمّار إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، فقال : يا أخا رسول الله ، أتأذن لي في القتال ؟ فقال (عليه‌السلام) : (( مهلاً ، رحمك الله )). فلمّا كان بعد ساعة ، أعاد عليه الكلام ، فأجابه بمثله ، فأعاده ثالثاً ، فبكى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، فنظر إليه عمّار ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه اليوم الذي وصفه لي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؟ فنزل أمير المؤمنين (عليه‌السلام) عن بغلته ، وعانق عمّاراً وودّعه ، ثمّ قال : (( يا أبا القيظان ، جزاك الله عن الله وعن نبيك خيراً ، فنعمَ الأخُ كُنتْ ! ونعمَ الصاحبُ كُنتْ ! )). ثمّ بكى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) وبكى عمّار ، ثمّ ركب أمير المؤمنين (عليه‌السلام)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النّحَل / 106.

(2) المشاش ، جمع مشاشة : وهي رأس العظم الممكن المضغ. - المؤلّف -

وركب عمّار. ما أشبه حالة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) حين استأذنه عمّار في المبارزة ، بحالة الحسين (عليه‌السلام) حين استأذنه ولده علي الأكبر في المبارزة ؛ وكان علي من أصبح النّاس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، وكان عمره تسع عشرة سنة ، فاستأذن أباه في القتال فأذن له ، ثمّ نظر إليه نظرة آيس منه، وأرخى عينيه فبكى ، ثمّ رفع سبابتيه نحو السّماء ، وقال (عليه‌السلام) : (( اللهمّ ، كُنْ أنت الشهيد عليهم ، فقد برز إليهم غُلام أشبه النّاس خَلْقاً وخُلْقاً ومَنْطقاً بنبيّك ، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه. اللهمّ ، امنعهم بركات الأرض ، وفرِّقهم تفريقاً ومزِّقهم تمزيقاً ، واجعلهم طرائق قِدداً ، ولا تُرضِ الولاةَ عنهم أبداً ؛ فإنّهم دعونا لينصرونا ، ثمّ عدوا علينا يُقاتلوننا )).

قال : وبرز عمّار إلى القتال ، وكان قد جاوز التسعين ، وأنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نحنُ ضربناكُمْ على تَنْزيلِهِ  |  | فاليوم نضربكُمْ على تأويلِهِ  |
| ضرباً يُزيلُ الهامَ عنْ مَقيلِهِ  |  | ويُذهلُ الخليلَ عنْ خليلِهِ  |

أو يَرجِع الحقُّ إلى سبيلِهِ

ثمّ قال : والله ، لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هَجَر ، لعلمنا أنّا على الحقِّ وأنّهم على الباطل. ثمّ قال : الجنّة تحت ظلال الأسنّة.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اليومَ ألقَى الأحبَّهْ  |  | مُحمّداً ثُمّ حزْبَهْ(1)  |

واشتدّ به العطش فاستسقى ، فاُتي إليه بلبن فشربه ، ثمّ قال : هكذا عَهد إليّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنْ يكون آخر زادي من الدّنيا شربة من لبن. وحمل عليه ابن جون السكسكي ، وأبو العادية الفزاري ؛ فأمّا أبو العادية فطعنه ؛ وأمّا ابن جون فاحتزّ رأسه.

وكما حمل عمّار على النّاس وارتجز ، حمل علي بن الحسين (عليهما‌السلام) على النّاس ، وجعل يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا عليُ بنُ الحُسينِ بنِ عليْ  |  | نحنُ وبيتِ اللهِ أوْلَى بالنَّبيْ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) لم تردْ ( ثُمّ ) في أصل الرَّجَز ، وقد أضفناها ؛ لاستقامة الوزن. ( موقع معهد الإمامَين الحسنَين )

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تاللهِ لا يحكُمُ فيْنا ابنُ الدَّعيْ  |  | أضربُ بالسَّيفِ اُحامِي عنْ أبي  |

ضربَ غُلامٍ هاشِميٍّ عَلَوي

ولكن لـمّا اشتدّ العطش بعمّار رجع واستسقى فسُقي اللّبن ، ولـمّا اشتدّ العطش بعلي الأكبر رجع إلى أبيه ، وهو يقول : يا أبتِ ، العطش قتلني ، وثقل الحديد أجهدني ، فهل إلى شربةٍ من الماء سبيل ؟ فبكى الحسين (عليه‌السلام) وقال : (( وآ غوثاه ! يا بُنَي ، من أين آتي لك بالماء ؟ قاتِل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدّك محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فيسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً )). فجعل يكرّ كرّة بعد كرّة والأعداء يتّقون قتله ، فطعنه مُرّة بن منقذ فصرعه ، فنادى : يا أبتاه عليك السّلام ، هذا جدّي يُقرِئك السّلام ، ويقول لك : (( عجّل القدوم علينا )). واعتوره النّاس فقطّعوه بأسيافهم ، فجاء الحسين (عليه‌السلام) حتّى وقف عليه وقال : (( قتل الله قوماً قتلوك يا بُنَي ، ما أجرأهم على الرّحمن وعلى انتهاك حُرمة الرّسول ! على الدّنيا بعدك العفا )).

وخرجت زينب بنت علي (عليهما‌السلام) وهي تنادي : يا حبيباه ! ويابن أخاه ! فأكبّت عليه ، فجاء الحسين (عليه‌السلام) فأخذ بيدها وردّها إلى الفسطاط ، وأقبل بفتيانه ، وقال : (( احملوا أخاكم )). فحملوه من مصرعه حتّى وضعوه بين يدَي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا كوكباً مَا كان أقصرَ عُمرَهُ  |  | وكذا تكونُ كواكِبُ الأسْحارِ  |
| جاورتُ أعْدائي وجاوَر ربَّهُ  |  | شتّان بينَ جِوارِهِ وجِواري  |

ولـمّا قُتل عمّار صلّى عليه أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ودفنه بثيابه ، وهو مقطوع الرأس ؛ وذلك لأنّ الشهيد يُدفن بثيابه ودمائه ، ولا تُنزع عنه ثيابه ولا يُغسّل ؛ ليخاصم مَن قتله بين يدي ربّه وهو كذلك.

أجل ، فمَن صلّى على شهيد كربلاء أبي عبد الله الحسين (عليه‌السلام) ، وهو مقطوع الرأس ، ودفَنه ؟ لمْ يُصلِّ عليه أحد ولم يدفنه ، بل تُرِك

ثلاثاً على وجه الصعيد بغير دفن ، ولـمّا دُفن لمْ يُدفن بثيابه ، لماذا ؟ لأنّه لم يكن عليه ثياب ، بل كان عارياً ، قد سُلبت منه ثيابُه كلُّها حتّى الثوب الذي خرقه ووضعه تحت ثيابه ؛ لئلاّ يُسلب منه ، فلم يتركوه له ، وسلبوه إيّاه وتركوه عارياً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| للهِ مُلقىً علَى الرَّمضاءِ غصَّ بهِ  |  | فَمُ الرَّدَى بين أقدامٍ وتشْمِيرِ  |
| تحنُو عليهِ الرُّبى ظلاّ ًوتسْترُهُ  |  | عنْ النَّواظرِ أذيالُ الأعاصِيرِ  |
| تهابُهُ الوحشُ أنْ تدنُوا لمصرَعِهِ  |  | وقدْ أقامَ ثلاثاً غيرَ مقْبُورِ  |

\* \* \*

المجلس الثامن والخمسون بعد المئة

لـمّا كان يوم صفّين دفع علي (عليه‌السلام) الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، ويُسمّى : المرقال ؛ لأنّه كان يرقل بالراية إرقالاً. وكان عليه درعان ، وكان من خيار أصحاب أمير المؤمنين (عليه‌السلام) وشجعانهم ، وكان أعور ، فقال له علي (عليه‌السلام) كالـمُمازح : (( أمَا تخشى أنْ تكون أعورَ جباناً ؟ )). قال : ستعلم يا أمير المؤمنين ، والله ، لألفنّ بين جماجم القوم لفّ رجل ينوي الآخرة. فأخذ رمحاً فهزّه فانكسر ، ثمّ أخذ آخر فوجده جاسياً فألقاه ، ثمّ أخذ رمحاً ليّناً فشدّ به اللواء وهزّه ، وقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أعْوَرُ يبْغي رُمْحهُ محَلاَّ  |  | قَدْ عالجَ الحياةَ حتّى ملاَّ  |
| لا بُدَّ أنْ يَغُلَّ أو يُغلاَّ  |  | أشلُّهُمْ بذي الكُعوبِ شَلاَّ  |
| معَ ابنِ عمِّ أحمدَ الـمُعلَّى  |  | فيهِ الرَّسولُ بالهُدَى استَهلاَّ  |
| أوّلُ مَنْ صَدَّقهُ وصلَّى  |  | فجاهدَ الكُفّارَ حتّى أبلَى  |

وجعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرمح ، ويقول : اقدم يا أعور ، لا خيرَ في أعور لا يأتي الفزعْ.

وكان هاشم عالماً بالحرب ، فجعل عمرو بن العاص يقول : إنّي لأرى لصاحب الراية السّوداء عملاً ، لئن دام على هذا ، ليفنينّ العرب اليوم. وزحف هاشم بالراية ، واقتتل النّاس قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله ، وجعل هاشم يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أعْوَرُ يبْغي نفسَهُ خَلاصَا  |  | مثلُ الفنِيقِ لابِساً دِلاصَا  |
| قدْ جرَّبَ الحربَ ولا أناصَا  |  | لا ديَّةً يخْشَى ولا قِصاصَا  |
| كلُّ إمرئٍ وإنْ كبَا وحاصَا  |  | ليسَ يرَى منْ مَوتِهِ مَناصَا  |

وقاتل هاشم وأصحابه قتالاً شديداً ، فحمل عليه الحارث التنوخي فطعنه فسقط ، وبعث إليه علي (عليه‌السلام) : (( أنْ قدّم لواءَك )). فقال للرسول : انظر إلى بطني ، فإذا هو قد انشق. ومرّ عليه رجل وهو صريع ، فقال له : اقرأ أمير المؤمنين السّلام ، وقُل له : أنشدك بالله ، إلّا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى ؛ فإنّ الغلبة تكون لـمَن غلب على القتلى. فسار علي (عليه‌السلام) في الليل حتّى جعل القتلى خلف ظهره ، وكانت له الغلبة عليهم.

ولـمّا قُتل هاشم ، جزع النّاس عليه جزعاً شديداً ، وقُتل معه جماعة من [ قبيلة ] أسلَم من القُرّاء ، فمرّ بهم علي (عليه‌السلام) وهم قتلى ، فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جزَى اللهُ خَيراً عُصبةً أسلميَّةً  |  | صِباحَ الوجوهِ صُرِّعُوا حولَ هاشمِ  |
| يزيدٌ وعبدُ اللهِ بشرٌ ومعْبدٌ  |  | وسُفيانَ وابنا هاشمٍ ذي المكَارمِ  |
| وعُرْوةُ لا يُبعَدْ ثَناهُ وذكْرُهُ  |  | إذا اختَرطتْ يوماً خفافُ الصَّوارمِ  |

لله درّ هاشم المرقال ! ما أشد حبّه لأمير المؤمنين ، وأصدق ولاءه ! نصر أمير المؤمنين في حياته وعند مماته. ويُشبهه في ذلك من أنصار الحسين (عليه‌السلام) مسلم بن عوسجة الأسدي ؛ فإنّه لـمّا صُرع وبقي به

رمق ، فمشى إليه الحسين (عليه‌السلام) ومعه حبيب بن مظاهر فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( رحمك الله يا مسلم ،( فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً )(1) )). ودنا منه حبيب فقال : عزّ عليّ مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنّة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشّرك الله بخير. ثمّ قال له حبيب : لولا أنّي أعلم أنّي في الأثر من ساعتي هذه لأحببتُ أنْ توصيني بكلِّ ما أهمّك. فقال له مسلم : فإنّي اُوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين (عليه‌السلام) - فقاتِل دونه حتّى تموت. فقال له حبيب : لأنعمنّك عيناً. ثمّ مات رضوان الله عليه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عانَقُوا الـمُرْهفاتِ حتّى تهاوَوا  |  | صَرعَى في الثَّرى بحرِّ الصِّيوفِ  |

المجلس التاسع والخمسون بعد المئة

لـمّا كان يوم صفّين ، وقُتل هاشم بن عتبة المرقال ، وكانت معه راية أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، أخذ الراية ولده عبد الله بن هاشم ، وجعل يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أهاشمُ بنَ عُتبَةِ بنِ مالِكْ  |  | أعززْ بشيخٍ منْ قُريشٍ هالِكْ  |
| تخبطُهُ الخيْلاتُ بالسَّنابِكْ  |  | في أسْوَدٍ منْ نقْعهِنَّ حالِكْ  |
| أبشرْ بحورِ العِينِ في الأرائِكْ  |  | والرَّوحِ والرَّيحانِ عندَ ذلكْ  |

ثمّ إنّ عبد الله حمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيها النّاس ، إنّ هاشماً كان عبداً من عباد الله الذين قدّر أرزاقهم ، وأحصى أعمالهم ، وقضى آجالهم ، فدعاه الله ربّه الذي لا يُعصى ، فأجابه وسلّم لأمر الله ، وجاهد في طاعة ابن عمِّ رسول الله ، وأوّل مَن آمن به ، وأفقههم في دين الله ، المخالف لأعداء

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 23.

الله المستحلّين ما حرّم الله ، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد ، واستحوذ عليهم الشيطان فزيّن لهم الإثم والعدوان ، فحقّ عليكم جهاد مَن خالف سُنّة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وعطّل حدود الله ، وخالف أولياء الله. فجُودوا بمُهج أنفسكم في طاعة الله في هذه الدنيا ؛ تُصيبوا الآخرة والمنزل الأعلى والـمُلك الذي لا يبلى ، فلو لم يكن ثوابٌ ولا عقاب ، ولا جنّةٌ ولا نار ، لكان القتال مع عليٍّ أفضل من القتال مع معاوية ابن آكلة الأكباد ، فكيف وأنتم ترجون ما ترجون ؟!

فلمّا انقضى أمر صفّين ، وسلّم الحسن (عليه‌السلام) الأمر لمعاوية ، نادى منادي معاوية : أمِنَ الأسود والأحمر بأمان الله ، إلّا عبد الله بن هاشم. فاختفى عبد الله عند امرأة بالبصرة من بني مخزوم ، فدُلّ عليه معاوية ، فبعث إلى زياد : أنْ ائتِ دار فلانة المخزوميّة ، فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها ، فاحلق رأسه ، والبسه جُبّة شعر ، وقيّده وغلّ يده إلى عنقه ، وأحمله على قتب بعيرٍ بغير وطاء ولا غطاء ، وأنفذ به إليّ.

ففعل به زياد ذلك وأنفذه إلى معاوية ، فوصل إليه وقد لاقى تعباً كثيراً ، وغيّرت الشمس وجهه ، فعرفه معاوية و لمْ يعرفه عمرو بن العاص ، فقال معاوية : يا أبا عبد الله ، أتعرف هذا الفتى ؟ قال : لا. قال : هذا ابن الذين كان يقول في صفّين :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أعْورُ يبْغِي أهلَهُ مَحَلاّ  |  | قدْ عالجَ الحياةَ حتّى مَلاّ  |

لا بُدَّ أنْ يَغُلَّ أو يُغلاّ

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، هذا المحتال ابن المرقال ، فدونك الضبّ المضب ، فإنّ العصا من العصية ، وإنّما تَلد الحيّة حيّة ، وجزاء السيئة سيئة مثلها. فقال له ابن هاشم : ما أنا بأوّل رجل خذله قومه وأدركه يومه. فقال معاوية : تلك ضغائن صفّين ، وما جنى عليك أبوك. فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، أمكني فأشخب أوداجه على أثباجه. فقال له ابن هاشم :

فهلاّ كانت هذه الشجاعة منك يابن العاص أيام صفّين ، حين ندعوك إلى النّزال ، وقد ابتلّت أقدام الرجال من نقع الجريال(1) ، وقد تضايقتْ بك المسالك ، وأشرفتَ فيها على المهالك ؟ فاُعجب معاوية ما سمع من كلام ابن هاشم ، فأمر به إلى السجن ، وكفّ عن قتله ، فقال عمرو:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أمرتُكَ أمراً حازِماً فعَصَيْتَني  |  | وكانَ منَ التَّوفيقِ قتلُ ابنِ هاشمِ  |
| أليسَ أبوُهُ يا مُعاويةُ الَّذِي  |  | رَماكَ علَى جدٍّ بحزِّ الغلاصمِ  |
| فما بَرحُوا حتّى جرتْ منْ دمائِنا  |  | بصفّين أمثالِ البُحورِ الخضَارمِ  |
| وهذا ابنُهُ والمرءُ يُشْبهُ أصلَهُ  |  | سنقرعُ إنْ أبقيتَهُ سِنَّ نادمِ  |

فقال ابن هاشم يجيبه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| معاويَ إنّ المرْءَ عَمراً أبتْ لهُ  |  | ضَغينةُ صَدْرٍ غِشُّها غيرُ سالمِ  |
| يَرى لكَ قتْلي يابنَ حرْبٍ وإنّما  |  | يَرى ما يَرَى عمرٌو مُلوكُ الأعاجمِ  |
| على أنّهُم لا يَقتلُونَ أسيرَهُمْ  |  | إذا أثقلَ الأعْناقَ حَملُ المغَارمِ  |
| وقدْ كانَ منَّا يومَ صفّين نغْزةٌ  |  | عليكَ جناهَا هاشمٌ وابنُ هاشمِ  |
| قَضى اللهُ فيها ما قَضى ثَمّة انْقَضى  |  | ومَا ما مَضى إلاّ كأضغاثِ حالمِ  |
| هي الوقعةُ العُظْمَى الَّتي تعْرفونَها  |  | وكلٌّ على ما قدْ مَضى غيرُ نادمِ  |
| فإنْ تعفُ عنَّي تعفُ عنْ ذِي قرَابةٍ  |  | وإنْ تَرَ قَتلي تَسْتحلُ مَحارمي  |

وهكذا كانت معاملة معاوية لشيعة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) بعد ما تمّ له الأمر ، فإنّه بعد ما شرط عليه الحسن (عليه‌السلام) أنْ لا يتعرّض لشيعته وشيعة أبيه ، قتل حجرَ بن عدي وأصحابه ، وعمرو بن الحمق ، وتتبَّع شيعة علي (عليه‌السلام) ؛ يُخيفهم ، ويسجنهم ، ويسومهم سوء العذاب ، وسلّط

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الجريال : صبغ أحمر ، وأراد به هنا : الدّم ، تشبيهاً له بذلك الصبغ. - المؤلّف -

عليهم زياد بن أبيه ففعل بهم الأفاعيل. ولقد أشار جلساء السّوء على يزيد بن معاوية – لـمّا جيء إليه باُسارى آل الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) - بمثل ما أشار به عمرو بن العاص على أبيه معاوية ، وذلك أنّ يزيد لـمّا جيء إليه بالسبايا والاُسارى يوم كربلاء ، استشار أهلَ الشام فيما يصنع بهم ، فأشار بعضهم بقتلهم ، وتكلّم بكلمة لا يطيق اللسان التكلّم بها ، فقال له النّعمان بن بشير : انظر ما كان رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يصنعه بهم ، فاصنعه بهم.

ونظر رجل من أهل الشام أحمر إلى فاطمة بنت الحسين (عليهما‌السلام) فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه الجارية. قالت فاطمة : فارتعدت وظننت أنّ ذلك جائز عندهم ، فأخذت بثياب عمّتي زينب ، وقلت : يا عمّتاه ! أوتمت واُستخدم ؟! وكانت عمّتي تعلم أنّ ذلك لا يكون ، فقالت عمّتي : لا حبّاً ولا كرامة لهذا الفاسق. وقالت للشامي : كذبت والله ولؤمت ، والله ما ذاك لك ولا له. فغضب يزيد وقال : كذبت ، إنّ ذلك لي ولو شئت أنْ أفعل لفعلت. قالت زينب : كلاّ والله ، ما جعل الله لك ذلك إلّا أنْ تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها. فاستطار يزيد غضباً وقال : إيّاي تستقبلين بهذا ! إنّما خرج من الدّين أبوك وأخوك. قالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدّك وأبوك إنْ كنت مسلماً. قال : كذبتِ يا عدوّة الله. قالت له : أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك. فكأنّه استحيا وسكت. فعاد الشامي فقال : هب لي هذه الجارية. فقال له يزيد : اعزب ، وهب الله لك حتفاً قاضياً.

وفي رواية : فقال الشامي : مَن هذه الجارية ؟ فقال : هذه فاطمة بنت الحسين ، وتلك زينب بنت علي. فقال الشامي : الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب ؟! فقال : نعم. فقال الشامي : لعنك الله يا يزيد ، تقتل عترة نبيّك وتسبي ذرّيّته ! والله ، ما توهّمت إلّا أنّهم من سبي الروم. فقال يزيد : والله لألحقنّك بهم. ثمّ أمر به فضُربت عنقه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فقُلْ لسرايا شَيبةِ الحَمدِ ما لكمْ  |  | قعدتُمْ وقدْ ساروا بنسوتِكُمْ أسرَى  |
| وأعظمُ ما يُشجي الغيورَ دخولُها  |  | إلى مجلسٍ ما بارحَ اللهوَ والخمْرا  |
| يقارضُها فيهِ يزيدُ مَسبَّةً  |  | ويَصرفُ عنها وجهَهُ مُعرضاً كِبرا  |

\* \* \*

المجلس الستّون بعد المئة

لـمّا كان يوم صفّين ، نادى أبو شجاع الحِميري ، وكان من ذوي البصائر ، وكان مع علي (عليه‌السلام) ، فقال : يا معشر حِمْيَر ، أترون معاوية خيراً من علي ؟! أضلّ الله سعيكم. ثمّ أنت يا ذا الكلاع ، فوالله ، إنْ كنّا نرى أنّ لك نيّة في الدين. فقال ذو الكلاع : إيهاً يا أبا شجاع ، والله، ما معاوية بأفضل من علي ، ولكن إنّما اُقاتل على دم عثمان.

وعُبّئت قبائل حمير مع ذي الكلاع ، وفيهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، لتقاتل قبيلة بكر بن وائل من قبائل ربيعة ، وكانت مع علي (عليه‌السلام) ، فقاتلوا قتالاً شديداً حتّى خافوا الهلاك ، فقال رجل لعبد القيس : لا بكر بعد اليوم ؛ إنّ ذا الكلاع وعبيد الله أبادا ربيعة ! فانهضوا لهم وإلّا هلكوا. فركبت عبد القيس وجاءت كأنها غمامة سوداء ، فشدّت إزاء الميسرة ، فعظم القتال، وقُتل ذو الكلاع الحميري ، قتله رجل من بكر بن وائل ، اسمه خندف.

وتضعضعت أركان حمير ، وثبتت بعد ذي الكلاع تحارب مع عبيد الله بن عمر ، وبعث عبيد الله بن عمر إلى الحسن بن علي (عليهما‌السلام) ، فقال : إنّ لي إليك حاجة فالقني. فلقيه الحسن (عليه‌السلام) ، فقال له عبيد الله : إنّ أباك قد وتر قريشاً أوّلاً وآخراً ، وقد أبغضوه ، فهل لك إلى أنْ تخلعه ونولّيك هذا الأمر ؟ قال : (( كلاّ والله ، لا يكون ذلك )). ثمّ قال له الحسن (عليه‌السلام) (( لكأنّي أنظر إليك مقتولاً في يومك أو

غدك ، أما إنّ الشيطانَ قد زيّن لك ، وخدعك حتّى أخرجك مخلَّقاً بالخلوق ، تُري نساء أهل الشام موقفك ، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً )).

قال : فوالله ، ما كان إلّا كيوم أو كالغد ، وكان القتال ، فخرج عبيد الله في كتيبة رقطاء ، وهي الخُضريّة ، كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر ، إذ مرّ الحسن (عليه‌السلام) فإذا هو برجل متوسّد رجلاً قتيلاً ، قد ركز رمحه في عينه ، وربط فرسه برجله ، فقال الحسن (عليه‌السلام) لـمَن معه : (( انظروا مَن هذا ؟ )). فإذا هو برجل من همدان ، فإذا القتيل عبيد الله ، قد قتله وبات عليه حتّى أصبح ، ثمّ سلبه.

وكان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لعمّار : (( تقتلك الفئة الباغية )). فلمّا سمع ذو الكلاع أنّ عمّاراً مع علي (عليه‌السلام) اضطرب ، فقال له عمرو : إنّه سيرجع إلينا. ثمّ قُتل ذو الكلاع في اليوم الذي قُتل فيه عمّار ، فقال عمرو : والله يا معاوية ، ما أدري بقتل أيّهما أنا أشدّ فرحاً ، والله ، لو بقي ذو الكلاع حتّى يُقتل عمّار ، لمال بعامّة قومه إلى علي ، ولأفسد علينا جندنا. وقال معاوية : لأنا أشدّ فرحاً بقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو فُتحت.

ولـمّا قُتل ذو الكلاع ، أقبل ولده إلى سعيد بن قيس الهمداني ، واستأذنه في أخذ جُثّة أبيه فأذن له ، فدخل من قِبل الميمنة ، فطاف في العسكر فلم يجده ، ثمّ أتى الميسرة فطاف في العسكر ، فوجده قد ربط رجله بطنب من أطناب فساطيط العسكر ، فوقف على باب الفسطاط، فقال : السّلام عليكم يا أهل البيت. فقيل له : وعليك السّلام. وكان معه عبد له أسود لم يكن معه غيره ، فقال : أتأذنون لنا في طنب من أطناب فسطاطكم ؟ قالوا : قد أذنّا لكم. ثمّ قالوا : معذرة إلى ربّنا عزّ وجل وإليكم ، أما إنّه لولا بغيه علينا ما صنعنا به ما ترَون. فنزل ابنه والعبد الذي معه إليه - وكان من أعظم النّاس خلقاً ، وقد انتفخ شيئاً - فلم يستطيعا احتماله ، فقال ابنه : هل من فتىً مِعوان ؟ فخرج إليه

خندف البكري ، فقال : تنحّوا. فقال له ابن ذي الكلاع : ومَن يحمله إذا تنحّينا ؟ قال : يحمله الذي قتله. فاحتمله خندف ، ثمّ رمى به على ظهر البغل ، ثمّ شدّه بالحبال فانطلقوا به.

يمثّل خِطاب ابن ذي الكلاع لأهل الفسطاط ، واعتذارهم إليه ، الرقَّة والشهامة ، والآداب والأخلاق الكريمة العربيّة ، وكانت النّاس - لا سيّما العرب - تحافظ على الميّت أو القتيل ، فتتوسل بكلّ وسيلة إلى دفنه وحفظ جسده ، لا سيّما إذا كان من أجلاّء النّاس.

وجاء الدين الإسلامي بذلك ، فجعل حرمة المؤمن ميتاً كحرمته حيّاً ، لكنّ ابن سعد وابن زياد وحزبهما ، لـمّا قتلوا الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه ، شوّهوا وجه الأخلاق العربيّة ، ولم يراعوا حرمة الدّين وحرمة الإسلام ، ولا حرمة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وهم يدّعون الإسلام. فأقبل ابن سعد على قتلاه فدفنهم ، وترك الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه بلا دفن ، مطرّحين على وجه الأرض جثثاً بلا رؤوس ، تصهرهم الشمس ، وتسفي عليهم السّوافي من الرمال حتّى بقوا على هذه الحالة ثلاثة أيام ، إلى أن جاء بنو أسد فدفنوهم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ثَوَوا عَطاشَى على البوغاءِ تحسَبُهُمْ  |  | تحتَ الدُّجَى في الفيافي الأنجُمَ الشُّهبَا  |
| مُجرَّدينَ على الرمضاءِ قدْ لبسُوا  |  | منَ الـمَهابةِ أبراداً لها قُشبا  |
| مضرَّجينَ بمُحْمرِّ النَّجيعِ بنَى  |  | نَبلُ العِدى والقنَا منْ فوقِهمْ قُبَبا  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما إنْ بقيتَ مِن الهوانِ على الثَّرى  |  | مُلقىً ثلاثاً في رُبىً ووهادِ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لكنْ لكَي تَقضي عليكَ صلاتَهَا  |  | زُمَرُ الـمَلائكِ فوْقَ سبعِ شِدادِ  |

\* \* \*

المجلس الحادي والستّون بعد المئة

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : إنّ معاوية دعا بُسر بن أبي أرطأة ، وكان قاسي القلب، فظّاً سفّاكاً للدماء ، لا رأفة عنده ولا رحمة ، فأمره أنْ يذهب إلى المدينة ومكّة واليمن ، وقال له : اقتل شيعة علي حيث كانوا. فمضى في ألفين وستمئة حتّى دخل المدينة ، وعامل علي (عليه‌السلام) عليها أبو أيوب الأنصاري ، فخرج عنها هارباً.

ودخلها بُسر ، فشتمهم وهدّدهم وأحرق دوراً كثيرة ، ثمّ خرج إلى مكّة وقتل في طريقه رجالاً وأخذ أموالاً ، فلمّا قرب من مكّة ، هرب قثم بن العبّاس عامل علي (عليه‌السلام) عليها ، ودخل بُسر، فشتم أهلها وأنّبهم ، ثمّ خرج إلى الطائف ، ثمّ خرج منها إلى اليمن ، فقتل أبا كرب الهمداني سيّدَ مَن بالبادية من همدان ، وكان يتّشيع. وكان الذين قتلهم بُسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً ، وحرق قوماً بالنّار ، وأتى صنعاء فهرب منها عبيد الله بن العبّاس ، ودخلها بُسر ، فأخذ ولدين صغيرين لعبيد الله بن العبّاس ، فذبحهما على درج صنعاء.

قال المبرد في الكامل : فيقال : أنّه أخذهما من تحت ذيل اُمّهما فقتلهما ، فقالت اُمّهما :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ها مَنْ أحسَّ بابنَي اللَذَينِ هُمَا  |  | كالدُّرَّتينِ تشظَّى عنهُما الصَّدَفُ  |
| ها مَنْ أحسَّ بابنَي اللَذَينِ هُمَا  |  | سمْعِي وقلبي فقلبي اليومَ مُختطَفُ  |
| ها مَنْ أحسَّ بابنَي اللَذَينِ هُمَا  |  | مُخُّ العظامِ فمخِّي اليوم مزدهَفُ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نُبّئتُ بُسراً وما صدَّقتُ ما زَعِموا  |  | منْ قِيلهمْ ومن الإفكِ الذي اقتَرفُوا  |
| أنحَى على وَدَجَي طفلَيَّ مُرهَفةً  |  | مَشحُوذةً وكذاك الإثمُ يُقتَرفُ  |
| مَنْ دلَّ والهةً حرَّى مُفجَّعةً  |  | على صبيَّين ضلاّ إذ مضَى السَّلفُ  |

وقد اتّخذ أتباع بني اُميّة ذبح الأطفال عادة لهم ؛ بغياً منهم وعتوّاً حتّى آل الأمر إلى يزيد بن معاوية ، وجهّز عبيد الله بن زياد الجيوش بأمره لقتال الحسين (عليه‌السلام) ، وقُتلت أنصار الحسين (عليه‌السلام) وأهل بيته ، وبقي وحيداً فريداً ، فتقدّم إلى باب الخيمة ، وقال لزينب : (( ناوليني ولدي الرضيع حتّى اُودعه )). فاُتي بابنه عبد الله ، فأخذه وأجلسه في حجره ، وأومأ إليه ليقبّله ، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فوقع في نحره فذبحه ، فقال (عليه‌السلام) لزينب : (( خُذيه )). ثمّ تلّقى الدم بكفّيه ، فلمّا امتلأتا ، رمى بالدم نحو السّماء ، ثمّ قال : ((هوّن عليّ ما نزل به ، أنّه بعين الله )). وفي رواية : أنّه قال : (( اللهمّ ، لا يكون أهون عليك من فصيل... )).

قال الإمام الباقر (عليه‌السلام) : (( فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض )).

وفي رواية : أنّه صبّه في الأرض ، ثمّ قال : (( يا ربّ ، إنْ كنتَ حسبتَ عنّا النَّصر من السّماء ، فاجعل ذلك لما هو خير منه ، وانتقم لنا من هؤلاء القوم الظالمين )). ثمّ حمله حتّى وضعه مع قتلى أهل بيته. وفي رواية : أنّه حفر له بجفن سيفه ، ورمّله بدمه فدفنه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صبيٌ وهو بينَ يَدَي أبيهِ  |  | اُصيبَ فأيُّ ذنبٍ للصبيِّ  |

ومن الأطفال الذين قتلهم أتباع بني اُميّة يوم طفّ كربلاء ؛ بغياً وعتوّاً وجرأة على الله ورسوله ، غلام خرج من خباء من أخبية الحسين (عليه‌السلام) ، فأخذ بعود من عيدان الخباء وهو مذعور ، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان ، فحمل عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف فقتله ، فصارت اُمّه شهربانويه تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كَمْ لَكمْ منْ صِبيةٍ ما أبدَلتْ  |  | ثَمّ منْ حاضنةٍ إلّا رمَالا  |
| سَلْ بحِجرِ الحربِ ماذا رَضَعتْ  |  | فَثديُّ الحربِ قدْ كُنَّ نِصالا  |
| رضَعتْ منْ دَمِها الموتَ فيَا  |  | لرضاعٍ عادَ بالرّغمِ فِصالا  |

ومن الأطفال الذين قتلهم جيش يزيد يوم كربلاء ؛ بغياً وعناداً واجتراءً على الله تعالى ، عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وذلك لـمّا ضعف الحسين (عليه‌السلام) عن القتال ، وجلس على الأرض ، فخرج عبد الله ، وهو غلام لمْ يراهق ، من عند النّساء ، فلحقته زينب بنت علي (عليهما‌السلام) لتحبسه ، فقال لها الحسين (عليه‌السلام) : (( احبسيه يا اُختي )) ؛ وذلك لعلمه ببغي أهل الكوفة وجرأتهم على قتل الأطفال.

فأبى الطفل وامتنع عليها امتناعاً شديداً ، وجاء يشتدّ إلى عمّه الحسين (عليه‌السلام) حتّى وقف إلى جنبه ، وقال : لا اُفارق عمّي. فأهوى بحر بن كعب إلى الحسين (عليه‌السلام) بالسيف ، فقال الغلام : ويلك يابن الخبيثة ! أتقتل عمّي ؟! فضربه بحر بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد ، فإذا هي معلّقة ، فنادى الغلام : يا عمّاه ! - أو يا اُمّاه ! - فأخذه الحسين (عليه‌السلام) فضمّه إلى صدره ، وقال : (( يابن أخي ، اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير ، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين ؛ برسول الله وعلي وحمزة وجعفر والحسن صلّى الله عليهم أجمعين )). فرماه حرملة بسهم فذبحه ، وهو في حجر عمّه ، فرفع الحسين (عليه‌السلام) يدَيه وقال : (( اللهمّ ، امسك عنهم قطرَ السّماء ، وامنعهم بركات الأرض. اللهمّ ، فإنْ متّعتهم إلى حين ، ففرّقهم فرقاً ، واجعلهم طرائقَ قِدداً ، ولا تُرضِ الولاة منهم أبداً ؛ فإنّهم دعونا لينصرونا ثمّ عدوا علينا فقتلونا )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هَبُوا أنّكُمْ قاتلتمُ فقتلتُمُ  |  | فما بالُ أطفال تُقاسي نبالَها  |

ودعا علي (عليه‌السلام) على بُسر ، فقال : (( اللهمّ ، لا تمته حتّى تسلبه عقله

، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار )). فلم يلبث بعد ذلك ألا يسيراً حتّى ذهب عقله ، وكان يهذي بالسيف ويقول : أعطوني سيفاً اُقتل به. ولا يزال يردّد ذلك حتّى اتّخذ سيفاً من خشب ، وكانوا يدنون منه المرفقة ، فلا يزال يضربها حتّى يغشى عليه ، فلبث كذلك إلى أنْ مات.

وقد كان مسلم بن عقبة وعبيد الله بن زياد ليزيد ، كما كان بُسر لمعاوية ؛ أمّا مسلم بن عقبة، فهو صاحب وقعة الحَرّة التي أباح فيها المدينة ثلاثاً ، وبايع النّاس على أنّهم عبيداً رقّاً ليزيد بن معاوية ؛ وأمّا عبيد الله بن زياد ، فهو الذي بعث العساكر لقتال الحسين (عليه‌السلام) ؛ إرضاءً ليزيد بن معاوية ، ولم يكفهِ ذلك حتّى أمرهم بمنع الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه الماء ، فنفّذ ذلك ابن سعد، ومنع الحسين (عليه‌السلام) وعياله وأطفاله الماء ، وجعل يطلب شربة من الماء فلا يجاب ، وكلّما حمل بفرسه على الفرات ، حملوا عليه حتّى كشفوه عنه إلى أنْ قتلوه عطشانَ ظامياً.

ولم يكفهم ذلك ، حتّى أمر ابن زياد أنْ يُوطئوا الخيل صدرَ الحسين (عليه‌السلام) وظهره بعد القتل، ففعل ابن سعد ذلك ، ولم يكفهم هذا كلّه حتّى حملوا رأسه الشريف ، ورؤوس أصحابه وأهل بيته على أطراف الرماح ، وسبوا نساءه وعياله وبنات رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من بلد إلى بلد :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بَنى لَهُمُ الماضونَ آساسَ  |  | هَذِهِ فَعَلّوا عَلى آساسِ تِلكَ القَواعِدِ  |
| أَلا لَيسَ فِعلُ الأَوَّلينَ وَإِنْ  |  | عَلا عَلى قُبحِ فِعلِ الأَخَرينَ بِزائِدِ  |

المجلس الثاني والستّون بعد المئة

\* \* \*

ذكر غير واحد من المؤرّخين : إنّ عليّاً (عليه‌السلام) لـمّا عاد من صفّين

إلى الكوفة بعد أمر الحكمين ، قام ينتظر انقضاء المدّة التي كانت بينه وبين معاوية ليرجع إلى حربه، إذ انعزلت طائفة من أصحابه في أربعة آلاف ، وهم من العبّاد والنسّاك ، فخرجوا من الكوفة وأنكروا أمر التحكيم ، وقالوا : لا حكمَ إلّا لله. فقال علي (عليه‌السلام) : (( كلمة حقٍّ يُراد بها باطل )). وانحاز إليهم نحو من ثمانية آلاف ، فصاروا في اثني عشر ألفاً ، ونزلوا مكاناً يُسمى حروراء ؛ فسُمّوا : الحروريّة.

واحتجّ عليهم أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، فقال : (( ألم اَقُلْ لكم في يوم رفع المصاحف : إنّ أهل الشام يخدعونكم بها ؛ فإنّ الحرب قد عضّتهم ، فذروني اُناجزهم فأبيتم ؟ ألم اُردْ أنْ أبعث ابن عمّي عبد الله بن عباس ليكون حكماً ؛ فإنّه رجل لا يُخدع ، فأبيتم وجئتموني بأبي موسى وقلتم رضينا به ؟ ثمّ شرطتُ على الحكمين أنْ يحكما بما أنزل الله في القرآن ، من فاتحته إلى خاتمته ، وأنّهما إنْ لمْ يفعلا فلا طاعة لهما عليَّ ؟ )). قالوا : صدقت ، فلمَ لا ترجع إلى حرب القوم ؟ قال (عليه‌السلام) : (( حتّى تنقضي المدّة التي بيننا وبينهم )). فرجع منهم طائفة.

ثمّ اجتمعوا بالنهروان ، ولقيهم عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وفي عنقه مصحف ، ومعه امرأته ، فقالوا : ما تقول في عليٍّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنّه أعلم بالله منكم ، وأشدّ توقّياً على دينه ، وأنفذ بصيرة. قالوا : إنّك تتبع الهوى ، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، والله ، لنقتلنّك قتلةً ما قتلناها أحداً. فأخذوه وكتّفوه ، ثمّ أقبلوا به وبامرأته ، وهي حبلى متم ، فنزلوا تحت نخل ، فسقطت منه رطبة ، فوضعها أحدهم في فيه ، فقال له الآخر : أخذتها بغير ثمن ! فألقاها. ومرّ بهم خنزير لأهل الذمّة ، فضربه أحدهم بسيفه، فقالوا : هذا فساد في الأرض ، فارضِ صاحب الخنزير.

فلمّا رأى ذلك عبد الله بن خباب ، قال : إنّي مسلم ، ما أحدثت في الإسلام حدثاً ، ولقد أمّنتموني قلتم لا روع عليك. فلم يلتفتوا إلى كلامه ، وقالوا له : هذا الذي في عنقك يأمرنا

بقتلك. ثمّ قرّبوه إلى شاطئ النّهر ، فأضجعوه وذبحوه ، فسال دمه في الماء ، وأقبلوا إلى امرأته ، فقالت : أنا امرأة ، ألاَ تتّقون الله ؟ فبقروا بطنها.

وخرج علي (عليه‌السلام) بأصحابه حتّى نزل على فرسخين من النّهروان ، فأرسل إليهم أوّلاً ابن عبّاس ، ثمّ جاء إليهم بنفسه ، فقال (عليه‌السلام) : (( ما الذي نقمتم به علي ؟ )). قالوا : نقمنا عليك أنّك أبحتنا عسكر أهل البصرة ، ومنعتنا النّساء والذرّيّة. فقال (عليه‌السلام) لهم : (( إنّ أهل البصرة قاتلونا ، فاقتسمتم سلب مَن قاتلكم ، والنّساء لم تُقاتل ، والذرّيّة ولدوا على الفطرة ، ولم ينكثوا ولا ذنب لهم ، ولقد مَنّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) على المشركين ، فلا تعجبوا إنْ مننتُ على نسائهم وذريّاتهم )). قالوا : ونقمنا عليك أنّك حكمت في دين الله برأينا. فقال (عليه‌السلام) : (( أما تعلمون أنّ الله تعالى قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته ، فقال :( فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا )(1). وفي صيد اُصيب [ في الحرم ] كأرنب يساوي نصف درهم ، فقال :( يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ )(2) )). قالوا : ونقمنا عليك أنّك محوت اسمك من إمارة المؤمنين يوم صفّين حين كُتب كتاب الصلح ؛ وذلك أنّه قال لكاتبه : (( اكتب ، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان )). فلم يقبل معاوية ، فقال أمير المؤمنين (عليه‌السلام) للكاتب : (( اكتب ، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ، ومعاوية )).

فقال لهم : (( أنا كنت كاتب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يوم الحديبيّة ، فقال لي : اكتب ، هذا ما اصطلح عليه محمّد رسول الله ، وسهيل بن عمرو. فقال سُهيل : لو علمنا أنّك رسول الله ، لـمَا صددناك ولا قاتلناك. فأمرني رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فمحوت ذلك وكتبت : هذا ما اصطلح عليه محمّد بن عبد الله ، وسهيل. وإنّما محوت اسمي من إمرة المؤمنين ، كما محا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) اسمه من الرسالة ، وكان لي به اُسوة )).

قالوا : وإنّك قلت للحكمين : (( انظرا في كتاب الله ، فإنْ كنتُ أفضل من معاوية ، فأثبتاني في الخلافة ، وإلّا فأثبتاه )).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النساء / 35.

(2) سورة المائدة / 95.

فإنْ كنت شاكّاً ، فنحن فيك أعظم شكّاً. فقال (عليه‌السلام) : (( إنّما أردت بذلك النّصفة ، كما قال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لنصارى نجران :( تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ )(1) )). قالوا : ونقمنا عليك أنّك حكمت حُكماً في حقّ هو لك. فقال (عليه‌السلام) : (( إنّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حكّم سعد بن معاذ في بني قُريظة ، ولو شاء لم يفعل )). فصاح منهم جماعة من كلّ ناحية : التوبة التوبة يا أمير المؤمنين ! فاستأمن منهم ثمانية آلاف ، وبقي أربعة آلاف مصّرين على حربه ، فقاتلهم حتّى أفناهم ، ولم يَسلَم منهم غير تسعة أنفس.

فياليت : أمير المؤمنين (عليه‌السلام) الذي أفنى الخوارج بسيفه ، لا غاب عن يوم كربلاء ، ليرى خوارج أهل الكوفة الذين حاربوا ولده الحسين (عليه‌السلام) ، بل كانوا شرّاً من الخوارج. ولم تفعل فرقة من الفرق الضالّة ، مهما بلغت في الضلال وقساوة القلب ، ما فعله أهل الكوفة مع أهل بيت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ولم يجرِ في حرب من حروب الدنيا من الفظاعة ما جرى من أهل الكوفة في حرب ذرّيّة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؛ فكم من طفل بالسهام ذبحوه ! وآخر بالسيوف قطعوه ! ذبحوا عبد الله الرضيع بالسهم ، وهو بين يدي أبيه الحسين (عليه‌السلام) ، وذبحوا عبد الله بن الحسن بالسهم، وهو في حجر عمّه الحسين (عليه‌السلام) ، بعدما ضربوه على يمينه بالسيف فقطعوها وبقيت معلّقة ، ومنعوا الحسين (عليه‌السلام) وعياله وأطفاله من ورود الماء ، وتركوه وأصحابه على وجه الصعيد جُثثاً بلا رؤوس ، تصهرهم الشمس ، وتسفي عليهم الرياح :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فيا وقعةً لمْ يُحدثْ الدَّهرُ مثْلَها  |  | يَبيدُ الليالي ذكرُهَا وهو خالدُ  |
| لألبستِ هذا الدِّينَ أثوابَ ذلَّةٍ  |  | ترثُّ لها الأيامُ وهيَ جدَائدُ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة آل عمران / 61.

المجلس الثالث والستّون بعد المئة

في العقد الفريد وغيره ، عن الشعبي ، قال : وفدت سودة بنت عُمارة بن الأشتر الهمدانيّة على معاوية بن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلمّا دخلت عليه سلّمت ، فقال لها : كيف أنت يابنة الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين. قال لها : أنت القائلة لأخيك :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شَمِّر كفعلِ أبيكَ يابنَ عُمارةٍ  |  | يومَ الطَّعانِ ومُلتقَى الأقرانِ  |
| وانصُر عليّاً والحُسينَ ورهطَهُ  |  | واقْصُدْ لهندٍ وابنِها بهوانِ  |
| إنّ الإمامَ أخا النّبيِّ محمّدٍ  |  | عَلمُ الهُدى ومنارةُ الإيمانِ  |
| فَقُدِ الجيوشَ وسُرْ أمامَ لوائِهِ  |  | قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسنانِ  |

قالت : مات الرأس ، وبُتر الذنب ، فدَعْ عنك تذكار ما قد نسي. قال : هيهات ! ليس مثل مقام أخيك يُنسى. قالت : صدقت والله ، ما كان أخي خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وإنّ صَخْراً لتأتمُّ الهُداةُ بهِ  |  | كأنّهُ عَلمٌ في رأسهِ نارُ  |

وبالله أسأل اعفائي ممّا استعفيته. قال : قد فعلت ، فقولي حاجتك. قالت : إنّ الله سائلك عمّا افترض عليك من حقّنا ، ولا تزال تُقدّم علينا مَن ينهض بعزّك ، ويبسط بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السُّنبل ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة ؛ هذا ابن أبي أرطأة قدم بلادي ، وقتل رجالي وأخذ مالي ، ولولا الطاعة ، لكان فينا عزٌّ ومنعة ، فإمّا عزلته فشكرناك ، وإمّا لا ، فعرفناك. فقال معاوية : إيّاي تهدّدين بقومك ! والله ، لقد هممت أنْ أردّك إليه على قتب أشرس ، فينفذ حكمه فيك. فسكتت ، ثمّ قالت :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صلَّى الإلهُ على روحٍ تضمَّنهُ  |  | قبرٌ فأصبحَ فيه العدلُ مدْفُونا  |
| قدْ حالفَ الحقَّ لا يبغِي به ثَمناً  |  | فصارَ بالحقِّ والإيمانِ مقرُونا  |

قال : ومَن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب (عليه‌السلام). قال : ما أرى عليك منه أثراً ؟ قالت: بلى ، أتيته يوماً في رجل ولاّه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغثّ والسّمين ، فوجدته قائماً يُصلّي ، فانفتل من الصلاة ، وقال برأفة وتعطّف : (( ألك حاجة ؟ )). فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه إلى السّماء ، فقال : (( اللهمّ ، إنّي لمْ آمرهمْ بظُلم خلقك ، وترك حقّك)). ثمّ أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيها : (( ( بسم الله الرحمن الرحيم ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيّنَةٌ مِنْ رَبّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْيَاءَهُمْ )(1).( وَلَا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ )(2).( بَقِيّتُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ )(3). إذا أتاك كتابي هذا ، فاحتفظ بما في يديك حتّى يأتي مَن يقبضه منك ، والسّلام )). فعزله.

فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها ، والعدل عليها. فقالت : ألي خاصة أم لقومي عامّة؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : والله ، هي إذاً الفحشاء واللؤم. إنْ كان عدلاً شاملاً ، وإلّا يسعني ما يسع قومي. قال : هيهات ! علّمكم ابن أبي طالب الجُرأة ، وغرّكم قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فلو كُنتُ بوَّاباً على بابِ جنَّةٍ  |  | لقلتُ لهمدانَ ادخُلي بسلامِ  |

وقوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ناديتَ همدانَ والأبوابُ مُغلقةٌ  |  | ومثلُ همدان سنَّى فتحةَ البابِ  |
| كالهُندُوانيِّ لمْ تُغلَلْ مضاربُهُ  |  | وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجَّابِ  |

اكتبوا لها حاجتها.

هكذا كانت عادة الملوك والاُمراء في الحلم عن النّساء ، وإكرامهنّ والرأفة بهنّ ، وعدم مؤاخذتهنّ بشيء من القول ؛ لأنّهن ضعيفات ، إلى أنْ آل الأمر إلى ابن زياد ، واُدخلت عليه حوراء

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأعراف / 85.

(2) سورة البقرة / 60.

(3) سورة هود / 86.

النّساء زينب بنت علي (عليهما‌السلام) ، فإنّه لم يُكرمها بشيء ، إلّا أنّه التفت إليها ، وقال لها : الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب اُحدوثتكم. فقالت (عليها‌السلام) : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا. فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين ، وأهل بيتك ؟ قالت : ما رأيت إلّا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم ، فانظر لـمَن الفلج يومئذ ، هبلتك اُمّك يابن مرجانة !

فغضب ابن زياد واستشاط ، وكأنّه همّ بها ، فقام اليه عمرو بن حريث ، وقال : إنّها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. فقال لها ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين، والعصاة الـمَرَدة من أهل بيتك. فرقّتْ زينب وبكتْ ، وقالت له : لعمري ، لقد قتلتَ كهلي وأبرزتَ أهلي ، وقطعتَ فرعي واجتثثتَ أصلي ، فإنْ كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت. فقال ابن زياد : هذه سجّاعة ، ولَعمري ، لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً. فقالت : يابن زياد ، ما للمرأة وللسجعْ ؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| احْتَجْنَ تكلِيمَ الأجانبِ وهي لمْ  |  | تُفكّكْ لهُمْ أفْواهَها بشظاظِ  |
| كمْ حُرمةٍ للمُصطفَى هُتكتْ على  |  | أيدي شِدادٍ في العتوِّ غِلاظِ  |

\* \* \*

المجلس الرابع والستّون بعد المئة

في العقد الفريد : عن الشعبي ، قال : استأذنت بكارة الهلاليّة على معاوية

ابن أبي سفيان ، فأذن لها ، وهو يومئذ بالمدينة ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنّت ، وغشي بصرها وضعفت قوّتها ، ترعش بين خادمين لها ، فسلّمت وجلست ، فردّ عليها معاوية السّلام ، وقال : كيف أنت يا خالة ؟ فقالت : بخير. قال : غيّرك الدهر. قالت : كذلك هو ذو غِيَر ، مَن عاش كبُر ، ومَن مات فُقد. قال عمرو بن العاص : هي والله ، القائلة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا زيدُ دونَكَ فاحتفِرْ منْ دارِنا  |  | سيْفاً حُساماً في التُّرابِ دَفينا  |
| قدْ كُنتُ أذخرُهُ ليومِ كريهةٍ  |  | فاليومَ أبرزَهُ الزَّمانُ مَصُونا  |

قال مروان : وهي والله ، القائلة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أترَى ابن هندٍ للخلافةِ مالكاً  |  | هيهاتَ ذاك وإنْ أرادَ بعيدُ  |
| منَّتكَ نفسُكَ في الخلاءِ ضلالةً  |  | أغراكَ عمرٌو للشقا وسَعيدُ  |

قال سعيد بن العاص : هي والله ، القائلة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قدْ كنتُ أطمعُ أنْ أموتَ ولا أرَى  |  | فوقَ الـمَنابرِ من اُميّةَ خاطِبا  |
| فاللهُ أخّرَ مُدّتي فتطاوَلَتْ  |  | حتّى رأيتُ منَ الزمانِ عجائِبا  |
| في كلِّ يومٍ لا يزالُ خطيبُهُمْ  |  | بين الجميعِ لآلِ أحمدَ عائِبا  |

ثمّ سكتوا ، فقالت : يا معاوية ، أنا والله ، قائلة ما قالوا ، وما خفي عليك منّي أكثر. فضحك ، وقال : ليس يمنعنا ذلك من برّك ، اذكري حاجتك. قالت : أمّا الآن ، فلا.

هكذا يكون الإباء وعزّة النّفس ، هذه بكارة الهلاليّة ، بعد أنْ أجابت معاوية بما أجابته ، لم تقبل منه برّاً ولا عطاءً ؛ أنفة منها وحمية ؛ لأنّها علمت أنّه أراد بذلك اسكاتها ، ومع ذلك فقد أظهر الحلم عنها ، كما هي عادة الاُمراء في الإحسان إلى النّساء ولو كانت المرأة من أعدى الأعداء ، وكثيراً ما كان الأمير يحلم عن المرأة وإنْ سبّته وشتمته ، ويرى

من العار أنْ يضربها أو يشتمها ، حتّى آل الأمر إلى ابن مرجانة وابن هند , فإنّه ما كفاهما حمل بنات رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) سبايا على أقتاب المطايا من بلد إلى بلد ، كما تُحمل سبايا الروم ، حتّى قابلوهنّ من الشتم والجفاء والغلظة ، بما تقشعرّ منه الجلود ، وتنفطر له القلوب.

أمّا عبيد الله بن زياد ، فإنّه لـمّا اُدخلت عليه سبايا آل الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، قال لزينب بنت علي (عليهما‌السلام) - في جملة ما قال - : الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب اُحدوثتكم. فقالت زينب : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا. فقال : كيف رأيت فعل الله بأخيك ، وأهل بيتك؟ قالت : ما رأيت إلّا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم ، فانظر لمَن الفلج ، هبلتك اُمّك يابن مرجانة !

فاستشاط غضباً ، وكأنّه همّ بضربها ، فقال له عمرو بن حريث : إنّها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. فقال لها ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين ، والعصاة الـمَرَدة من أهل بيتك. فرقّتْ زينب وبكتْ ، وقالت له : لَعمري ، لقد قتلتَ كهلي وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي واجتثثت أصلي ، فإنْ كان هذا شفاؤك ، فقد اشتفيت.

وأمّا يزيد ، فإنّه لـمّا اُدخلت عليه نساء الحسين (عليه‌السلام) ، التفت إلى سكينة بنت الحسين (عليه‌السلام) ، وقال لها : كيف رأيتِ صُنع الله بكم ؟ قالت : أقصر عن كلامك يابن الطليق ، حرمُك وجوارك خلف السّتور ، وبنات رسول الله سبايا !

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فقُلْ لسرايا شَيبةِ الحَمدِ ما لكمْ  |  | قعدتُمْ وقدْ ساروا بنسوتِكُمْ أسرَى  |
| وأعظمُ ما يُشجي الغيورَ دخولُها  |  | إلى مجلسٍ ما بارحَ اللهوَ والخمْرا  |
| يقارضُها فيهِ يزيدُ مَسبَّةً  |  | ويَصرفُ عنها وجهَهُ مُعرضاً كِبرا  |

\* \* \*

المجلس الخامس والستّون بعد المئة

في كتاب المستطرف : إنّ معاوية لـمّا ولي الخلافة ، وانتظمت له الاُمور ، وامتلأت منه الصدور ، واُذعن لأمره الجمهور ، وساعده في مراده القَدر المقدور ، استحضر ليلةً خواصّ أصحابه وذاكرهم وقائع صفّين ، ومَن كان يتولّى كبر الكراهية من المعروفين ، فانهمكوا في القول الصحيح والمريض ، وآلَ حديثهم إلى م‍َن كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليه بزيادة التحريض ، فقالوا : امرأة من أهل الكوفة تُسمّى : الزرقاء بنت عدي. كانت تتعمّد الوقوف بين الصفّين ، وترفع صوتها صارخةً بأصحاب علي (عليه‌السلام) ، تُسمعهم كلاماً كالصوارم ، مستحثّة لهم بقولٍ لو سمعه الجبان لقاتل ، والمُدبر لأقبل ، والـمُسالم لحارب ، والفارّ لكرّ ، والمتزلزل لاستقرّ.

فقال لهم معاوية : أيّكم يحفظ كلامها ؟ فقالوا : كلّنا نحفظه. قال : فما تشيرون عليّ فيها ؟ قالوا : نشير بقتلها ؛ فإنّها أهل لذلك. فقال لهم : بئس ما أشرتم ! وقبحاً لِما قلتم ! أيحسن أن يشتهر عنّي ، أنّني بعد ما ضفرت وقدرت ، قتلت امرأة قد وفت لصاحبها ؟ إنّي إذاً للئيم.

ثمّ دعا بكاتبه ، فكتب كتاباً إلى واليه بالكوفة : أنْ أنفذ إليّ الزّرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها ، وفرسان من قومها ، ومهّد لها وطاءً ليّناً ، ومركباً ذلولاً. فلمّا ورد عليه الكتاب ، ركب إليها وقرأه عليها ، فقالت : ما أنا بزائغة عن الطاعة. فحملها في هودج ، وجعل غشاءه خزّاً مُبطّناً ، ثمّ أحسن صحبتها. فلمّا قدمت على معاوية ، قال لها : مرحباً وأهلاً ، قدمتِ خيرَ مقدمٍ قدمهُ وافد ، كيف حالك يا خالة ؟ وكيف رأيت مسيرك ؟ قالت : خيرُ مسير. فقال : هل تعلمين لِمَ بعثتُ إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلّا الله سبحانه وتعالى. قال : ألستَ راكبة الجمل الأحمر

يوم صفّين ، وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب ، وتحرّضين على القتال ؟ قالت : نعم. قال: فما حملك على ذلك ؟ قالت : إنّه قد مات الرأس ، وبُتر الذنب ، والدّهر ذو غِيَر ، ومَن تفكّر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر. فقال : صدقتِ ، فهل تحفظين ما قلتِ ؟ قالت : لا والله. قال : لله أبوك ! فلقد سمعتك تقولين : أيها النّاس ، إنّ المصباح لا يضيء في الشمس ، وإنّ الكواكب لا تُضيء مع القمر ، وإنّ البغل لا يسبق الفرس ، ولا يقطع الحديد إلّا الحديد. ألا مَن استرشد أرشدناه ، ومَن سألنا أخبرناه ، إنّ الحقّ كان يطلب ضالّة فأصابها ، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، فكأنّكم وقد التأم شمل الشتات ، وظهرت كلمة العدل ، وغلب الحقُّ باطله، فإنّه لا يستوي المحقُّ والمبطل.( أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ )(1). فالنّزال النّزال ! والصبر الصبر ! ألا وإنّ خضاب النّساء الحنّاء ، وخضاب الرجال الدماء ، والصبر خير الاُمور عاقبةً. ائتوا الحرب غير ناكصين ، فهذا يوم له ما بعده.

يا زرقاء ، أليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقد كان ذلك. قال : لقد شاركت عليّاً في كلّ دم سفكه. فقالت : أحسن الله بشارتك ، مثلك مَن يُبشّر ويسرّ جليسه. فقال معاوية : وقد سرّك ذلك ؟! قالت : أي والله ، وأنّى لي بتصديقه ؟ فقال : والله ، لوفاؤكم لعلي بعد موته ، أعجب إليّ من حبكم له في حياته ، فاذكري حوائجك ، تُقضى. فقالت : إنّي آليت على نفسي أنْ لا أسأل أحداً بعد عليٍّ (عليه‌السلام) حاجة ، ومثلك مَن أعطى من غير مسألة. قال : فأعطاها كسوةً ودراهم ، وأعادها إلى وطنها سالمةً مكرمة.

هكذا جرت عادة الملوك والاُمراء ، إنّهم إذا قدمت عليهم امرأة جليلة القدر ، يأمرون بإكرامها. أجل ، أيّ نساء أجلّ قدراً من بنات رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ونساء ولده أبي عبدالله الحسين (عليه‌السلام) ؟! وأيّ امرأة أجلّ قدراً ، وأرفع شأناً من زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما‌السلام) ؟! جدّها رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، أبوها أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، اُمّها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة السّجدة / 18.

فاطمة الزهراء بنت محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، أخواها وشقيقاها الحسن والحسين (عليهما‌السلام) ، مع ما لها من الفضل في نفسها. ومع ذلك فإنّ الدعي ابن الدعي ، عبيد الله بن زياد - لعنه الله - لمْ يُكرّمها بشيء ، بل أمر بإحضارها في مجلسه مع سائر عيالات أبي عبد الله الحسين (عليه‌السلام) ، وأسمعها أخشن الكلام وأسوأه ، فكان ممّا قاله لها : الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب اُحدوثتكم. فقالت (عليها‌السلام) : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا. فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأخيك ، وأهل بيتك ؟ فقالت : ما رأيت إلّا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم ، فانظر لـمَن الفلج يومئذ ، هبلتك اُمّك يابن مرجانة!

فغضب ابن زياد واستشاط ، وكأنّه همّ بها ، فقال له عمرو بن حريث : إنّها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. فاراد ابن زياد ان يُحرق قلبها ، فقال لها : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين ، والعصاة الـمَرَدة. فرقّتْ زينب وبكتْ ، وقالت له : لَعمري ، لقد قتلتَ كهلي وأبرزتَ أهلي ، وقطعتَ فرعي واجتثثتَ أصلي ، فإنْ كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تُصانُ بنتُ الدَّعيِّ في كللِ الـمُلْـ  |  | ـكِ وبنتُ الرَّسولِ تُبتَذلُ  |
| يُرجى رضَى الـمُصطَفَى فواعجباً  |  | تُقتَلُ أولادُهُ ويحتَملُ  |

\* \* \*

المجلس السّادس والستّون بعد المئة

في العقد الفريد ، وبلاغات النّساء ، قال : حبس مروان ، وهو والي المدينة ، غلاماً في جناية، فأتته اُمّ سنان بنت خيثمة المذحجيّة ، جدّة الغلام :

اُمّ أبيه ، فكلّمته فيه ، فأغلظ لها ، فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فعرفها ، فقال لها : مرحباً يابنة خيثمة ، ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتك تشتميننا ، وتحضّين علينا عدونا ؟! قالت : إنّ لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرةً ، وأحلاماً وافرةً ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإنّ أولى النّاس باتّباع ما سَنّ آباؤه لأنت. قال : صدقت ، فكيف قولك:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عَزَب الرُّقادُ فمقْلَتي لا تَرقدُ  |  | والليلُ يُصدِرُ بالهُمومِ ويُوردُ  |
| يا آلَ مَذْحجَ لا مُقامَ فشَمِّروا  |  | إنّ العدوَّ لآلِ أحمدَ يَ-قصدُ  |
| هذا عليٌّ كالهِلالِ تَحُفُّهُ  |  | وسطَ السَّماءِ منَ الكواكبِ أسعدُ  |
| خيرُ الخلائقِ وابنُ عمِّ محمّدٍ  |  | إنْ يهدكُمْ بالنُّورِ منهُ تَهتَدُوا  |
| ما زالَ مُذْ عرفَ الحُروبَ مُظَفَّراً  |  | والنَّصرُ فوقَ لِوائِهِ ما يُفْقَدُ  |

قالت : كان ذلك ، وأرجو أنْ تكون لنا خَلفاً. فقال رجل من جلسائه : كيف ، وهي القائلة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إمَّا هلكتَ أبا الحُسينِ فلَمْ تَزلْ  |  | بالحقِّ تُعْرَفُ هادياً مهْدِيّا  |
| فاذهَبْ عليك صلاةُ ربِّكَ ما دَعَتْ  |  | فوقَ الغُصونِ حمامةٌ قُمْريّا  |
| قدْ كُنتَ بعدَ مُحمّدٍ خَلَفاً كما  |  | أوصَى إليكَ بنا فكُنتَ وفيّا  |
| فاليوم لا خلفاً نُؤمِّلُ بعدَهُ  |  | هيهات نمدحُ بعدَهُ إنسيّا  |

قالت : لسان نطق وقول صدق ، ولئن تحقق ما ظننّا ، فحظّك الأوفر. والله ، ما ورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلّا هؤلاء ، فادحض مقالتهم وأبعد منزلتهم ؛ فإنّك إنْ فعلت ذلك ، تزدد من الله قُرباً ، ومن المؤمنين حبّاً. قال : وإنّكِ لتقولين ذلك ؟! قالت : سبحان الله ! والله ، ما مثلك مُدح بباطل ، ولا اعتُذر إليه بكذب ، وإنّك لتعلم ذلك من رأينا. كان والله ، عليٌّ أحبّ إلينا منك ، وأنت أحبّ إلينا من غيرك. قال : فما حاجتك ؟ قالت : إنّ مروان

تبنَّك بالمدينة تبنُّك مَن لا يُريد منها البراح ؛ لا يحكم بعدل ، ولا يقضي بسُنّة ، حبس ابن ابني فأتيته ، فقال : كيت وكيت ، فأسمعته أخشن من الحجر ، وألقمته أمرّ من الصّاب ، ثمّ رجعت إلى نفسي باللائمة ، وقلت : لمَ لا أصرف ذلك إلى مَن هو أولى بالعفو منه ، فأتيتك. قال : صدقتِ ، لا أسألك عن ذنبه ، والقيام بحجّته ، اكتبوا لها بإطلاقه. قالت : يا أمير المؤمنين ، وأنّى لي بالرجعة ، وقد نفد زادي وكلّت راحلتي ؟! فأمر لها براحلة ، وخمسة آلاف درهم.

وولده يزيد ، لـمّا قَدمت عليه نساء الحسين (عليه‌السلام) ، كان إكرامه لهنّ أنْ التفت إلى سكينة بنت الحسين (عليه‌السلام) ، وقال لها : كيف رأيت صنع الله بكم ؟ قالت له : اقصر عن كلامك يا بن الطليق ، حرمُك وجوارك خلف السّتور ، وبنات رسول الله سبايا ! ثمّ التفت إلى اُمّ كلثوم ، وقال : كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين ، الذي أراد أن يأخذ مُلكي ، فخيّب الله أمله وقطع رجاه ؟ فقالت : يا يزيد ، لا تفرح بقتل أخي الحسين ؛ فإنّه كان مطيعاً لله ولرسوله ، ودعاه الله إليه فأجابه ؛ وأمّا أنت يا يزيد ، فاستعدَّ للمسألة جواباً ، وأنّى لك بالجواب ؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فويلُ يزيدٍ منْ عذابِ جهنَّمِ  |  | إذا أقبلَتْ في الحشرِ فاطمةُ الطّهرُ  |
| ملابِسُها ثوبٌ منَ السُّمِ أخضرُ  |  | وآخرُ قانٍ منْ دمِ السِّبطِ مُحمَرُ  |

المجلس السّابع والستّون بعد المئة

\* \* \*

في العقد الفريد : دخلت عكرشة بنت الأطرش على معاوية متوكّئة على عكّاز ، فسلّمت عليه بالخلافة ، ثمّ جلست ، فقال معاوية : الآن صرتُ

عندكِ أمير المؤمنين ! قالت : نعم ، إذ لا عليٌّ حيٌّ. قال : ألستِ المتقلّدة حمائل السّيوف بصفّين ، وأنت واقفة بين الصفّين تقولين : أيها النّاس ، عليكم أنفسكم ، لا يضرّكم مَن ضلَّ إذا اهتديتم. إنّ الجنّة لا يرحل مَن أوطنها ، ولا يهرم مَن سكنها ، ولا يموت مَن دخلها ، فابتاعوها بدارٍ لا يدوم نعيمُها ، ولا تنصرم همومُها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقّهم.

إنّ معاوية دَلف إليكم بعجم العرب ، غُلف القلوب ، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة ؛ دعاهم بالدّنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه. فالله الله عباد الله في دين الله ! إيّاكم والتواكل ؛ فإنّ ذلك ينقض عُرى الإسلام ، ويُطفئ نور الحقّ. هذه بدر الصغرى ، والعقبة الاُخرى يا معشر المهاجرين والأنصار ، امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأنّي بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحُمُر الناهقة [ تصقع صقع البقر ، وتروث روث العتاق ]. فكأني أراكِ على عصاك هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الأطرش، فإنْ كدتِ لتقتلين أهل الشام ، لولا قدّر الله ، وكان أمر الله قدَراً مقدوراً. فما حملك على ذلك ؟

قالت : إنّ اللبيب إذا كره أمراً لا يُحب إعادته. قال : صدقت ، اذكري حاجتك. قالت : إنّها كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتُردّ على فقرائنا ، وإنّا قد فقدنا ذلك ؛ فما يجير لنا كسير ، ولا ينعش لنا فقير ، فإنْ كان ذلك عن رأيك ، فمثلك تنبّه عن الغفلة وراجع التوبة ، وإنْ كان عن غير رأيك ، فما مثلك استعان بالخَوَنة ولا استعمل الظَّلَمة. قال : يا هذه ، إنّه ينوبنا من اُمور رعيتنا اُمور. قالت : يا سبحان الله ! والله ، ما فرض الله لنا حقّاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علاّم الغيوب. قال معاوية : يا أهل العراق ، نبّهكم علي بن أبي طالب فلم تُطاقوا. ثمّ أمر بردّ صدقاتهم فيهم ، وأنصفها.

وهكذا جرت عادة

الملوك والحكّام - وإنْ كانوا من الظلمة - في الإحسان إلى النّساء ، وإنْ كُنّ من أعدى الأعداء ، حتّى آل الأمر إلى يزيد بن معاوية ، وعامله عبيد الله بن زياد ، فلم يجريا على ما يوجبه الدّين الإسلامي من إكرام نساء آل الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ولا على ما تقتضيه الشيمة العربيّة حتّى قابلوا بنات رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بما تقشعرّ منه الجلود ، وينفطر منه قلب كلّ مسلم.

فمن ذلك ، قول عبيد الله بن زياد لزينب بنت أمير المؤمنين (عليهما‌السلام) : الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب اُحدوثتكم. فقالت زينب : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا.

ومن ذلك ، قول يزيد لسكينة بنت الحسين (عليه‌السلام) : كيف رأيت صنع الله بكم ؟ قالت له : اقصر عن كلامك يا بن الطليق ، حرمُك وجوارك خلف الستور ، وبنات رسول الله سبايا ! ثمّ التفت إلى اُمّ كلثوم ، وقال : كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين ، الذي أراد أن يأخذ مُلكي ، فخيّب الله أمله وقطع رجاه ؟ فقالت : يا يزيد ، لا تفرح بقتل أخي الحسين ؛ فإنّه كان مطيعاً لله ولرسوله ، ودعاه الله إليه فأجابه ؛ وأمّا أنت يا يزيد ، فاستعدَّ للمسألة جواباً ، وأنّى لك بالجواب؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأعظمُ ما يُشجي الغيورَ دخولُها  |  | إلى مجلسٍ ما بارحَ اللهوَ والخمْرا  |
| يقارضُها فيهِ يزيدُ مَسبَّةً  |  | ويَصرفُ عنها وجهَهُ مُعرضاً كِبرا  |

\* \* \*

المجلس الثامن والستّون بعد المئة

في العقد الفريد : حجّ معاوية ، فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحُجون ، يقال لها: دارميّة الحجونيّة ، وكانت سوداء كثيرة اللحم.

فاُخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها ، فقال : ما جاء بك يابنة حام ؟ فقالت : لستُ لحامٍ إنْ عبتني ؛ أنا امرأة من بني كنانة. قال : صدقت ، أتدرين لمَ بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلّا الله. قال : بعثت إليك لأسألك : عَلامَ أحببتِ عليّاً وأبغضتني ؟ وواليته وعاديتني؟ قالت : أوَتعفيني ؟ قال : لا أعفيك. قالت : أمّا إذا أبيت ، فإنّي أحببتُ عليّاً على عدله في الرعيّة ، وقسمه بالسويّة ، وأبغضتك على قتال مَن هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك ما ليس لك بحقّ. وواليتُ عليّاً على ما عقد له رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من الولاء ، وحبّه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك في الهوى.

قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك. قالت : يا هذا ، بهند والله ، كان يُضرب المثل في ذلك لا بي. قال معاوية : يا هذه ، أربعي فإنّا لم نقلْ إلّا خيراً ، إنّه إذا انتفخ بطن المرأة تمّ خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروّى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رَزن مجلسها. فرجعت وسكتت.

[ ثم ] قال لها : يا هذه ، هل رأيت عليّاً ؟ قالت : إي والله. قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته والله ، لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النّعمة التي شغلتك. قال : فهل سمعت كلامه؟ قالت : نعم والله ، فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيتُ صدأ الطست. قال : صدقت، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أوَتفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم. قالت : تعطيني مئة ناقة حمراء ، فيها فحلها وراعيها. قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بألبانها الصغار واستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم وأصلح بها بين العشائر. قال : فإنْ أعطيتك ذلك ، فهل أحلُّ عندكِ محلَّ علي بن أبي طالب ؟ قالت : سبحان الله ! أوَ دونه ؟! فأنشأ معاوية يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا لمْ أعدْ بالحلمِّ مني عليكُمُ  |  | فمَنْ ذا الذي بعدي يُؤمَّلُ للحلمِ  |
| خُذِيها هَنيئاً واذكُرِي فِعلَ ماجدٍ  |  | جزاكِ على حربِ العداوةِ بالسّلمِ  |

ثمّ قال : أما والله ، لو كان عليٌّ حيّاً ما أعطاك منها شيئاً. قالت : لا والله ، ولا وبرة من مال المسلمين.

وحِلْم ولده يزيد - لعنه الله - على بنات رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، أنْ أمر بهنّ فحُملن إليه من كربلاء إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى الشام ، سبايا على أقتاب المطايا ، كأنّهنّ من سبايا الروم ! وهنّ حرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. ثمّ أمر بهنّ فاُدخلن إلى مجلسه على حالة تنفجّر لها العيون ، وتتصدّع لها القلوب ، وهم مُقرَّنون في الحبال ، وزين العابدين (عليه‌السلام) مغلول. فلمّا وقفوا بين يديه ، وهم على تلك الحال ، قال له علي بن الحسين (عليه‌السلام) : (( أنشدك الله يا يزيد ، ما ظنّك برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لو رآنا على هذه الصفة ؟ )). فلم يبق في القوم أحد إلاّ وبكى ، فأمر يزيد بالحبال فقُطعت ، وأمر بفكّ الغلّ عن زين العابدين (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبناتُ النّبيِّ تُهدَى سبايا  |  | لبني الأدْعِيا تُقاسي جفاهَا  |
| لابنِ مرجانةَ الدَّعيِّ وطَوراً  |  | لابنِ هندٍ تُهدى بذلِّ سباهَا  |

\* \* \*

المجلس التاسع والستّون بعد المئة

في العقد الفريد ، عن الشعبي قال : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أنْ يحمل إليه اُمّ الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية ، وأعلمه أنّه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشرِّ شرّاً بقولها فيه. فركب إليها وأقرأها الكتاب ، فقالت : أمّا أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلّة بكذب ، ولقد كنت اُحبّ لقاءه لاُمورٍ تختلج في صدري ، فلمّا شيّعها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا اُمّ الخير ، إنّ معاوية كتب إليّ أنّه مجازيني بالخير خيراً ، وبالشرّ شراً ، فمالي

عندَكِ ؟ قالت : يا هذا ، لا يُطمعك برّك بي أنْ أسرّك بباطل ، ولا تؤيسك معرفتي بك أنْ أقول فيك غير الحقّ.

فسارت خير مسير حتّى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع حرمه ثلاثاً ، ثمّ أدخلها عليه في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فسلّمت عليه بالخلافة ، فقال : وعليك السّلام يا اُمّ الخير. بحقٍّ ما دعوتني بهذا الاسم ؟ قالت : لكل أجلٍ كتاب. قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل في خير وعافية حتّى صرتُ إليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رفيق. قال معاوية : بحسن نيّتي ظفرت بكم ؟ قالت : يعيذك الله من دحض المقال وما تؤدّي عاقبته. قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمّار بن ياسر ؟ قالت: لم أكنْ زوّرته قبلُ ولا رويته بعدُ ، وإنّما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة ، فإنْ أحببت أنْ أحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت. فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أيّكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها. قال : هات. قال : كأنّي بها بين بردين كثيفي النسيج ، وهي على جمل أرمك(1) ، بيدها سوط منتشر الظفيرة ، وهي كالفحل يهدر في شقشقته ، تقول : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ )(2). إنّ الله أوضح لكم الحقّ ، وأبان الدليل وبيّن السبيل ، ولم يدعكم في عمياء مدلهمّة ، فأين تريدون رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ؟ أمْ فراراً من الزحف ؟ أمْ رغبة عن الإسلام ؟ أمْ ارتداداً عن الحقّ ؟ أمَا سمعتم الله جلّ ثناؤه ، يقول : ( وَ لَنَبْلُوَنّكُمْ حَتّى‏ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَ الصّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ )(3).

ثمّ رفعت رأسها إلى السّماء ، وهي تقول : اللهمّ ، قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يا ربّ أزمّة القلوب ، فاجمع اللهمّ ، بها الكلمة على التّقوى ، وألّف القلوب على الهدى ، واردد الحقّ إلى أهله. هلّموا - رحمكم الله - إلى الإمام العادل ، والرضي التّقي ، والصدّيق الأكبر ؛ إنّها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأرمك : الرمادي اللون.

(2) سورة الحجّ / 1.

(3) سورة محمّد / 31.

إحنٌ بدرية ، وأحقاد جاهليّة ، وثب بها واثبٌ حين الغفلة ، ليدرك ثارات بني عبد شمس.

ثمّ قالت : ( فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ )(1). صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربّكم ، وثبات من دينكم ، فكأنّي بكم غداً ، وقد لقيتم أهل الشام كحُمرٍ مستنفرةٍ فرّت من قسورة ، لا تدري أين يُسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدّنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين حين تحلّ بهم النّدامة، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص.

إنّه مَن ضلّ - والله - عن الحقّ وقع في الباطل ، ألَا إنّ أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسمَوا لها ، فالله الله أيها النّاس ، قبل أنْ تُبطل الحقوق ، وتُعطّل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون - رحمكم الله - عن ابن عمّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وصهره ، وأبي سبطيه ؟ خُلق من طينته ، وتفرّع عن نبعته ، وجعله باب دينه ، وأبان ببغضه المنافقين ، وها هو ذا مفلّق الهام ومكسّر الأصنام. صلّى والنّاس مشركون ، وأطاع والنّاس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتّى قتل مبارزيه ، وأفنى أهل اُحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، فيالها من وقائع زرعت في القلوب نفاقاً وردّة وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ! قد اجتهدتُ في القول وبالغت في النّصيحة ، وبالله التوفيق ، والسّلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية : يا اُمّ الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلّا قتلي ، ولو قتلتكِ ما حُرجت في ذلك. قالت : والله ، ما يسؤني أنْ يجري قتلي على يدي مَن يُسعدني الله بشقائه. قال : هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقولين في عثمان ؟ قالت : وما عسيت أنْ أقول فيه ! استخلفه النّاس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون. قال : هذا ثناؤك الذي تثنين ؟ ثمّ سألها عن الزّبير ، فأجابته ، ثمّ قالت : أسألك بحقّ الله أنْ تعفيني من هذه المسائل ، وتسألني عمّا شئت من غيرها. فأعفاها، وأمر لها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة التوبة / 12.

بجائزة رفيعة ، ورّدها مُكرّمة.

وابن زياد ، لـمّا اُدخلت عليه حوراء النّساء ، زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما‌السلام) ، لم يعفها من مخاطبته ، فإنّها لـمّا جلست متنكّرة ، وعليها أرذل ثيابها ، قال ابن زياد : مَن هذه ؟ فلمْ تجبه ، فأعاد القول ثانياً ، وثالثاً يسأل عنها ، فلمْ تجبه ، فقال له بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فأقبل عليها ابن زياد ، فقال : الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب اُحدوثتكم. فقالت (عليها‌السلام) : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا. فقال لها : كيف رأيت صنع الله بأخيك ، وأهل بيتك ؟ فقالت : ما رأيت إلّا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم ، فانظر لـمَن الفلج يومئذ ، هبلتك اُمّك يابن مرجانة !

فاستشاط اللعين غضباً ، وكأنّه همّ بها ، فقال له عمرو بن حريث : إنّها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. فقال ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين ، والعصاة الـمَرَدة من أهل بيتك. فرقّتْ زينب وبكتْ ، وقالت له : لَعمري ، لقد قتلتَ كهلي وأبرزتَ أهلي، وقطعتَ فرعي واجتثثتَ أصلي ، فإنْ كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبنتُ رسولِ اللهِ تُهدَى سبيّةً  |  | لنغلِ زيادِ الرّجسْ أعظِمْ بهِ خطبَا  |

\* \* \*

المجلس السّبعون بعد المئة

في العقد الفريد ، بسنده : إنّ أروى بنت الحارث بن عبد المطلب

دخلت على معاوية ، وهي عجوز كبيرة ، فلمّا رآها معاوية ، قال : مرحباً بك وأهلاً يا خالة ، فكيف كنت بعدنا ؟ فقالت يابن أخي ، لقد كفرتَ يد النعمة ، وأسأت لابن عمّك الصُحبة ، وتسمّيت بغير اسمك ، وأخذت غير حقّك ، من غير دين كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام بعد أنْ كفرتم برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فأتعس الله منكم الجدود ، وأضرع منكم الخدود ، وردّ الحقّ إلى أهله ولو كره المشركون.

وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبيّنا (صلى‌الله‌عليه‌وآله) هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده ، وتحتجّون بقرابتكم من رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر ، فكنّا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان علي (عليه‌السلام) بعد نبيّنا (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بمنزلة هارون من موسى ، فغايتنا الجنّة ، وغايتكم النّار.

فقال لها عمرو بن العاص : كُفّي أيتها العجوز الضالّة ، واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك. فقالت له : وأنت يابن النّابغة ، تتكلم واُمّك كانت أشهر امرأة تُغنّي بمكّة ، وآخذهنّ لاُجرة ! إدعاك خمسةُ نفرٍ من قريش ، فسُئلت اُمّك عنهم ، فقالت : كلّهم أتاني ، فانظروا أشبههم به. فألحقوه به ، فغَلب عليك شبه العاص بن وائل ، فلحقت به.

فقال مروان : كُفّي أيتها العجوز ، واقصري لما جئت له. فقالت : وأنت أيضاً يابن الزرقاء ، تتكلم ! ثمّ التفتت إلى معاوية ، فقالت : والله ، ما جرّأ عليّ هؤلاء غيرك ، فإنّ اُمّك القائلة في قتل حمزة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نحنُ جزيْناكُمْ بيَومِ بدْرِ  |  | والحرْبُ بعدَ الحرْبِ ذاتَ سَعْرِ  |
| ما كانَ عنْ عُتبةَ ليْ مِنْ صبْرِ  |  | وشُكْر وحشيٍّ عليَّ دَهْري  |

حتى ترمَّ أعظُمِي في قبري

فأجابتها بنت عمّي ، وهي تقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خُزِيتِ في بدرٍ وبعدَ بدرِ  |  | يابنةَ جبَّارٍ عظيمِ الكُفرِ  |

فقال معاوية : عفا الله عمّا سلف يا خالة ، هاتِ حاجتك. قالت : ما لي إليك حاجة. وخرجت عنه.

هذه أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، حرّكتها الغيرة الهاشميّة ، وهي امرأة ، فقابلت معاوية وعمراً ومروان ، بما قابلتهم به. كما حرّكت الغيرة الهاشميّة زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما‌السلام) ، لـمّا وضع رأس أخيها الحسين (عليه‌السلام) بين يدي يزيد بن معاوية ، وجعل ينكثه بقضيب الخيزران ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهدوا  |  | جَزعَ الخزْرجِ منْ وقْعِ الأسلْ  |
| لأهلّوا واسْتهلّوا فرحاً  |  | ثمّ قالوا يا يزيدُ لا تشلْ  |
| قدْ قتلْنا القَرمَ منْ ساداتِهمْ  |  | وعدلْناهُ ببدْرٍ فاعتَدَلْ  |
| لعبتْ هاشمُ بالـمُلكِ فلا  |  | خبرٌ جاء ولا وحيٌ نَزلْ  |
| لستُ من خِندفَ إنْ لم أنتقمْ  |  | مِن بني أحمدَ ما كانَ فعلْ  |

فقامت زينب بنت أمير المؤمنين عليها وعلى أبيها السّلام ، وخطبت تلك الخطبة العظيمة المشهورة ، إلى أنْ قالت في آخر خطبتها : تهتف بأشياخك ، زعمت أنّك تناديهم ، فلتردنّ وشيكاً موردهم ، ولتودّنّ أنّك شُللت وبُكمت ، ولم تكن قلتَ ما قُلتْ ، وفعلتَ ما فعلت. ثمّ قالت (عليها‌السلام) : اللهمّ ، خذ لنا بحقّنا ، وانتقم ممّن ظلمنا ، واحلل غضبك بمَن سفك دماءنا وقتل حماتنا. فوالله ، ما فريت إلّا جلدك ، وما حززت إلّا لحمك ، ولتردنّ على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيّته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولُحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويأخذ لهم بحقِّهم : ( وَلَا تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ )(1).

فقال يزيد متشمّتاً بها :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة آل عمران / 169.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا صيْحةً تُحمْدُ منْ صوائحِ  |  | ما أهونَ النَّوحِ على النَّوائحِ  |

\* \* \*

المجلس الحادي والسّبعون بعد المئة

عن رجل من بني اُميّة قال : حضرت معاوية يوماً وقد أذن للناس إذناً عامّاً ، فدخلوا عليه لمطالبهم وحوائجهم ، فدخلت عليه امرأة من بني ذكوان كأنّها قلعة ، ومعها جاريتان لها ، ثمّ قالت : الحمد لله - يا معاوية - الذي خلق اللّسان فجعل فيه البيان ، ودلّ به على النِّعم ، وأجرى به القلم فيما أبرم وحتم ، وذرأ وبرأ ، وحكم وقضى ، وصرف الكلام باللّغات المختلفة على المعاني المتفرقّة ، ألّفها بالتقديم والتأخير ، والأشباه والمناكر ، والموافقة والتزايد ؛ فأدّته الآذان إلى القلوب ، وأدّته القلوب إلى الألسن بالبيان.

استدلّ به على العلم ، وعُبد به الربّ ، واُبرم به الأمر ، وعُرفت به الأقدار ، وتمّت به النِّعم ، وكان من قضاء الله وقدره أنْ قرّبتَ زياد ، وجعلت له بين آل أبي سفيان نسباً ، ثمّ ولّيته أحكام العباد ؛ يسفك الدماء بغير حلّها ولا حقّها ، ويهتك الحرم بلا مراقبة الله فيها ؛ خؤون غشوم ، كافر ظلوم ، يتخيّر من المعاصي أعظمها ، ولا يرى لله وقاراً ، ولا يظنّ أنّ له معاداً ، وغداً يُعرض عمله في صحيفتك ، وتُوقف على ما اجترم بين يدي ربّك ، ولك برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) اُسوة ، وبينك وبينه صهر ، فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت ، ولا طريقتهم سلكت ؛ جعلت عبد ثقيف على رقاب اُمّة محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يدبر اُمورهم ، ويسفك دماءهم ، فماذا تقول لربّك يا معاوية ، وقد مضى من أجلك أكثره ، وذهب خيره وبقي وِزره ؟!

إنّي امرأة من بني ذكوان ، وثب زياد الـمُدَّعى إلى أبي سفيان على ضيعتي التي ورثتها عن أبي

واُمّي ، فغصبنيها وحال بيني وبينها ، وقتل مَن نازعه فيها من رجالي ، فأتيتك مستصرخة ، فإنْ أنصفت وعدلت ، وإلّا وكلتك أنت وزياد إلى الله عزوجل ، فلنْ تبطل ظلامتي عندك ولا عنده ، والمُنصف لي منكما حكم عدل.

فبُهت معاوية ، ينظر إليها متعجباً من كلامها ، ثمّ قال : ما لزياد ! لعن الله زياداً ؛ فإنّه لا يزال يبعث على مثالبه مَن ينشرها ، وعلى مساويه من يُثيرها. ثمّ أمر كاتبه بالكتاب إلى زياد ، يأمره بالخروج إليها من حقِّها ، وإلّا صرفه مذموماً مدحوراً ، ثمّ أمر لها بعشرين ألف درهم. وعجب معاوية ، وجميع مَن حضره من مقالتها ، وبلوغها حاجتها.

هكذا جرت سيرة الملوك والاُمراء في الحلم عن النّساء والضعفاء ، والإحسان إليهنّ في الجاهليّة والإسلام ، حتّى آل الأمر إلى ابن زياد ، واُدخلت عليه حوراء النّساء زينب ، فأقبل إليها ، وقال: الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب اُحدوثتكم. فقالت (عليها‌السلام) : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا. فقال لها : كيف رأيت فعل الله بأخيك ، وأهل بيتك ؟ فقالت : ما رأيت إلّا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم ، فانظر لمَن الفلج يومئذ ، هبلتك اُمّك يابن مرجانة !

فغضب ابن زياد واستشاط ، وكأنّه همّ بها ، فقال له عمرو بن حريث : أيها الأمير ، إنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ، ولا تُذم على خطئها. فقال لها ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين ، والعصاة الـمَرَدة من أهل بيتك. فرقّتْ زينب وبكتْ ، وقالت له: لَعمري ، لقد قتلتَ كهلي وأبرزتَ أهلي ، وقطعتَ فرعي واجتثثتَ أصلي ، فإنْ كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت. فقال ابن زياد : هذه سجّاعة ، ولَعمري ، لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً. فقالت: ما

للمرأة والسّجاعة ؟! إنّ لي عن السّجاعة لشغلاً ، ولكنّ صدري نفث بما قلت :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تُصانُ بنتُ الدَّعيِّ في كللِ الـمُلْـ  |  | ـكِ وبنتُ الرَّسولِ تُبتَذلُ  |
| يُرجى رضَى الـمُصطَفَى فواعجباً  |  | تُقتَلُ أولادُهُ ويحتَملُ  |

\* \* \*

المجلس الثاني والسّبعون بعد المئة

في المحاسن والمساوئ للبيهقي ، قيل : لـمّا بلغ غانمة بنت غانم سبُّ معاوية وعمرو بن العاص بني هاشم ، قالت لأهل مكّة : أيها النّاس ، إنّ بني هاشم أطول النّاس باعاً ، وأمجد النّاس أصلاً، وأحلم النّاس حلماً ، وأكثر النّاس عطاءً ، منّا عبد مناف الذي يقول فيه الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كانتْ قُريشٌ بيْضةً فتَفلَّقتْ  |  | فالـمُحّ(1) خالصه لعبدِ مُنافِ  |

وولده هاشم الذي هَشم الثريد لقومه ، وفيه يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هَشَمَ الثّريدَ لقومِهِ وأجارَهُمْ  |  | ورجالُ مكّةَ مُسنتونَ عِجافُ  |

ثمّ منّا عبد المطلب الذي سُقينا به الغيث ، وفيه يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ونحنُ سنيَّ الـمَحْلِ قامَ شَفِيعُنا  |  | بمكّةَ يدعُو والمياهُ تغُورُ  |

ومنّا أبو طالب عظيم قريش وسيّدها ، وفيه يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأتيتُهُ مَلِكاً فقامَ بحاجَتي  |  | وترَى العُلَيِّجَ خائباً مذْموماً  |

ومنّا العبّاس بن عبد المطلب ، أردفه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فأعطاه ماله ، وفيه يقول الشاعر :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الـمُح ، بالميم المضمومة والحاء المهملة : صفرة البيض. - المؤلّف -

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رديفُ رسولِ اللهِ لمْ أرَ مثلَهُ  |  | ولا مثلُهُ حتّى القيامةِ يُوجد(1)  |

ومنّا حمزة سيّد الشهداء ، وفيه يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبا يَعْلَى لكَ الأركانُ هُدّتْ  |  | وأنتَ الماجدُ البرُّ الوَصولُ  |

ومنّا جعفر ذو الجناحين ، أحسن النّاس حسناً ، وأكملهم كمالاً ، ليس بغدّار ولا ختّار ، بدّله الله جلّ وعزّ بكل يدٍ له جناحاً يطير به في الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هاتُوا كجعْفَرِنا ومثلِ عليِّنا  |  | أليسا أعزَّ النّاسِ عندَ الخلائقِ(2)  |

ومنّا أبو الحسن علي بن أبي طالب ، أفرس بني هاشم ، وأكرم من احتفى وانتعل بعد رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ومن فضائله ما قصر عنكم أنباؤها ، وفيه يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وهذا عليٌّ سيّدُ النّاسِ فاتَّقُوا  |  | عليّاً بإسلامٍ تقدَّمَ منْ قبلُ  |

ومنّا الحسن بن علي ، سبط رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وسيّد شباب أهل الجنة ، وفيه يقول الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ومَنْ يكُ جدُّهُ حقّاً نبيّاً  |  | فإنّ لهُ الفضيلةَ في الأنامِ  |

ومنّا الحسين بن علي ، حمله جبرائيل (عليه‌السلام) على عاتقه ، وكفى بذلك فخراً ، وفيه يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نفَى عنهُ عيبَ الآدميينَ ربُّهُ  |  | ومِنْ مجدِهِ مجدُ الحُسينِ الـمُطهَّرِ  |

ثمّ قالت : يا معشر قريش ، والله ، ما معاوية بأمير المؤمنين ، ولا هو كما يزعم ، هو والله ، شانئ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، إنّي آتية معاوية وقائلة له بما يعرق منه جبينُه ، ويكثر منه عويلُه.

فكتب عامل معاوية إليه بذلك ، فلمّا قربت من المدينة ، استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه ، فلمّا دخلت المدينة ، أتت

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) وردتْ مفردة ( حتّى ) في المصدر الأساس ( يوم ) ، ولعل ما أثبتناه أوفق لمقصود الشاعر إنْ لم يكُن هو المراد. ( موقع معهد الإمامَين الحسنَين )

(2) ورد المصراع الثاني من البيت بهذا النحو : إنّا أعزُّ النّاسِ عندَ الخالقِ ، والتغيير من بعض المصادر الاُخرى. ( موقع معهد الإمامَين الحسنَين )

دار أخيها عمرو بن غانم ، فقال لها يزيد : إنّ أبا عبد الرحمن يأمرك أن تصيري إلى دار ضيافته - وكانت لا تعرفه -. فقالت له : مَن أنت ؟ قال : يزيد بن معاوية. قالت : فلا رعاك الله يا ناقص. فأتى أباه فأخبره ، فقال : هي أسنّ قريش وأعظمهم. قال : كانت تعدّ على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أربعمئة عاماً.

فلمّا كان من الغد ، أتاها معاوية فسلّم عليها ، فقالت : على المؤمنين السّلام ، وعلى الكافرين الهوان. ثمّ قالت : مَن منكم ابن العاص ؟ قال عمرو : ها أنا ذا. فقالت : وأنت تسبّ قريشاً وبني هاشم ، وأنت أهل السبّ يا عمرو ! إنّي والله ، لعارفة بعيوبك وعيوب اُمّك. وأمّا أنت يا معاوية ، فما كنت في خير ولا ربيت في خير ، فما لك ولبني هاشم ؟ أنساء بني اُميّة كنسائهم ؟ أمْ اُعطي اُميّة ما اُعطي هاشم في الجاهليّة والإسلام ؟ وكفى فخراً برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فقال معاوية : أيّتها الكبيرة ، أنا كافٍّ عن بني هاشم.

ذكّرني خطاب غانمة الهاشميّة بذلك اللسان العضب الهاشمي ، والقلب الجريء ، غير هيّابة ولا وجلة ، خطاب فخر الهاشميّات زينب بنت علي ( (عليهما‌السلام)) ، شبيهة أبيها أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، لولده يزيد حين خطبت تلك الخطبة العظيمة ، وخاطبت يزيد بكلام كحدود السّيوف، مستحقرة له ، غير مبالية بما هو فيه من الملك والسّلطان ، قائلةً له - من جملة كلامها - : ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك ، إنّي لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكبر توبيخك ، لكن العيون عَبرى والصدور حَرّى. ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النّجباء بحزب الشيطان الطلقاء ! ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنّنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك ، وما ربّك بظلاّم للعبيد ، فإلى الله المشتكى وعليه المعوّل.

فكد كيدك ، واسعَ سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله ، لا تمحو ذكرنا ولا تُميت وحينا ، ولا تدرك أمدنا ولا تدحض عنك عارها ، وهل رأيك إلّا فَنَد ، وأيّامك إلّا عدد ، وجمعك إلّا بدد ، يوم يُنادي المنادي : ألا

لعنة الله على الظالمين :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فيا وقعةً لمْ يُحدثْ الدَّهرُ مثْلَها  |  | يَبيدُ الليالي ذكرُهَا وهو خالدُ  |
| لألبستِ هذا الدِّينَ أثوابَ ذلَّةٍ  |  | ترثُّ لها الأيامُ وهيَ جدَائدُ  |

\* \* \*

المجلس الثالث والسّبعون بعد المئة

في كتاب بلاغات النّساء : إنّه لـمّا قُتل علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ، بعث معاوية في طلب شيعته ، فكان في مَن طلب عمرو بن الحمق الخزاعي ، فراغ منه ، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد ، فحبسها في سجن دمشق سنتين ، ثمّ إنّ عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمرو بن الحمق في بعض الجزيرة ، فقتله وبعث برأسه الى معاوية ، وهو أوّل رأس حُمل في الإسلام.

قال الأعمش : أوّل رأس اُهدي من بلد إلى بلد في الإسلام ، رأس عمرو بن الحمق.

فلمّا أتى معاوية الرسولُ بالرأس ، بعث به إلى آمنة في السجن ، وقال للحرَسي : احفظ ما تتكلم به حتّى تؤدّيه إليّ ، واطرح الرأس في حجرها. ففعل هذا ، فارتاعت له ساعةً ، ثمّ وضعت يدها على رأسها وقالت : نفيتموه عنّي طويلاً ، وأهديتموه إليّ قتيلا ً، فأهلاً وسهلاً بمَن كنتُ له غير قالية ، وأنا له اليوم غير ناسية. ارجع به أيها الرسول إلى معاوية ، فقل له : أيتمَ الله وُلدك ، وأوحش منك أهلك ، ولا غفر لك ذنباً.

فرجع الرسول إلى معاوية فأخبره بما قالت ، فأرسل إليها فأتته ، وعنده نفر فيهم أياس بن حسل ، وكان في شدقيه انتفاخ لعظم كان في لسانه. فقال لها معاوية : أأنت يا عدوّة الله ، صاحبة الكلام الذي بلغني ؟ قالت : نعم ، غير نازعة عنه ولا

معتذرة منه ولا منكرة له ، فلَعمري ، لقد اجتهدت في الدعاء إنْ نفع الإجتهاد ، وإنّ الحقّ لـمِن وراء العباد ، وما بلغت شيئاً من جزائك ، وإنّ الله بالنّقمة من ورائك.

فأعرض عنها معاوية ، فقال أياس : اقتل هذه يا أمير المؤمنين ، فوالله ، ما كان زوجها أحقّ بالقتل منها. فالتفتت إليه ، وقالت : تباً لك ! ويلك ! بين لحييك كجثمان الضفدع ، ثمّ أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس ، ( إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ )(1) ! فضحك معاوية ، ثم قال : لله درّك ! اخرجي ، ثمّ لا أسمع بك في شيء من الشام. قالت : وأبي ، لأخرجنّ ، ثمّ لا تسمع بي في شيء من الشام ، فما الشام لي بحبيب ، ولا أعرج فيها على حميم ، وما هي لي بوطن ، ولا أحنّ فيها إلى سكن ، ولقد عظم فيها ديني ، وما قرّت فيها عيني ، وما أنا فيها إليك بعائدة ، ولا حيث كنت بحامدة.

فأشار معاوية إليها ببنانه اخرجي ، فخرجت وهي تقول : وآعجبي لمعاوية ! يكفّ عنّي لسانه، وهو يشير إلى الخروج ببنانه ! أما والله ، ليعارضنّه عمرو بكلام مؤيّد سديد ، أوجع من نوافذ الحديد ، أو ما أنا بابنة الشريد. فخرجت وتلقّاها الأسود الهلالي ، وكان أسود أصلع أبرص ، فسمع مقالها ، فقال : لمَن تعني هذه - عليها لعنة الله - ؟ فقالت : خزياً لك وجدعاً ، أتلعنني واللعنة بين جنبيك ! وما بين قرنيك إلى قدميك ! اخسأ يا هلمة الصعل ، ووجه الجعل. فبهت الأسود ينظر إليها ، ثمّ سأل عنها فاُخبر ، فأقبل يعتذر إليها ؛ خوفاً من لسانها.

ثمّ التفت معاوية إلى عبيد بن أوس ، فقال : ابعث إليها ما تقطع به عنّا لسانها ، وتقضي به ما ذكرت من دَينها ، وتخفّ به إلى بلادها. فلمّا أتاها الرسول بما أمر به معاوية ، قالت : يا عجبي لمعاوية ! يقتل زوجي ، ويبعث إليّ بالجوائز ! فأخذت ذلك وخرجت تريد الجزيرة ، فمرّت بحِمص فقتلها الطاعون. فبلغ ذلك الأسود ، فأقبل إلى معاوية كالمبشرّ له ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة القصص / 19.

فقال : قد استُجيبت دعوتك في ابنة الشريد ، وقد كُفيتَ شرّ لسانها ، مرّت بحِمص فقتلها الطاعون. قال معاوية : فنفسك فبشرّ ؛ فإنّ موتها لم يكن على أحد أروح منه عليك ، ولَعمري، ما انتصفت منها حين أفرغت عليك شؤبوباً وبيلاً. فقال الأسود : ما أصابني من حرارة لسانها شيء ، إلّا وقد أصابك مثله ، وأشدّ منه.

أقول : وعمرو بن الحمق هذا من خيار أصحاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ومن السّابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، وأخلصوا في محبته.

وكتب الحسين (عليه‌السلام) إلى معاوية - بعد قتله عمرو بن الحمق - جواباً عن كتاب : (( أوَلست قاتلَ عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة ، فنحُل جسمه واصفرّ لونه ، بعدما أمّنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لَو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس جبل ، ثمّ قتلته ؛ جرأةً على ربّك ، واستخفافاً بذلك العهد ؟! )).

وقُتل عمرو ببلاد الموصل ، وقُطع رأسه واُرسل إلى معاوية ، فأرسله معاوية - كما سمعت - إلى امرأته وهي في السجن ، وأمر أنْ يُطرح في حجرها. وبه اقتدى ولده يزيد في قطع رؤوس سادات المسلمين ، وحملها إليه من بلد إلى بلد ، فإنّه لـمّا قُتل الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه ، أمر عامله عبيد الله بن زياد أنْ يحمل إليه رأس الحسين (عليه‌السلام) ، ورؤوس أصحابه ، وسبايا أهل بيت النّبوّة ففعل. وكان الرأس الشريف بمرأى ومنظر من نساء الحسين (عليه‌السلام) ، وأخواته ، وبناته طول مدة الطريق ، من العراق إلى الشام.

وكما طرح معاوية رأس عمرو بن الحمق في حجر زوجته بعد قتله ؛ بغياً وعتوّاً ، وشدّة بغضه لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) وشيعته ، أحضر ولده يزيد رأس الحسين (عليه‌السلام) بين يديه ، بمحضرٍ من نساء الحسين (عليه‌السلام) ، وأخواته وبناته ، فأخذت الرباب زوجة

الحسين (عليه‌السلام) الرأسَ الشريف ، ووضعته في حجرها وقبّلته ، وقالت :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وآ حُسينا فلا نَسيتُ حُسيناً  |  | أقصَدتْهُ أسنَّةُ الأعداءِ  |
| غادَرُوهُ بكربَلاءَ صَريعاً  |  | لا سقَى اللهُ جانِبي كربلاءِ  |

وأما زينب (عليها‌السلام) ، لـمّا رأت رأس أخيها بين يدي يزيد ، هوت إلى جيبها فشقّته ، ثمّ نادت بصوت حزين يقرح القلوب : يا حسيناه ! يا حبيب رسول الله ! يابن مكّة ومنى ! يا بن فاطمة الزهراء سيّدة النّساء ! يابن بنت المصطفى ! فأبكت كلّ مَن كان حاضراً في المجلس.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رقَّ لهَا الشامتُ ممّا بِها  |  | ما حالُ مَنْ رقَّ لها الشامتُ  |

\* \* \*

المجلس الرابع والسّبعون بعد المئة

قال الـمُرزُباني ، قال الحسن البصري : أربع خصال كنّ في معاوية ، لو لم يكنّ فيه إلّا واحدة منهن ، كانت موبقة : انتزاؤه على هذه الاُمّة بالسُفهاء ، وفيها بقايا الصحابة وذوو الفضل ، وادّعاؤه زياداً ، وقد قال النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( الولد للفراش ، وللعاهر الحجر )) ، واستخلافه يزيداً من بعده ، سكّيراً خمّيراً ، يزوج بين الدّب والذئب ، والكلب والضبع ؛ ينظر ما يخرج بينهما ، وقتله حجر بن عدي وأصحابه. فيا ويله ! ثمّ يا ويله !

قال الـمُرزُباني : كان حِجر بن عدي بن الأدبر الكندي - رحمة الله عليه - وفد على النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وشهد القادسية ، وهو الذي فتح مَرج عذراء. وشهد مع علي (عليه‌السلام) الجمل وصفّين ، وهو من العُبّاد الثقات المعروفين ، روى عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله).

وتكلّم زياد بن أبيه يوماً على المنبر ، فقال : إنّ من حقّ أمير المؤمنين ، أعادها

مراراً ، فقال حِجر : كذبت ، ليس كذلك. فسكت زياد ساعة ، ثمّ أخذ في كلامه حتّى غاب عنه ما جرى ، فقال : إنّ من حقّ أمير المؤمنين ، فأخذ حِجر كفاً من حصى فحصبه ، وقال : كذبت ، عليك لعنة الله. فانحدر زياد عن المنبر ودخل دار الإمارة ، وانصرف حِجر ، فبعث إليه زياد الخيل والرجال ، فقالوا : أجب. فقال : إنّي والله ، ما أنا بالذي يخاف ، ولا آتيه أخافه على نفسي.

وقال ابن سيرين : لو مال لمال أهل الكوفة معه ، غير أنّه كان رجلاً ورعاً. وأبى زياد أنْ يرفع عنه الخيل حتّى سلسله ، وأنفذه مع اُناس من أصحابه - وكانوا ثلاثة عشر(1) - إلى معاوية. فلمّا سار حِجر ، أتبعه زياد بريداً ، فقال : اركض إلى معاوية ، وقل له : إنْ كان لك في سلطانك حاجة ، فاكفني حِجراً. فلمّا قدم عليه حِجر ، قال : السّلام عليك يا أمير المؤمنين. قال : وأمير المؤمنين أنا ! وجعل يكرر ذلك ، وأمر بإخراج حِجر وأصحابه إلى عذراء ، وقتلهم هناك.

قال ابن الأثير : كان حجر وأصحابه - الذين بعث بهم زياد إلى معاوية - أربعة عشر رجلاً ، فحُبسوا بمرج عذراء ، وتشفّع أصحاب معاوية في ستّة منهم فأطلقهم ، وتشفّع بعضهم في حِجر فلم يطلقه ، وطلب اثنان منهم أنْ يرسلوهما إلى معاوية ، وقالا : إنّا نقول في هذا الرجل - أي:علي - مثل مقالته. فقال لأحدهما : ما تقول في علي ؟ قال : أقول فيه قولك. قال : أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به ؟ فسكت ، فتشفّع فيه بعض الحاضرين ، فنفاه إلى الموصل فمات بها.

وقال للآخر : ما تقول في علي ؟ قال دعني لا تسألني ، فهو خير لك. قال : والله لا أدعك. قال : أشهد أنّه كان من الذاكرين الله كثيراً ، من الآمرين بالحقّ ، والقائمين بالقسط ، والعافين عن النّاس... إلى أنْ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سيأتي في رواية ابن الأثير : إنّهم أربعة عشر ، فلعّل مراد المُرزُباني : إنّهم ثلاثة عشر ، ما عدى حجر ، ومعه أربعة عشر.

قال له معاوية : قتلت نفسك. قال : بل إيّاك قتلت. فردّه إلى زياد وأمره أن يقتله شرّ قتلة ، فدفنه حيّاً ، ثمّ قُتل حجر وأصحابه بمرج عذراء ، وكانوا ستّة ، والذي دفنه زياد حيّاً ، فهؤلاء سبعة ونجا منهم سبعة.

وبعث معاوية رجلاً أعور اسمه هدبة القضاعي ، ومعه رجلان ليقتلوا مَن أمروا بقتله ، فأتوا مساءً ، فقالوا لهم : إنّا قد اُمرنا أنْ نعرض عليكم البراءة من علي (عليه‌السلام) واللّعن له ، فإنْ فعلتم تركناكم ، وإنْ أبيتم قتلناكم. فقالوا : لسنا فاعلي ذلك. فحُفرت لهم القبور واُحضرت الأكفان، وقام حِجر وأصحابه يُصلّون عامّة الليل ، كما قام الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه ليلة العاشر من الـمُحرّم يصلّون عامّة الليل ، ويذكرون الله تعالى ويدعون ويستغفرون ، وهم يعلمون أنّهم في صبيحة تلك الليلة مقتولون لا محالة ، كما يعلم حِجر وأصحابه أنّهم في صبيحة ليلتهم مقتولون لا محالة ، فما أشبه الأبناء بالآباء ، والخلف بالسلف.

وكان للحسين (عليه‌السلام) وأصحابه في تلك الليلة دوي كدوي النّحل ، وباتوا ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سمةُ العبيدِ منَ الخشوعِ عليهمُ  |  | للهِ إنْ ضمَّتهُمُ الأسحارُ  |
| فإذا ترجَّلت الضُّحَى شهِدتْ لهُمْ  |  | بيضُ القواضبِ أنّهمْ أحرارُ  |

ولـمّا كان الغد ، قُدّم حجر وأصحابه الستّة فقُتلوا ، وصُلّي عليهم ودُفنوا ، ولـمّا كان الغد من يوم عاشوراء ، وقُتل الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه ، لم يُصلّى عليهم ولم يُدفنوا ، بل إنّ عمر بن سعد صلّى على أصحابه ودفنهم ، وترك الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه مطرَّحين على الرمضاء بغير دفن ، جثثاً بلا رؤوس حتّى جاء بنو أسد بعد ثلاثة أيام ، فصلّوا على تلك الجثث الطواهر الزواكي ودفنوها.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فيا أقبُراً خُطَّتْ على أنجُمٍ هوتْ  |  | وفُرّقنَ في الأطرافِ مُغترباتِ  |
| وليسَ قبوراً هُنّ بل هُنّ روضةٌ  |  | مُنوَّرةٌ مُخضرَّةُ الجنباتِ  |

المجلس الخامس والسّبعون بعد المئة

قال الأعمش : أوّل قتيل قُتل في الإسلام صبراً حِجر بن عدي.

قال الـمُرزُباني : لـمّا بعث زياد بن أبيه بحِجر بن عدي وأصحابه إلى معاوية بالشام ، أمر معاوية بإخراجهم إلى عذراء وقتلهم هناك ، فلمّا قدم حِجر عذراء ، قال : ما هذه القرية ؟ فقيل: عذراء. فقال : الحمد لله ، أما والله ، إنّي لأوّل مسلم ذكر الله فيها وسجد ، وأوّل مسلم نبح عليه كلابها في سبيل الله ، ثمّ أنا اليوم اُحمل إليها مُصفّداً في الحديد.

ثمّ قال حجر للذي أمر بقتلهم : دعني اُصلّي ركعتين. فصلّى ركعتين خفيفتين ، فلمّا سلّم انفتل إلى النّاس ، فقال : لولا أنْ يقولوا جزع من الموت ، لأحببت أنْ تكونا أنفس ممّا كانتا ، وأيم الله ، لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني ، ما هاتان بنافعتي شيئاً. ثمّ أخذ ثوبه فتحزّم به ، ثمّ قال لـمَن حوله من أصحابه : لا تحلّوا قيودي ، فإنّي أجتمع أنا ومعاوية على هذه المحجّة.

ثم مشى إليه هدبة الأعور بالسيف ، فشخص له حجر ، فقال : ألم تقل إنّك لا تجزع من الموت ؟ فقال : أرى كفناً منشوراً ، وقبراً محفوراً ، وسيفاً مشهوراً ، فما لي لا أجزع ؟! أما والله ، لئن جزعت ، لا أقول ما يسخط الربّ. فقال له : فابرأ من عليٍّ ، وقد أعدّ لك معاوية جميع ما تريد إنْ فعلت. فقال : ألم أقل إنّي لا أقول ما يسخط الربّ ؟ والله ، لقد أخبرني حبيبي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بيومي هذا. ثمّ قال : إنْ كنتَ أمرت بقتل ولدي(1) فقدّمه. فقدّمه فضربت عنقه ، فقيل له :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) لم يذكر غير الـمُرزُباني إنّ ولد حِجر كان من جملة المقتولين ، ولعلّه جاء مع أبيه لوداعه أو لغير ذلك فقُتل ، ولم يكن من الذين بعث بهم زياد ؛ فلذلك لم يذكره المؤرّخون ، والله أعلم. - المؤلّف -

تعجّلت الثكل. فقال : خفت أنْ يرى هول السّيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي (عليه‌السلام) ، فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين.

فلله درّ حِجر ! ما أعظم نفسه ، وأجلّ مقامه ، وأشدّ تهالكه في حبّ أهل بيت نبيّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وفي طاعة ربه !

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وإذا كانتْ النّفوسُ كِباراً  |  | تعبتْ في جِوارها الأجسامُ  |

فانظر إليه كيف ثبت في هذا المقام الرهيب وسلّم نفسه للقتل ، ولم يبرأ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ! مقام عظيم وأيَم الله ، وأيُّ مقام ! فتسليم النّفس للقتل ليس بالأمر الهيّن. ولم يكتفِ بتسليم نفسه للقتل حتّى قدّم ابنه للقتل أمامه ؛ خوفاً عليه من أنْ يرجع عن ولاية علي (عليه‌السلام). والولد قطعة من الكبد ، ولا يعدل النفس شيئاً إلّا الولد.

ولهذا لـمّا برز علي الأكبر يوم كربلاء ، لم يملك أبوه الحسين (عليه‌السلام) دمعته مع ما اُوتيه من الصبر العظيم ، وأرخى عينيه بالدموع وبكى ، ثمّ رفع سبابتيه نحو السّماء ، وقال : (( اللهمّ ، كُنْ أنت الشهيد عليهم ، فقد برز إليهم غلام أشبه النّاس خَلْقاً وخُلقاً برسولك ، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيَّك نظرنا إليه )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا كوكباً ما كان أقصرَ عُمرُهُ  |  | وكذا تكونُ كواكبُ الأسحارِ  |

ولهذا أيضاً ، لـمّا وصل الخبر إلى بشر بن عمرو الحضرمي يوم عاشوراء : أنّ ابنه اُسّر بثغر الري ، قال : عند الله أحتسبه ونفسي ، ما كنت أحبّ أنْ يُؤسر وأبقى بعده. فسمع الحسين (عليه‌السلام) مقالته ، فقال له : (( رحمك الله ، أنت في حلٍّ من بيعتي ، فاذهب واعمل في فكاك ابنك )). فقال : أكلتني السباع حيّاً إنْ فارقتك. قال (عليه‌السلام) : (( فأعطِ ابنك هذا هذه الأثواب البُرود ؛ يستعين بها في فداء أخيه )). فأعطاه خمسة أثواب بُرود قيمتها ألف دينار ، فحملها مع ولده.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لقدْ صَبرُوا صبْرَ الكرامِ وقدْ قضَوا  |  | على رغبةٍ منهُمْ حقوقَ المكارمِ  |
| قساورةٌ يومَ القراعِ رماحُهُمْ  |  | تكفَّلنَ أرزاقَ النّسورِ القشاعمِ  |

\* \* \*

المجلس السّادس والسّبعون بعد المائة

لـمّا بعث زياد بن أبيه بحِجر بن عدي الكندي وأصحابه إلى معاوية بالشام ، أمر معاوية بأخذهم إلى عذراء - وهي قرية شرقي دمشق - وقتلهم هناك ، فحُملوا إليها.

قال الـمُرزُباني : فلمّا أرادوا قتلهم ، اجتمع إلى حِجر أصحابه ليودّعوه ، فأنشأ حِجر يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فمَنْ لكُمُ مثلي لدَى كلِّ غارةٍ  |  | ومَنْ لكمُ مثلي إذا البأسُ أصحَرا  |
| ومَن لكُمُ مثلي إذا الحربُ قُلّصتْ  |  | وأوضع فيها الـمُسْتميتُ وشمَّرا  |

و لـمّا حُمل عبد الرحمن بن حسّان العنزي ، وكريم بن عفيف الخثعمي - وكانا من أصحاب حجر - ، قال العنزي : يا حِجر ، لا تبعُد ولا يبعُد ثوابك ، فنعم أخو الإسلام كنت ! وقال الخثعمي : يا حِجر ، لا تبعُد ولا تُفقد ، ولقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. ثمّ ذُهب بهما إلى القتل ، فأتبعهما حِجر بصره ، وقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كفَى بسفاهِ القبرِ بُعداً لهالكٍ  |  | وبالموتِ قطّاعاً لحبلِ القرائِنِ  |

قال الـمُرزُباني : لـمّا قُتل حِجر بنُ عدي ، قالت امرأة من كندة ترثيه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ترفَّعْ أيُّها القمرُ الـمُنيرُ  |  | لعلّكَ أنْ ترَى حِجْراً يسيرُ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يسيرُ إلى معاويةَ بنِ صخرٍ  |  | ليقتلُهُ كما زعمَ الأميرُ  |
| ألا يا حجْرُ حجْرَ بني عديٍّ  |  | ومَنْ أخلاقُهُ كرمٌ وخيرُ(1)  |
| ألا يا ليتَ حِجراً مات موتاً  |  | ولمْ يُنحرْ كما نُحرَ البعيرُ  |
| تجبَّرتْ الجبابرُ بعد حِجْرٍ  |  | وطابَ لها الخورنقُ والسَّديرُ  |

وقالت عائشة لمعاوية حين قتل حِجراً وأصحابه : أما والله ، لقد بلغني أنّه سيُقتل بعذراء سبعة نفر ، يغضب الله لهم وأهل السّماء.

قال ابن الأثير : كان النّاس يقولون : أوّل ذلّ دخل الكوفة موت الحسن بن علي ، وقتل حِجر ، ودعوة زياد. وقيل : إنّ حِجراً لـمّا قُدّم ليُقتل ، قيل له : مد عنقك. فقال : ما كنتُ لأعين الظالمين.

ما أشبه ما جرى لحِجر بما جرى لهاني بن عُروة ، الذي قُتل في حبّ أهل البيت (عليهم‌السلام) ونصرتهم ؛ فإنّه لـمّا جيء به ليُقتل ، قيل له : امدد عنقك. فقال : ما أنا بها سخي ، وما أنا بمعينكم على نفسي. فضربه مولى لعبيد الله بن زياد تركي ، اسمه رشيد ، بالسّيف فلم يصنع شيئاً، فقال له هاني : إلى الله المعاد. اللهمّ ، إلى رحمتك ورضوانك. ثمّ ضربه اُخرى فقتله.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإنْ كُنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظُري  |  | إلى هانئٍ في السّوقِ وابنِ عقيلِ  |
| إلى بطلٍ قدْ هشَّمَ السَّيفُ وجهَهُ  |  | وآخرَ يهوِي منْ طمارِ قتيلِ  |
| تَرَي جسداً قدْ غيَّرَ الموتُ لونَهُ  |  | ونضْحَ دمٍ قدْ سال كلَّ مسيلِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) هذا البيت لم يذكره الـمُرزُباني ، وأورد ابن الأثير بدل الشطر الأخير : ( تلقّتك السلامة والسُّرور ). - المؤلّف -

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فتىً كانَ أحَيا منْ فتاةٍ حييَّةٍ  |  | وأقطعَ منْ ذي شفْرَتينِ صَقيلِ  |

\* \* \*

المجلس السّابع والسّبعون بعد المئة

قال الـمُرزُباني : كان الأحنف بن قيس التميمي - رحمه‌الله - من خيار أصحاب علي (عليه‌السلام). روي : أنّ النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنفذ رجلاً يدعو بني سعد إلى الإسلام ، والأحنف فيهم ، فقال : والله ، إنّه يدعو إلى خير ، وما أسمع إلّا حسناً ، وإنّه ليدعو إلى مكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائمها. فذُكر ذلك الرجل للنبيِّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) مقاله ، فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( اللهمّ ، اغفر للأحنف )). وكان يقول : هذا منْ أرجى عملي عندي.

وحضر عند معاية فتكلّم جلساؤه ، والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : ما لك لا تتكلّم يا أبا بحر ؟ فقال : أخاف الله إنْ كذبت ، وأخافكم إنْ صدقت. وقال له معاوية مرّة : أنت صاحبنا بصفّين ، ومخذّل النّاس عن اُمّ المؤمنين. فقال : والله ، إنّ قلوبنا التي أبغضناك بها يومئذ لفي صدورنا ، وإنّ سيوفنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن دنوت إلينا شبراً من غدر ، لندنونّ إليك ذراعاً من ختر ، ولئن شئت لتصفونّ لك قلوبنا بحلمك عنّا. قال : قد شئت.

وكان عنده يوماً ، إذ دخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيباً ، فكان آخر كلامه أنْ سبّ عليّاً (عليه‌السلام) ، فأطرق النّاس ، فتكلم الأحنف وقال مخاطباً لمعاوية : إنّ هذا القائل ما قال لو يعلم أنّ رضاك في شتم الأنبياء والمرسلين لما توقّف عن شتمهم ، فاتّقِ الله ودع عنك عليّاً ؛ فقد لقي ربّه بأحسن ما عمل عامل. كان والله ، المبرّز في سبقه ، الطاهر في خُلُقه ، الميمون النقيبة ، العظيم المصيبة ، أعلم العلماء

وأحلم الحلماء ، وأفضل الفضلاء ، ووصي خير الأنبياء. فقال معاوية : لقد أغضيت العين عن القذى ، وقلت بما لا ترى ، وأيَم الله ، لتصعدنّ المنبر فتلعنه طوعاً أو كرهاً. فقال : إنْ تعفيني ، فهو خير لك ، وإنْ تجبرني على ذلك ، فوالله ، لا يجري به لساني أبداً. فقال : لا بدّ أنْ تركب المنبر وتلعن عليّاً. فقال : إذاً والله ، لأنصفنّك وأنصفنّ عليّاً. قال : تفعل ماذا ؟ قال : أحمد الله واُثني عليه واُصلّي على نبيّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وأقول : أيها النّاس ، إنّ معاوية أمرني أنْ ألعن عليّاً ، وأنّ عليّاً ومعاوية اقتتلا وادّعى كلّ منهما أنّه كان مبغياً عليه وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمّنوا على دعائي ، ثمّ أقول : اللهمّ ، العن أنت وملائكتك ، وأنبياؤك ورسلك ، وجميع خلقك ، الباغي منهما على الآخر ، والعن اللهمّ ، الفئة الباغية على الفئة المبغي عليها آمين ربّ العالمين. اللهمّ ، العنهم لعناً وبيلاً ، وجدد العذاب عليهم بكرة وأصيلاً. قال : بل أعفيناك يا أبا بحر.

وقال يوماً معاوية لجلسائه : ألستم تعلمون كتاب الله ؟ قالوا : بلى. فتلا قوله تعالى : ( وَإِن مّن شَيْ‏ءٍ إِلّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلُومِ )(1). فقال : كيف تلومونني بعد هذا ؟ فقام الأحنف ، فقال : ما نلومك على ما في خزائن الله ، إنّما نلومك على ما أنزل الله لنا من خزائنه فأغلقت عليه بابك. فسكت معاوية ولم يحرِ جواباً.

هكذا تكون حال المخلصين في ولائهم ، الذين أخذوا على أنفسهم نصرة الحقّ في حالتي الأمن والخوف ، والشدّة والرخاء ، أمثال الأحنف من أهل النفوس الكبيرة والهمم السامية ، وأمثال أنصار الحسين (عليه‌السلام) الذين تلقّوا السيوف والرماح والسّهام بنحورهم ووجوههم وصدورهم، لم يثنهم عن نصرة الحقّ خوف الردى ، ولم تتغير حالهم في تلك المواقف الرهيبة المخيفة.

ولـمّا خطبهم الحسين (عليه‌السلام) بكربلاء ، فقال (عليه‌السلام) : (( إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون ، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها ، ولم يبقَ منها إلّا صُبابة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الحِجر / 21.

كصبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألَا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ؟! ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً ؛ فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً )).

قام زهير بن القين ، فقال : قد سمعنا - هداك الله - يابن رسول الله مقالتك ، ولو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النّهوض معك على الإقامة فيها. ووثب نافع بن هلال الجملي ، فقال : والله ، ما كرهنا لقاء ربّنا ، وإنّا على نياتّنا وبصائرنا نوالي مَن والآك ، ونُعادي مَن عاداك. وقام برير بن خضير ، فقال : والله يابن رسول الله ، لقد منّ الله بك علينا أنْ نقاتل بين يديك ، وتُقطع فيك أعضاؤنا ، ثمّ يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

وخطبهم ليلة العاشر من الـمُحرّم فقال (عليه‌السلام) - من جملة خطبته - : (( ألّا وإنّي قد أذنت لكم ، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكم مني ذمام ، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً ، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم؛ فإنّهم لا يُريدون غيري )). فقال له إخوته وأبناؤه ، وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر : ولِمَ نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العبّاس بن أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، وأتبعه الجماعة عليه ، فتكلّموا بمثله ونحوه.

وقام مسلم بن عوسجة الأسدي فقال : أنحن نخلّي عنك وقد أحاط بك هذا العدو ؟! وبمَ نعتذر إلى الله في أداء حقّك ؟! لا والله ، لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتّى أكسر في صدورهم رمحي ، واُضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم يكن معي سلاح اُقاتلهم به ، لقذفتهم بالحجارة ولم اُفارقك أو أموت معك. وقام سعيد بن عبد الله الحنفي ، فقال : لا والله يابن رسول الله ، لا نخلّيك أبداً حتّى يعلم الله إنّا قد حفظنا فيك وصية رسول الله محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله). والله ، لو علمت أنّي اُقتل فيك ثمّ اُحيا ، ثمّ اُحرق

حيّاً ثمّ اُذرّى ، يُفعل فيَّ ذلك سبعين مرّة ، ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك ، وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ، ثمّ أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً ؟! وقام زهير بن القَين ، وقال: والله يابن رسول الله ، لوددت أنّي قُتلت ثمّ نُشرت ألف مرّة وأنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك ، وعن أنفس هولاء الفتيان من إخوانك وولدك وأهل بيتك.

وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً ، وقالوا : أنفسنا لك الفداء ! نقيك بأيدينا ووجوهنا ، فإذا نحن قُتلنا بين يديك ، نكون قد وفّينا لربّنا وقضينا ما علينا.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قَلَّ الصّحابةُ غيرَ أنّ  |  | قليلهُمْ غيرُ القَليلِ  |
| منْ كلِّ أبيضَ واضحِ الـ  |  | ـحَسَبينِ مَعدُومِ المثيلِ  |

\* \* \*

المجلس الثامن والسّبعون بعد المئة

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : لم يكن أحد أحبّ إلى معاوية أنْ يلقاه من أبي الطفيل الكناني ، وهو عامر بن وائلة ، وكان فارس أهل صفّين وشاعرهم ، وكان من أخصّ النّاس بعلي (عليه‌السلام). فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية ، فاُخبر معاوية بقدومه ، فأرسل إليه فأتاه ، وهو شيخ كبير ، فلمّا دخل عليه ، قال له معاوية : أنت أبو الطفيل عامر بن وائلة ؟ قال : نعم. قال معاوية : أكنت ممّن قتل أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : لا ، ولكن ممّن شهده فلم ينصره. قال : ولمَ ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار. فقال معاوية : أما والله ، إنّ نُصرته كانت عليك وعليهم حقّاً واجباً ، وفرضاً لازماً ، فإذا ضيّعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله ،

وأصاركم إلى ما رأيتم. فقال أبو الطفيل : فما منعك يا أمير المؤمنين ، إذ تربّصت به ريب المنون، أنْ تنصره ، ومعك أهل الشام ؟ فقال معاوية : أوَما ترى طلبي لدمه ؟! فضحك أبو الطفيل ، وقال : ويلي ! ولكنّي وإيّاك كما قال عبيد بن الأبرص :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لأعرِفنّكَ بعدَ الموتِ تنْدبُني  |  | وفي حَياتي ما زَوَّدتَني زادِي  |

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم ، فلمّا جلسوا نظر إليهم معاوية ، ثمّ قال : أتعرفون هذا الشيخ ؟ قالوا : لا. فقال معاوية : هذا خليل علي بن أبي طالب، وفارس صفّين ، وشاعر أهل العراق ، هذا أبو الطفيل. قال سعيد بن العاص : قد عرفناه، فما يمنعك منه وشتمه القوم ؟ فزجرهم معاوية ، وقال : مهلاً ، فربَّ يومٍ ارتفع عن السُّباب ، قد ضقتم به ذرعاً. ثمّ قال : أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل ؟ قال : ما أنكرهم من سوء، ولا أعرفهم بخير.

وأنشد شعراً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإنْ تكنْ العداوةُ قدْ أكنَّتْ  |  | فشرُّ عداوةِ المرءِ السُّبابُ  |

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ، ما أبقى لك الدهر من حبّ علي ؟ قال : حبّ اُمّ موسى ، وأشكو إلى الله التقصير. فضحك معاوية ، وقال : ولكن والله ، هؤلاء الذين حولك لو سُئلوا عنّي ما قالوا هذا. فقال مروان : أجل ، والله ، لا نقول الباطل. قال : ولا الحقّ تقولون ؟ ثمّ جهّزه معاوية وألحقه بالكوفة.

وسعيد بن العاص هذا ، هو والد عمرو بن سعيد بن العاص الذي كان والياً على المدينة من قِبل يزيد حين قُتل الحسين (عليه‌السلام) ؛ فلمّا بلغه قتله ، وسمع واعية بني هاشم في دورهم على الحسين (عليه‌السلام) حين سمعوا النداء بقتله ، ضحك وتمثّل بقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عجَّتْ نساءُ بني زيادٍ عجَّةً  |  | كعجيجِ نسوتُنا غداةَ الأرنَبِ  |

ثمّ قال عمرو : هذه واعية بواعية عثمان. ثمّ صعد المنبر وخطب النّاس ، وأعلمهم قتل الحسين (عليه‌السلام) ، وقال في خطبته : إنّها لدمَة بلدمة وصدمة بصدمة ، كم خطبة بعد خطبة وموعظة بعد موعظة ، حكمة بالغة فما تُغني النّذر ، والله ، لوددت أنّ رأسه في بدنه وروحه في جسده ، أحياناً كان يسبّنا ونمدحه ، ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته ، ولمْ يكن من أمره ما كان ، ولكن كيف نصنع بمَن سلّ سيفه يريد قتلنا إلّا أنْ ندفعه عن أنفسنا.

فقام عبد الله بن السائب ، فقال : لو كانت فاطمة حيّةً ، فرأت رأس الحسين (عليه‌السلام) لبكت عليه. فجبهه عمرو بن سعيد ، وقال : نحن أحقّ بفاطمة منك ؛ أبوها عمّنا ، وزوجها أخونا ، وابنها ابننا. لو كانت فاطمة حيّةً ، لبكت عينها ، وحرّت كبدها ، وما لامت مَن قتله ودفعه عن نفسه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأحالُوا على المقاديرِ في قَتْـ  |  | ـلِكَ لو أنّ عذرَهُمْ مقبولُ  |
| ما أطاعُوا فيكَ النَّبيَّ وقدْ ما  |  | لتْ بأسيافهمْ إليكَ الدُخولُ  |

\* \* \*

المجلس التاسع والسّبعون بعد المئة

كان خُزيمة بن ثابت - رضي‌الله‌عنه - من أصحاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد ، وجعل رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) شهادته كشهادة رجلين ؛ فسُمّي : ( ذو الشهادتين ). شهد مع أمير المؤمنين (عليه‌السلام) الجمل وصفّين ، واستشهد بين يديه بصفّين.

قال الـمُرزُباني : روي : أنّ ابن أبي ليلى قال : كنت بصفّين ، فرأيت رجلاً

أبيض اللحية معتمّاً متلثّماً ، لا يُرى منه إلّا أطراف لحيته ، يُقاتل أشدّ قتال ، فقلت : يا شيخ ، تُقاتل المسلمين ؟! فحسر لثامه ، وقال : أنا خُزيمة ، سمعت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يقول : (( قاتل مع عليٍّ جميعَ مَن يقاتل )).

ولخُزيمة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا نحنُ بايَعْنا عليّاً فحسبُنا  |  | أبو حسنٍ ممَّا نخافُ منَ الفِتَنْ  |
| وجدناهُ أولَى النّاسِ بالنّاسِ إنّهُ  |  | أطبُّ قُريشٍ بالكتابِ وبالسُّننْ  |
| وفيه الذي فيهمْ من الخيرِ كلِّهِ  |  | وما فيهمُ بعضُ الذي فيهِ منْ حَسَنْ  |

وله أيضاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما كنتُ أحسبُ هذا الأمرَ مُنتقلاً  |  | عنْ هاشمٍ ثُمَّ منها عنْ أبي حَسنِ  |
| أليسَ أوّلَ مَنْ صلَّى لقبلتِهمْ  |  | وأعلمَ النّاسِ بالقُرآن والسُّننِ  |
| وآخرَ النّاسِ عَهداً بالنَّبيِّ ومَنْ  |  | جبريلُ عونٌ لهُ في الغُسلِ والكَفَنِ  |
| وفيهِ ما فيهمُ لا يَمتَرون بهِ  |  | وليس في القومِ ما فيهِ منَ الحَسَنِ  |
| ماذا الذي ردَّكُمْ عنهُ فنعلَمُهُ  |  | ها إنَّ بيعتكُمْ منْ أغبنِ الغبَنِ(1)  |

وعن الأصبغ بن نباتة ، قال : نشد علي (عليه‌السلام) النّاس : (( مَن سمع النبيَّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قال يوم غدير خُمٍّ ما قال إلّا قام )). فقام بضعة عشر رجلاً ، فيهم : أبو أيوب الأنصاري ، وخُزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وسهل بن حنيف الأنصاري وغيرهم ، فقالوا : نشهد إنّا سمعنا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، يقول : (( ألَا إنّ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ورد المصراع الثاني بنحو آخر ، هو : ها إنّ ذا غَبَنٌ منْ أعظمِ الغَبَنِ.

الله عزّ وجل وليِّي ، وأنا وليُّ المؤمنين ، ألَا فمَن كنتُ مولاه ، فعليٌّ مولاه. اللهمّ ، والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه ، وأحبَّ مَن أحبَّه ، وأبغض مَن أبغضه ، وأعنْ مَن أعانه )). كما عن اُسد الغابة في أحوال الصحابة وغيره.

ومن الصحابة الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) قرظة بن كعب الأنصاري ، كان من الرّواة، وحارب مع أمير المؤمنين (عليه‌السلام) وولاّه فارس. وولدُهُ عمرو بن قرظة الأنصاري كان من أنصار الحسين (عليه‌السلام) الذين بالغوا في نصرته ، ولـمّا كان يوم عاشوراء ، استأذن الحسين (عليه‌السلام) في القتال فأذن له ، فبرز وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قدْ عَلمَتْ كتيبَةُ الأنصارِ  |  | أنّي سأحمي حوزةَ الذُّمّارِ  |
| ضربَ غُلامٍ غيرِ نكسٍ شاري  |  | دونَ حُسينٍ مُهجَتي وداري  |

فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء ، وبالغ في خدمة سلطان السّماء حتّى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد ، وجمع بين سداد وجهاد. وكان لا يأتي إلى الحسين (عليه‌السلام) سهمٌ إلّا اتّقاه بيده ، ولا سيف إلا تلقّاه بمهجته ، فلم يكن يصل إلى الحسين (عليه‌السلام) سوء حتّى اُثخن بالجراح ، فالتفت إلى الحسين (عليه‌السلام) ، وقال : يابن رسول الله ، أوَفيت ؟ قال (عليه‌السلام) : (( نعم ، أنت أمامي في الجنّة ، فاقرأ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) عنّي السّلام ، وأعلمه أنّي في الأثر )). فقاتل حتّى قُتل رضوان الله عليه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وتبادَرتْ تلْقَى الأسنَّةَ لا تَرى الْـ  |  | ـغمرات إلّا المائِساتِ الغيدَا  |
| وكأنّما قصدَ القنّا بنحورِهمْ  |  | دُرراً يُفصِّلُها الفناءُ عُقودَا  |

\* \* \*

المجلس الثمانون بعد المئة

كان قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري من أجلاّء الصحابة ، ومن المتفانين في حبّ علي (عليه‌السلام) ونصره.

وفي الإستيعاب ، قال الواقدي : كان قيس بن سعد من كرام أصحاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وأسخيائهم ودهاتهم. قال أبو عمرو : كان أحد الفضلاء الأجلّة ، وأحد دهاة العرب ، وأهل الرأي والمكيدة في الحرب ، مع النّجدة والبسالة ، والسخاء والكرم ، وكان شريف قومه غير مدافع، وكان يقول : اللهمّ ، ارزقني حمداً ومجداً ؛ فإنّه لا حمد إلّا بفعال ، ولا مجد إلّا بمال.

واستقرض منه رجل ثلاثين ألفاً ، فلمّا ردّها عليه أبى أنْ يقبلها ، وقال : إنّا لا نعود في شيء أعطيناه. وشكت إليه عجوز أنّه ليس في بيتها جرذ ، فقال : ما أحسن ما سألت ! أما والله ، لأكثرنّ جرذان بيتك ، فملأ بيتها طعاماً وأداماً. ولـمّا خرج أبوه من المدينة ، قسّم ماله بين أولاده ، وكان له حمل لا يعلم به ، فلمّا توفي أبوه ، طلبوا إلى قيس أنْ ينقض القسمة ، فقال : نصيبي للمولود ، ولا أنقض ما صنع أبي.

وكان لقيس دَينٌ كثيرعلى النّاس ، فمرض واستبطأ عوّاده ، فقيل : إنّهم يستحون من أجل دينك. فأمر فنودي : مَن كان لقيس عليه دَين فهو له ، فتزاحم النّاس على عيادته حتّى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه. وقال أنس بن مالك : كان قيس من النبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير.

صحب قيس علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ، وشهد معه الجمل وصفّين والنّهروان هو وقومه ، ولم يفارقه حتّى قُتل. وكان علي (عليه‌السلام) قد ولاّه على مصر ، فضاق به معاوية وكايد فيه عليّاً

ففطن له ، فلم يزل به الأشعث وأهل الكوفة حتّى عزله ، وولّى محمّد بن أبي بكر ففسدت عليه مصر. وكان قيس مع الحسن (عليه‌السلام) على مقدّمته ، ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم وتبايعوا على الموت ، فلمّا دخل الحسن (عليه‌السلام) في بيعة معاوية أبى قيس أنْ يدخل.قال أبو الفرج : إنّه نهض بمَن معه لقتال معاوية ، وخرج إليهم بُسر بن أرطأة في عشرين ألفاً ، فصاحوا بهم : هذا أميركم قد بايع ، وهذا الحسن (عليه‌السلام) قد صالح ، فعَلامَ تقتلون أنفسكم ؟ فقال لهم قيس - أي : لأصحابه - : اختاروا أحد اثنين ؛ إمّا القتال مع غير إمام ، أو تبايعون بيعة ضلال ؟ فقالوا : بل نُقاتل بلا إمام. فخرجوا وضربوا أهل الشام حتّى ردّوهم إلى مصافهم.

وكتب معاوية إلى قيس يدعوه ويمنّيه ، فكتب إليه قيس : لا والله ، لا تلقاني أبداً إلّا وبيني وبينك السّيف والرمح. وجرت بنيهما مكاتبات أغلظ كلّ منهما فيها لصاحبه ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : مهلاً ، إنْ كاتبته أجابك بأشدّ من هذا ، وإنْ تركته دخل فيما يدخل فيه النّاس. وقال قيس لأصحابه : إنْ شئتم جالدت بكم ، وإنْ شئتم أخذت لكم أماناً ؟ فقالوا : خذ لنا أماناً. فأخذ لهم وله أماناً ، ولم يأخذ لنفسه خاصّة شيئاً ، ثمّ لزم المدينة وأقبل على العبادة حتّى مات.

أقول : شتّان بين عبيد الله بن العبّاس وقيس بن سعد ، فهذا يسالم معاوية بعدما ذبح بُسر بن أرطأة أولاده الصغار على درج صنعاء حين أرسله معاوية ، ويبيع شرفه بالمال ، ويرضى بالذلّ والعار ، وقيس بن سعد يحلف أنْ لا يلقى معاوية إلّا بينه الرمح والسيف ، بعد ما بلغه أنّ الحسن قد صالح.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبتْ الحميَّةُ أنْ تُفارقَ أهلَهَا  |  | وأبَى العزِيزُ بأنْ يعيشَ ذلِيلا  |

ولـمّا نشر علي (عليه‌السلام) لواءه يوم صفّين ، قال قيس : هذا والله ،

اللواء الذي كنّا نحفّ به مع رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وجبرائيل لنا مدد. ثمّ قال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هذا اللّواءُ الذي كُنّا نحفُّ بهِ  |  | معَ النّبيِّ وجبرائيلٌ لنا مددُ  |
| ما ضرَّ مَن كانَت الأنصارُ عَيبَتَهُ  |  | أنْ لا يكونَ لهُ منْ غيرِهمْ أحدُ  |
| قومٌ إذا حارَبُوا طالتْ أكفُّهُمُ  |  | بالمشرفيَّةِ حتّى يُفتحَ البلدُ  |

يقول قيس - رحمه‌الله - كما سمعت :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هذا اللّواءُ الذي كُنّا نحفُّ بهِ  |  | معَ النّبيِّ وجبرائيلٌ لنا مددُ  |

أجل ، إنّ اللّواء الذي حفّت به الأنصار يوم بدر هو الذي حفّت به يوم صفّين ؛ ولهذا كانت تقول عكرشة بنت الأطرش يوم صفّين - وكانت مع أمير المؤمنين (عليه‌السلام) - : هذه بدر الصغرى والعقبة الكبرى. واللّواء الذي حفّت به جماعة من الأنصار مع الحسين (عليه‌السلام) يوم كربلاء ، هو الذي حفّوا به مع أبيه أمير المؤمنين (عليه‌السلام) يوم صفّين ، وحفّوا به مع جدّه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يوم بدر ، ولولا تلك الإحن البدريّة ، والأحقاد الجاهليّة لما كان حرب صفّين وواقعة كربلاء.

قالت اُمّ الخير البارقيّة يوم صفّين - وكانت مع علي (عليه‌السلام) - : إنّها إحن بدريّة ، وأحقاد جاهليّة وثب بها واثب حين الغفلة ، ليُدرك ثارات بني عبد شمس. وصرّح بذلك يزيد بن معاوية لـمّا وضع رأس الحسين (عليه‌السلام) بين يديه ، فجعل ينكت ثناياه بقضيب خيزران ، ويقول : يوم بيوم بدر.

وقال أيضاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهدوا  |  | جَزعَ الخزْرجِ منْ وقْعِ الأسلْ  |
| لأهلّوا واسْتهلّوا فرحاً  |  | ثمّ قالوا يا يزيدُ لا تشلْ  |
| قدْ قتلْنا القَرمَ منْ ساداتِهمْ  |  | وعَدلْناهُ ببدْرٍ فاعتَدَلْ  |
| لعبتْ هاشمُ بالـمُلكِ فلا  |  | خبرٌ جاء ولا وحيٌ نَزلْ |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ثاراتُ بدرٍ اُدرِكتْ في كرْبَلا  |  | لبني اُميّةَ من بني الزهراءِ  |

المجلس الحادي والثمانون بعد المئة

قال ابن أبي الحديد : روي أنّ الوليد بن جابر بن ظالم الطائي كان ممّن وفد على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فأسلم ، ثمّ صحب عليّاً (عليه‌السلام) وشهد معه صفّين ، وكان من رجاله المشهورين ، ثمّ وفد على معاوية بعد وفاة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ودخل عليه في جملة النّاس ، فاستنسبه فانتسب له ، فعرفه معاوية ، فقال له : أنت صاحب ليلة الهرير ؟ قال : نعم. قال : والله ، لا تخلو مسامعي من رجزك تلك الليلة ، وقد علا صوتك أصوات النّاس ، وأنت تقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شُدّوا فداءً لكُمُ اُمِّي وأبِ  |  | فإنّما الأمرُ غَداً لـمَنْ غلَبْ  |
| هذا ابنُ عمِّ الـمُصطفَى والـمُنتَجبْ  |  | تنْميهِ للعلياءِ ساداتُ العربْ  |
| ليسَ بموصُومٍ إذا نُصَّ النَّسبْ  |  | أوّلُ مَنْ صلَّى وصامَ واقتَرَبْ  |

قال : نعم ، أنا قائلها. قال : فلماذا قلتها ؟ قال : لأنّا كنّا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافة ، ولا فضيلة تصير إلى التقدمة إلّا وهي مجموعة له. كان أوّل النّاس سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأرجحهم حلماً. فات الجياد فلا يشقّ غباره ، واستولى على الأمد فلا يخاف عثاره ، وأوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره ، وسلك القصد فلا تدرس آثاره. فلمّا ابتلانا الله تعالى بافتقاده ، وحوّل الأمر إلى مَن يشاء من عباده ، دخلنا في جملة المسلمين ، فلم ننزع يداً عن طاعة ، ولم نصدع صفاة جماعة ، على أنّ لك منّا ما ظهر ، وقلوبنا بيد الله وهو أملك بها منك ، فاقبل صفونا وأعرض عن كدرنا ، ولا تُثر كوامن الأحقاد ؛ فإنّ النار تقدح بالزناد.

قال معاوية : وإنّك لتهددني يا أخا طيء ، بأوباش العراق ؟! أهل النفاق ومعدن الشقاق. فقال : يا معاوية ،

هم الذين أشرقوك بالرّيق ، وحبسوك بالمضيق ، وذادوك عن سُنن الطريق حتّى لذت منهم بالمصاحف ، ودعوت إليها مَن صدّق بها وكذّبت ، وآمن بمنزلها وكفرت ، وعرف من تأويلها ما أنكرت. فغضب معاوية ، وأدار طرفه فيمَن حوله فإذا جلّهم من مضر ، ونفر قليل من اليمن ، وحيث إنّ الوليد يمانيّ ، واليمانيّون قليلون في مجلسه ، لم يخف من الوليد ، فقال : أيها الشقي الخائن ، إنّي لأخال أنّ هذا آخر كلام تفوّهت به.

وكان عفير بن سيف بن ذي يزن بباب معاوية حينئذٍ ، وكان يمانيّاً ، فعرف موقف الطائي ومراد معاوية ، فخافه عليه ، فهجمَ عليهم الدار وأقبل على اليمانيّة ، فقال : شاهت الوجوه ذلاّ ًوقلاّ ً، وجدعاً وفلاّ ً. ثمّ التفت إلى معاوية ، فقال : لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة - يعني : صعصعة بن صوحان - وهو أعظم جرماً عندك من هذا ، ثمّ أثبتّه وسرّحته ، وأنت الآن مجمع على قتل هذا ، زعمت استصغاراً لجماعتنا ، ولَعمري ، لو وكلتك أبناء قحطان إلى قومك ، لكان جدّك العاثر وذكرك الداثر ، وحدّك المفلول وعرشك المثلول ، فأربع على ظلعك(1) ؛ فإنّا لا نرام بوقع الضيم ، ولا نتلمّط جرع الخسف(2).

فقال معاوية : الغضب شيطان ، فأربع على نفسك أيّها الإنسان ؛ فإنّا لم نؤتِ إلى صاحبك مكروهاً ، فدونكه ؛ فإنّه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره. فأخذ عفير بيد الوليد وخرج به إلى منزله ، ثمّ جمع مَن بدمشق من اليمانيّة ، وفرض على كلّ رجل دينارين في عطائه ، فبلغت أربعين ألفاً ، فجعلها من بيت المال ودفعها إلى الوليد وردّه إلى العراق.

ولو كان معاوية حليماً - كما يدّعي ويُدّعى له - ، لما قَتل حِجراً وأصحاب حِجر حيث لم يتبرّؤوا من أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، لـمَا قتل عمرو بن الحمق الخزاعي بعد ما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي : إنّك ضعيف ، فانته عمّا لا تطيقه.

(2) أي : الذّل. - المؤلّف -

حبس زوجته سنتين في سجن دمشق. ولـمّا جاءه رأسه ، أرسله إليها ووضعه في حجرها ، هذا بعد ما أعطى الحسن بن علي (عليه‌السلام) العهود والمواثيق أنْ لا يتعرض لشيعته. وإنّما كان يظهر الحلم حين يرى فيه مصلحة لدنياه ، وحين يخاف من عاقبة البطش ، فيدعه ويُظهر أنّ ذلك عن حلم ، وإنّما هو عن خوف ، وإلّا فما باله وقد ملك الأمر ، وانقادت له النّاس بعد صلح الحسن (عليه‌السلام) ، يسلّط زياد بن أبيه على شيعة علي (عليه‌السلام) ، فيسومهم سوء العذاب بالقتل والنّفي ، وسلب الأموال وهدم الدور ؟ وما بالُه يستحضر مَن يعرفهم بحبّ علي (عليه‌السلام) ، من نساء ورجال ، من الأمكنة البعيدة ، فيتهدّدهم ويتوعّدهم ويؤنّبهم ، ثمّ يُظهر الحلم عنهم حينما يخاف عاقبة البطش ؟ وما بالُه يُحمل عبد الله بن هاشم المرقال إليه أسيراً ، بعد صلح الحسن (عليه‌السلام) ، فيسجنه ويُهدّده بالقتل ؟

ولو كان حليماً - كما يقول ويُقال فيه - لفعل كما فعل أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، فعفا عن أهل الجمل لـمّا ظفر بهم ، وفيهم أعدى النّاس له ، ولم يجازهم بشيء ، وأصدر عفواً عامّاً عن جميع أهل البصرة الذين حاربوه. وما حلمُ معاوية الذي يظهر إلّا كحلم ولده يزيد عن أهل بيت الرسالة ، فإنّه بعدما قتل الحسين (عليه‌السلام) ، وسبى نساءه وأطفاله ، وحملهم إليه من الكوفة إلى الشام ، وأدخل النّساء إلى مجلسه العام ، أراد أنْ يتلافى ما فرّط منه حين خشي سوء العاقبة في الدنيا ، لـمّا رأى النّاس تنقم عليه ، فقال لزين العابدين (عليه‌السلام) : إنْ شئت أقمت عندنا فبررناك، وإنْ شئت رددناك الى المدينة. فقال (عليه‌السلام) : (( لا اُريد إلّا المدينة )). فأرسلهم إليها ، وأرسل معهم النّعمان بن بشير الأنصاري في جماعة وأمره بالرّفق بهم ، وأنْ ينزل بعيداً عنهم حين ينزلون.

ولكن ما يفيده ذلك بعد أنْ فعل ما فعل ، وارتكب ما ارتكب؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وودَّ أنْ يتلافَى ما جنتْ يدُهُ  |  | وكانَ ذلك كسْراً غيرَ مَجْبُورِ  |
| تُسبَى بناتُ رسولِ الله بينَهُمُ  |  | والدِّينُ غضُّ المبادي غيرُ مستورِ  |

\* \* \*

المجلس الثاني والثمانون بعد المئة

قال الـمُرزُباني : دخل عدي بن حاتم الطائي - رحمه‌الله ، وكانت عينه ذهبت يوم الجمل - على معاوية وعنده ابن الزّبير ، فقال ابن الزّبير : يا أبا طريف ، متى ذهبت عينُك ؟ قال : يوم فرّ أبوك مُنهزماً فقُتل ، وضُربتَ على قفاك وأنت هارب ، وأنا مع الحقّ وأنت مع الباطل. فقال معاوية : ما فعل الطُّرفات ؟ - يعني : طريفاً وطُرافاً وطُرْفة أبناءه - قال : قُتلوا مع أمير المؤمنين علي (عليه‌السلام). فقال له : ما أنصفك علي ؛ إذ قدّم أبناءك وأخّر أبناءه. قال : بل أنا ما أنصفته ؛ إذ قُتل وبقيت بعده. قال له معاوية : أما أنّه قد بقيت قطرة من دم عثمان ، ما لها إلّا كذا ، وأومأ بيده إليه. فقال له عدي : إنّ السّيوف التي اُغمدتْ اُغمدتْ على حسّك في الصدور ، ولعلّك تسلُّ سيفاً تسلُّ به سيوفاً. فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص ، فقال : كلمة شدَّها في قَرنك. ثمّ خرج عدي ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يحاولُنِي مُعاويةُ بن صخْرٍ  |  | وليسَ إلى التي يَبغِي سبيلُ  |
| يُذكِّرُني أبا حَسنٍ عليّاً  |  | وخَطْبي في أبي حسنٍ جليلُ  |
| وقال ابنُ الزُّبيرِ وقال عمرٌو  |  | عديٌّ بعدَ صفّين ذليلُ  |
| فقُلتُ صدقتُما قدْ هدَّ ُكني  |  | وفارقَني الذينَ بهِمْ أصولُ  |
| ولكنّي على ما كانَ منِّي  |  | اُخبِّرُ صاحبيَّ بما أقولُ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وإنّ أخاكُما في كلِّ يومٍ  |  | من الأيامِ محمِلُهُ ثقيلُ  |

أقول : كلّ مَن كان عريقاً في ولاء أهل البيت (عليهم‌السلام) يهون عليه فداء نفسه وولده في محبّتهم؛ ألاَ ترى إلى بشر بن عمرو الحضرمي حين قيل له يوم الطفِّ : إنّ ابنه اُسّر بثغر الري ، فقال : عند الله أحتسبه ونفسي ، ما كنت أحبّ أنْ يُؤسر وأبقى بعده. فسمع الحسين (عليه‌السلام) قوله ، فقال له : (( رحمك الله ، أنت في حلٍّ من بيعتي ، فاذهب واعمل في فكاك ابنك )). فقال : أكلتني السباع حيّاً إنْ فارقتك. قال (عليه‌السلام) : (( فأعطِ ابنك هذا هذه الأثواب البُرود ؛ يستعين بها في فداء أخيه )). فأعطاه خمسة أثواب بُرود قيمتها ألف دينار ، فحملها مع ولده.

فحيّا الله هذه النّفوس الكريمة التي سخت بدمائها وأبنائها في فداء أهل بيت نبيّها (عليهم‌السلام) ، وحفظت وصية رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) في آله وذرّيّته.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مِنْ كُلِّ مُكتهلٍ في عزمِ مُقتَبلِ  |  | وكُلِّ مُقتَبلٍ في حزمِ مُكتَهلِ  |
| قَرمٌ إذا الموتُ أبدَى عنْ نواجذِهِ  |  | ثنّى لهُ عطفَ مسْرورٍ بهِ جذلِ  |
| أبتْ لهُ نفسُهُ يومَ الوغَى شرَفاً  |  | أنْ لا تسيلَ على الخِرصانِ والأسَلِ  |

\* \* \*

المجلس الثالث والثمانون بعد المئة

في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ، عن الأصبغ بن نباتة ، قال : دخل ضرار بن ضمرة على معاوية بعد وفاة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، فقال له : يا ضرار ، صف لي عليّاً. فقال : أعفني من ذلك. فقال : أقسمتُ عليك لتصفنّه لي. فقال : إنْ كان لا بُدّ من ذلك ، فإنّه كان والله ، بعيد المدى شديد

القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجّر العلم من جوانبه وتُنطق الحكمة من لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير الدمعة طويل الفكرة ، يُعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، وكان فينا كأحدنا ؛ يُجيبنا إنْ سألناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله ، مع قُربنا منه وقربه منّا لا نكاد نُكلّمه ؛ هيبة له ، يُعظّم أهل الدّين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله.

وأشهد بالله يا معاوية ، لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته الشريفة ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، وهو يقول : (( إليك عنّي يا دُنيا ، غرّي غيري ، ألي تعرضتِ أمْ إليّ تشوّقت ؟ هيهات هيهات ! فإنّي قد طلقتُك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ؛ فعمرك قصير ، وخطرك كبير ، وعيشك حقير)). ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( آهٍ آهٍ ! من قلة الزاد ، وبُعد السّفر ، ووحشة الطّريق )). ثمّ بكى ضرار ، وبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله ، كذلك. ثمّ قال : فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن مَن ذُبح ولدُها في حِجرها ؛ فهي لا ترقى لها دمعة ، ولا تسكن لها زفرة.

وفي خبر : ترصّد عمرو بن حريث غذاء أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، فأتته فضّة بجراب مختوم ، ففكّه واستخرج منه خبزاً متغير اللّون ، خشناً جشباً ، فقال عمرو : يا فضة ، ألَا تتّقين الله في هذا الشيخ ؟ ألَا تنخلين له دقيق هذا الخبز وتُطيّبينه ؟ فقالت : قد كنت أفعل ذلك فنهاني ، وكنتُ أضع في جرابه طعاماً طيّباً فختم جرابه. قال : ثمّ إنّ أمير المؤمنين (عليه‌السلام) فتّ ذلك الخبز في قصعة ، وصبّ عليه الماء ، وحسّر عن ذراعيه وجعل يأكل حتّى اكتفى ، فلمّا فرغ من الأكل، التفت إليّ ، وقال : (( لقد خابت هذه - ومدّ يده إلى لحيته الكريمة - وخسرت هذه ، إنْ أدخلتُها النّار من أجل الطعام )).

ورآه عدي بن حاتم ، وبين يديه شُنّة وفيها

قراح ماء وكسرات من خبز الشعير ، فقال له : [ إنّي لا ] أرى لك ذلك يا أمير المؤمنين ، أنْ تظلّ نهارك صائماً مجاهداً ، وبالليل ساهراً مكابداً ، ثمّ يكون هذا فطورك ! فقال (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| علِّلْ النَّفسَ بالقنُوعِ وإلّا  |  | طلَبتْ منكَ فوقَ ما يكْفِيها  |

ولمْ يزلْ هذا دأبه ، وهذه سجيّته حتّى أتى إليه ابن ملجم المرادي ، وضربه بالسّيف على اُمّ رأسه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألمْ يعْلَمِ الْجاني على اللّيثِ أنّه  |  | أتَى اللّيثَ في محرابِهِ وهو ساجدُ  |
| ولو جاءهُ من حيثُ ما اللّيثُ مُبصرٌ  |  | لخانتهُ عن حملِ الحُسامِ السَّواعدُ  |

فلمّا حضرته الوفاة ، دعا أولاده كلّهم صغيراً وكبيراً ، وجعل يودّعهم ويقول : (( الله خليفتي عليكم ، أستودعكم الله )). وهم يبكون ، ثمّ التفت إلى ولده الحسن (عليه‌السلام) ، فقال : (( يا أبا محمّد ، اُوصيك بأبي عبد الله خيراً ؛ فأنتما منّي وأنا منكُما )). ثمّ قال : (( كأنّي بكم وقد خرجت عليكم الفتن من ها هنا وها هنا ، فعليكم بالصبر ؛ فهو محمود العاقبة )). ثمّ قال : (( يا أبا عبد الله ، أنت شهيد هذه الاُمّة ، فعليك بتقوى الله ، والصبر على بلائه )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبا حَسنٍ أبناؤكَ اليومَ حلَّقْتْ  |  | بقادمةِ الأسيافِ عن خطَّةِ الخسْفِ  |
| سلْ الطَّفَّ عنهُمْ أينَ بالأمسِ طنَّبُوا  |  | وأينَ اسْتَقلُّوا اليومَ عنْ عرْصَةِ الطَّفِّ  |

\* \* \*

المجلس الرابع والثمانون بعد المئة

روى الشيخ المفيد - عليه الرحمة - في كتاب الإختصاص ، بسنده قال :

قَدِم وفد العراقيّين على معاوية ، فقدم في وفد أهل الكوفة عدي بن حاتم الطائي ، وفي وفد أهل البصرة الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : هؤلاء رجال الدّنيا ، وهم شيعة علي الذين قاتلوا معه يوم الجمل ويوم صفّين ، فكن منهم على حذر.

فأمر لكلِّ رجل منهم بمجلس سري واستقبل القوم بالكرامة ، فلمّا دخلوا عليه ، قال لهم : أهلاً وسهلاً ، قدمتم الأرض المقدّسة ، وأرض الأنبياء والرُّسل ، والحشر والنّشر. فتكلّم صعصعة، وكان من أحضر النّاس جواباً ، فقال : أمّا قولك الأرض المقدّسة ، فإنّ الأرض لا تُقدّس أهلها ، وإنّما تُقدّسهم الأعمال الصالحة ؛ وأمّا قولك أرض الأنبياء والرسل ، فمَنْ بها من أهل النّفاق والشرك ، والفراعنة والجبابرة ، أكثر من الأنبياء والرسل ؛ وأمّا قولك أرض الحشر والنّشر ، فإنّ المؤمن لا يضرّه بُعد المحشر ، والمنافق لا ينفعه قربُه.فقال معاوية : لو كان النّاس كلّهم أولدهم أبو سفيان ، لا كان فيهم إلّا كيّساً رشيداً. فقال صعصعة : قد أولد النّاس مَن كان خيراً من أبي سفيان ، وهو آدم أبو البشر ، فأولد الأحمق ، والفاجر والفاسق ، والمعتوه والمجنون. فخجل معاوية.

وروى المفيد أيضاً في الكتاب المذكور ، بسنده عن السائب قال : خطب النّاس يوماً معاوية بمسجد دمشق - وفي الجامع يومئذ من الوفود علماء قريش ، وخطباء ربيعة ، وصناديد اليمن وملوكها - فقال : إنّ الله تعالى أكرم خلفاءه ، فأوجب لهم الجنّة وأنقذهم من النّار ، ثمّ جعلني منهم ، وجعل أنصاري أهل الشام الذابّين عن حرم الله ، المؤيَّدين بظفر الله ، المنصورين على أعداء الله.

وكان في الجامع من أهل العراق الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان ، فقال الأحنف لصعصعة : أتكفيني ، أمْ أقوم إليه أنا ؟ فقال صعصعة : بل أكفيكه أنا. فقام صعصعة ، فقال : يابن أبي سفيان ، تكلّمت فأبلغت ولم تقصر دون ما أردت ، وكيف

يكون ما تقول وقد غلبتنا قسراً ، وملكتنا تجبّراً ، ودِنتنا بغير الحقّ ؟ فأمّا إطراؤك لأهل الشام ، فما رأيت أطوع لمخلوق ولا أعصى لخالق منهم ، ابتعت منهم دينهم وأبدانهم بالمال ، فإنْ أعطيتهم حاموا عنك ونصروك ، وإنْ منعتهم قعدوا عنك ورفضوك. قال معاوية : اسكت يابن صوحان ، فوالله ، لولا أنّي لمْ اتجرّع غصةَ غيظٍ قط أفضل من حلم ، لَما عدتَ إلى مثل مقالتك. فقعد صعصعة ، فأنشأ معاوية يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قبِلتُ جاهلَهُمْ حِلماً ومكْرُمةً  |  | والحلمُ عنْ قُدرةٍ فضلٌ مِنَ الكَرَمِ  |

وهذا الحلم الذي كان يظهره معاوية ، إنّما كان حيث تقتضيه السّياسة ويخاف من عاقبة البطش ، وإلّا فما باله قتل حِجر بن عدي وأصحابه ؟ وعمرو بن الحمق وأمثاله ؟ وبعث أحد أصحاب حِجر إلى زياد فدفنه حيّاً - كما رواه ابن الأثير - بعدما كان أمّن هؤلاء كلّهم ؟ وحُمل عبد الله بن هاشم المرقال إليه مُكبّلاً بالحديد ؟ ونادى مناديه بعد صلح الحسن (عليه‌السلام) : أنْ برئت الذمّة ممّن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته ؟!

واستعمل زياداً على الكوفة والبصرة ، فجعل يتتبّع الشيعة ويقتلهم تحت كلّ حجر ومدر ، وأخافهم ، وقطّع الأيدي والأرجل ، وصلبهم في جذوع النخل ، وسَمل أعينهم ، وطردهم وشرّدهم حتّى نُفوا من العراق ، فلم يبقَ بها أحد معروف ، وكتب إلى عمّاله بقتلهم على التهمة والظنّة.

واقتدى به ولده يزيد ، فولّى الكوفة والبصرة عبيد الله بن زياد ، كما ولاّهما أبوه زياداً ، فقتل الشيعة وأخافهم ، وصلبهم في جذوع النخل ، كما فعل بميثم التمّار وأمثاله ، حتّى آل أمره إلى قتل مسلم بن عقيل ورميه من أعلى القصر ، وإلى قتل ريحانة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الحسين (عليه‌السلام) وأهل بيته وأصحابه ، ومنعه من الماء ، ورضّ جسده الشريف بعد القتل بحوافر الخيل ، وحمل رأسه ورؤوس أصحابه من بلد إلى بلد ، وسبي نساء

بيت النّبوّة والرسالة ، ومقابلته لهنّ بأفظِّ القول وأجفاه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بَنى لَهُمُ الماضونَ آساسَ  |  | هَذِهِ فَعَلّوا عَلى آساسِ تِلكَ القَواعِدِ  |
| أَلا لَيسَ فِعلُ الأَوَّلينَ وَإِنْ  |  | عَلا عَلى قُبحِ فِعلِ الأَخَرينَ بِزائِدِ  |

 \* \* \*

المجلس الخامس والثمانون بعد المئة

في العقد الفريد : لـمّا قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه ، وقضى حوائجه وقضى دينه ، ثمّ قال له يوماً : إنّ عليّاً قطع قرابتك وما وصلك. قال عقيل : والله ، لقد أجزل العطيّة وأعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظنّه بالله إذ ساء به ظنّك ، وحفظ أمانته وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم وجرتم ، فاكففْ لا أباً لك ! فإنّه عمّا تقول بمعزل.

وقال معاوية يوماً ، وعقيل عنده : هذا أبو يزيد ، لولا علمه أنّني خير له من أخيه ، لَمَا أقام عندنا وتركه. فقال عقيل : أخي خيرٌ لي في ديني ، وأنت خيرٌ لي في دنياي ، وقد آثرت دنياي ، وأسأل الله خاتمة خير. وقال له يوماً : أنتم يا بني هاشم ، تُصابون في أبصاركم ! - وكان عقيل مكفوف البصر - فقال : وأنتم يا بني اُميّة ، تصابون في بصائركم.

ودخل عقيل يوماً على معاوية ، فقال معاوية لأصحابه : هذا عقيل عمّه أبو لهب. فقال عقيل : وهذا معاوية عمّته حمّالة الحطب. وقال له معاوية : أين ترى عمّك أبا لهب ؟ فقال عقيل : إذا دخلت النّار ، فخذ على يسارك ، تجده مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب ، فانظر أيّهما شر ؟

وروى المدائني قال : قال معاوية يوماً لعقيل بن أبي طالب : هل

من حاجة فأقضيها لك ؟ قال : نعم ، جارية عرضت عليّ وأبى أصحابها أنْ يبيعوها إلّا بأربعين ألفاً. فأحبّ معاوية أنْ يُمازحه ، فقال : وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً ، وأنت أعمى تجتزي بجارية قيمتها خمسون درهماً ؟ قال عقيل : أرجو أنْ تلد لي غُلاماً ، إذا أغضبتَه يضرب عنقك بالسّيف. فضحك معاوية ، وقال : مازحناك يا أبا يزيد. وأمر فابتعيت له الجارية التي أولد منها مُسلماً !(1)

فلمّا أتت على مسلم ثماني عشرة سنة ، وقد مات أبوه عقيل ، قال لمعاوية : إنّ لي أرضاً بمكان كذا في المدينة ، وإنّي اُعطيت بها مئة ألفٍ وقد أحببت أنْ أبيعك إيّاها ، فادفع إليّ ثمنها. فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه ، فبلغ ذلك الحسين (عليه‌السلام) ، فكتب إلى معاوية : (( أمّا بعد ، فإنّك غررت غُلاماً من بني هاشم ، فابتعت منه أرضاً لا يملكها ، فاقبض من الغُلام ما دفعته إليه ، واردد إلينا أرضنا )). فبعث معاوية إلى مسلم فأخبره ذلك ، وأقرأه كتاب الحسين (عليه‌السلام) ، وقال : اردد علينا مالنا ، وخُذ أرضك ؛ فإنّك بِعت ما لا تملك. فقال مسلم : أمّا دون أنْ أضرب رأسك بالسّيف فلا. فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه ، ثمّ قال : يا بُني ، هذا والله ، كلامٌ قاله لي أبوك حين ابتعت له اُمّك. ثمّ كتب إلى الحسين (عليه‌السلام) : إنّي قد رددت عليكم الأرض ، وسوّغت مسلماً ما أخذ.

ومناقب مسلم وفضائله كثيرة ، وشجاعته عظيمة شهيرة ، وهو الذي قال في حقّه الحسين (عليه‌السلام) لـمّا بعثه إلى أهل الكوفة ، فكتب إليهم : (( أنا باعثٌ إليكم أخي وابنَ عمّي وثقتي من أهل بيتي ، مسلم بن عقيل )). وهو الذي أجاب عبيد الله بن زياد بتلك الأجوبة العظيمة ، وذلك حين اُخذ مسلم أسيراً واُدخل على ابن زياد ، فقال له الحرسيّ : سلّم على الأمير. فقال : اسكت ويحك ! والله ، ما هو لي بأمير. قال ابن زياد : لا عليك ، سلّمت أم لمْ تسلّم فإنّك مقتول. فقال له مسلم : إنْ قتلتني ، فلقد قتل مَن هو شرّ منك مَن هو خيرٌ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) لا يخفى ما في الرّواية من منافاة - إنْ صحّت - بين ما ورد فيها ، وبين ولادة مسلم السّابقة لوفود أبيه عقيل على معاوية أيام خلافة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، اللهمّ الاّ اذا قلنا بوفود عقيل هذا زمن عمر أو عثمان ووقعت الحادثة آنذاك ، وإنْ كان هذا بعيداً أيضاً ؛ خصوصاً بعدما وجدنا لمسلم هذا حضوراً في الفتوحات أيام عمر بن الخطاب. ( موقع معهد الإمامَين الحسنَين )

منّي. فقال له ابن زياد : قتلني الله إنْ لمْ أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. فقال له مسلم : أما إنّك أحقّ مَن أحدث في الإسلام ما لمْ يكن ، وإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح الـمُثلة ، وخبث السّريرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك. فقال ابن زياد : يا عاق يا شاق ، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين ، وألقحت الفتنة. فقال مسلم : كذبت إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد ، وأمّا الفتنة فإنّما ألقحتها أنت وأبوك. فقال ابن زياد : منّتك نفسك أمراً حال الله دونه ، وجعله لأهله. فقال له مسلم : ومَن أهله يابن مرجانة إذا لم نكن نحن أهله ؟! فقال ابن زياد : أهله أمير المؤمنين يزيد. فقال مسلم : الحمد لله على كلّ حال ، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد : أتظنّ أنّ لك في الأمر شيئاً ؟ فقال له مسلم : والله ، ما هو الظنّ ولكنّه اليقين.

فقال له ابن زياد : أتيت النّاس وهم جميع ، فشتتّ أمرهم ، وفرّقت كلمتهم. قال : كلاّ لست لذلك أتيت ، ولكنّكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف ، وتأمّرتم على النّاس بغير رضىً منهم، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر ؛ فأتيناهم لنأمرهم بالمعروف وننهى عن المنكر. فقال له ابن زياد : لِم لمْ تعمل بذلك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ قال مسلم : أنا أشرب الخمر ؟! أما والله ، إنّ الله ليعلم أنّك تعلم أنّك غير صادق ، وأنّ أحقّ بشرب الخمر منّي مَنْ يقتل النّفس التي حرّم الله على الغضب ، والعداوة ، وسوء الظن. فاقبل ابن زياد يشتمه ويشتم عليّاً والحسن والحسين (عليهم‌السلام) وعقيلاً ، فقال له مسلم : أنت وأبوك أحقّ بالشتيمة ، فاقضِ ما أنت قاضٍ يا عدوّ الله.

فقال ابن زياد : اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه. فصعد به بكر بن حمران ، وهو يكبّر ويستغفر الله ويُسبّحه ، ويصلّي على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ويقول : اللهمّ ، احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذّبونا وخذلونا. فضرب عنقه واتبع رأسه جسده.

فلمّا بلغ خبره الحسين (عليه‌السلام) ، استعبر

باكياً ، ثمّ قال : (( رحم الله مُسلماً ، فلقد صار إلى رَوح الله وريحانه ، وتحيّاته ورضوانه ، أما أنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا )). ثمّ أنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإنْ تكُنْ الدُّنيا تعدُّ نفيسةً  |  | فإنّ ثوابَ اللهِ أعلى وأنبلُ  |
| وإنْ تكُنْ الأبدانُ للموتِ اُنشئتْ  |  | فقتلُ امرئٍ بالسّيفِ في اللهِ أفضلُ  |
| وإنْ تكُنْ الأرزاقُ قِسْماً مُقدّراً  |  | فقلّةُ حِرصِ المرءِ في السَّعي أجملُ  |
| وإنْ تكُنْ الأموالُ للتّركِ جَمعُها  |  | فما بالُ متروكٍ به المرءُ يبخلُ  |

\* \* \*

المجلس السّادس والثمانون بعد المئة

ذكر غير واحد من المؤرّخين ، منهم : ابن أبي الحديد في ( شرح نهج البلاغة) : إنّ عبد الله بن الزّبير لـمّا قطع ذكر رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من الخطبة ، لامهُ النّاس ، فقال : إنّ له اُهيلَ سوءٍ ، إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم(1) ، فاُحبّ أنْ أكبتهم. وعاتبه قوم من خاصّته على ذلك ، فقال : ما تركته علانيّة إلّا وأنا أقوله سرّاً ، ولكنّي رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره ، أشرأبّوا واحمرّت ألوانهم وطالت رقابهم ، والله ، ما كنت آتي لهم سروراً وأنا اقدر عليه... إلى أنْ قال : بيت سوء لا أوّل لهم ولا آخر.

فبلغ ذلك ابن عبّاس ، فخرج مغضباً ومعه ابنه حتّى أتى المسجد ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على رسوله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ثمّ قال : أيّها النّاس ، إنّ الزّبير يزعم أنّه لا أوّل لرسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ولا آخر ، فيا عجباً كلّ العجب لافترائه وكذبه ! إنّ أوّل مَن أخذ الإيلاف وحمى عِيرَ قريشٍ لهاشم ، وإنّ أوّل مَن سقى بمكة عَذِباً ، وجعل باب الكعبة ذهباً

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي : رفعوا أعناقهم.

لعبد المطلب ، والله ، لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش ، وإنّا كنّا لقالتهم إذا قالوا ، وخطباءهم إذا خطبوا ، وما عُدّ مجدٌ كمجد أوّلنا ، ولا كان في قريش مجد لغيرنا ؛ لأنّها كانت في كفر ماحق ودين فاسق ، وضلة وضلالة ، في عشواء عمياء حتّى اختار الله لنا نوراً ، وبعث لنا سراجاً ، فانتجبه طيّباً من طيّبين ، فكان أحدَنا وولدَنا ، وعمَّنا وابنَ عمّنا. ثمّ إنّ أسبق السابقين إليه منّا ابن عمنّا ، ثُمّ تلاه في السّبق أهلنا ولحمتنا ، واحداً بعد واحد ، ثمّ إنّا لَخير النّاس بعده ؛ أكرمهم أدباً ، وأشرفهم حسباً ، وأقربهم منه رحماً.

وأعجباً كلّ العجب لابن الزّبير ! يَعيب بني هاشم ، وإنّما شرُفَ هو وأبوه وجدّه بمصاهرتهم ! أما والله ، إنّه لمسلوب قريش ، ومتى كان العوّام بن خويلد يطمع في صفيّة بنت عبد المطلب ؟ قيل للبغل : مَن أبوك ؟ فقال : خالي الفرس. ثمّ نزل.

وخطب ابن الزّبير بمكّة ، وابن عباس تحت المنبر ، فقال : إنّ ههنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ؛ يُفتي في القملة والنّملة ، وقد قاتل اُمّ المؤمنين وحواري رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فقال ابن عباس لقائده : استقبل بي وجه ابن الزّبير ، وارفع من صدري - وكان قد كُفّ بصرُه -. فاستقبل به وجهه ، فحسر عن ذراعيه ، ثمّ قال : يابن الزّبير :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قدْ أنصفَ القارَةَ مَنْ رامَاهَا  |  | إنّا إذا ما فئةً نلقاهَا  |
| نردُّ اُولاهَا على اُخراهَا  |  | حتّى تصيرَ حَرضاً دَعْواها  |

فأمّا العمى ، فإنّ الله تعالى يقول : ( فَإِنّهَا لَا تَعْمَى‏ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَي الْقُلُوبُ الّتِي فِي الصّدُور )(1) ؛ وأمّا فُتياي في القملة والنّملة ، فإنّ فيهما [ حكمين ] لا تعلمهما أنت ولا أصحابك ؛ وأمّا قتالنا اُمّ المؤمنين ، فبنا سُمّيت اُمّ المؤمنين ، لا بك ولا بأبيك ، فانطلق أبوك وخالك إلى حجاب مدّه الله عليها ، فهتكاه عنها ، ثمّ اتخذاها فتنة يقاتلان دونها ، وصانا حلائلهما ، فلا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الحجّ / 46.

أنصفا الله ولا محمّداً من أنفسها ؛ إذ أبرزا زوجة نبيّهما وصانا حلائلهما.

وأمّا قتالنا إيّاكم ، فإنّا لقيناكم زحفاً ، فإنْ كنّا كفّاراً ، فقد كفرتم بفراركم منّا ، وإنْ كنّا مؤمنين ، فقد كفرتم بقتالكم إيّانا. وأيَم الله ، لولا مكان صفيّة فيكم ، ومكان خديجة فينا ، لَمَا تركت لبني أسد بن عبد العُزّى عظماً إلّا كسرتُه. فقال في ذلك أيمن بن خريم الأسدي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا بنَ الزُّبيرِ لقدْ لاقيتَ بائقةً  |  | من البوائقِ فالطُفْ لُطفَ مُحتالِ  |
| لاقيْتهُ هاشميّاً طاب مَنْبتُهُ  |  | في مغرسيهِ كريمَ العمِّ والخالِ  |
| ما زالَ يقرعُ منكَ العظْمَ مُقتَدِراً  |  | على الجوابِ بصوتٍ مُسمعٍ عالي  |
| حتّى رأيتُكَ بينَ النّاسِ مُحتَجِراً  |  | خلفَ الغبيطِ وكُنتَ الباذخَ العالي  |
| إنّ ابنَ عبّاسٍ المعْرُوفُ حكمتُهُ  |  | خيرُ الأنامِ له حالٌ مِنَ الحالِ  |
| لـمّا رماكَ على رُسلٍ بأسْهُمِهِ  |  | جرتْ عليكَ كسوفُ الحالِ والبالِ  |
| واعلمْ بأنّكَ إنْ عاودْتَ عيبتَهُ  |  | عادَتْ عليكَ مخازٍ ذاتِ أذيالِ  |

فرحم الله ابن عبّاس ، فلقد كان من علماء بني هاشم وخطبائهم ، وله مواقف مشهورة ، ومقامات معدودة في نُصرة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) وولده ، والذبّ عن حوزة الحقّ ، وفي المناظرة والاحتجاج مع عائشة اُمّ المؤمنين بالبصرة ، ومع أهل النّهروان ، ومع معاوية وابن العاص وابن الزّبير وغيرهم.

وكان أمير المؤمنين (عليه‌السلام) يبعثه في المهمات ، واختاره للحكومة يوم الحكمين فأبى أهل العراق، وكان تلميذ أمير المؤمنين (عليه‌السلام) وبه تخرّج ومنه تعلّم ، وكان مُخلصاً في ولائه وولاء ذرّيّته. ولـمّا حضرته الوفاة ، قال : اللهمّ ، إنّي أتقرّب إليك بولائي لعلي بن أبي طالب (عليه‌السلام). وكان يمسك بركاب الحسنين (عليهما‌السلام) حتّى يركبا ، ويقول : هُما ولدا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله).

وقال له معاوية لـمّا قُبض الحسن (عليه‌السلام) : أصبحت سيّد بني هاشم. فقال : أما وأبو عبد الله حيّ فلا. ولـمّا عزم

الحسين (عليه‌السلام) على الخروج إلى العراق ، جاءه عبدالله بن عباس فنهاه عن الخروج ، فقال (عليه‌السلام): (( أستخير الله وانظر ما يكون )). ثمّ أتاه مرّة ثانية فأعاد عليه النَهي ، وقال : إنْ أبيت إلّا الخروج فاخرج إلى اليمن. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( يابن عمّ ، والله ، إنّي لأعلمُ أنّك ناصحٌ مشفق ، وقد ازمعتُ وأجمعت المسير )). فخرج ابن عبّاس ومرّ بابن الزّبير ، وأنشد :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا لكِ منْ قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ  |  | خلا لكِ الجوُّ فبيضِي واصفرِي  |
| ونقِّري ما شِئْتِ أنْ تُنقِّري  |  | هذا حسينٌ خارجٌ فأبشِري  |

ثُمّ أتاه هو وابن الزّبير ، وأشار عليه بالإمساك عن المسير إلى الكوفة ، فقال لهما : (( إنّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قد أمرني بأمرٍ وأنا ماضٍ فيه )). فخرج ابن عبّاس ، وهو يقول : وا حُسيناه !

ولـمّا دعاه ابن الزّبير - بعد قتل الحسين (عليه‌السلام) - إلى بيعته فامتنع ، وكتب إليه يزيد يشكره على ذلك ، ويَعدُه البرّ والصّلة ، كتب ابن عبّاس إلى يزيد ذلك الكتاب العظيم ، الذي يقول من جملته : إنّك تسألني نصرتك وقد قتلتَ حسيناً (عليه‌السلام) وفتيان عبد المطّلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام ، غادرتْهم خيولك بأمرك في صعيد واحد ، مرمّلين بالدّماء ، مسلوبين بالعراء ، لا مُكفّنين ولا موسّدين ، تسفي عليهم الرياح وتنتابهم عرج الضّباع ، وما أنسى من الأشياء فلستُ بناسٍ طردك حسيناً (عليه‌السلام) من حرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى حرم الله ، وتسييرك إليه الرجال لتقتله في الحرم.

ألا وإنّ من أعجب الأعاجيب ، وما عسى أنْ أعجب ، حملك بنات عبد المطّلب وأطفالاً صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوب.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نصرتَ ابنُ عبّاسٍ حسينَ بنَ فاطمٍ  |  | بحدِّ لسانٍ ما عنْ السّيفِ يَنقصُ  |
| دعتْكَ إليه شِيمةٌ هاشميّةٌ  |  | فحقّاً لأنتَ الهاشميُّ الـمُخلَصُ  |

\* \* \*

المجلس السّابع والثمانون بعد المئة

روى الـمُرزُباني : أنّ عبد الله بن العبّاس - رضي‌الله‌عنه - مرّ بمكّة - بعدما كُفّ بصره - بصفة زمزم، وإذا قوم من أهل الشام يسبّون عليّاً (عليه‌السلام) ، فوقف عليهم ، فقال : أيّكم السّاب الله ؟ قالوا : سبحان الله ! ما فينا أحد سبّ الله. قال : فأيّكم السّاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؟ قالوا : سبحان الله ! ما فينا أحد سبّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). قال : فأيّكم السّاب علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ؟ قالوا : أمّا هذا فقد كان. قال : أشهد على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لسمعتُه يقول : (( مَن سبّ عليّاً فقد سبّني ، ومَن سبّني فقد سبّ الله ، ومَن سبّ الله أكبّه الله على منخره في نار جهنّم )). ثمّ توّلى عنهم. فقال لابنه : كيف تراهم ؟ فقال له ابنه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نَظَرُوا إليك بأعْينٍ مُحمرَّةٍ  |  | نظرَ التّيوسِ إلى شفارِ الجازِرِ  |

فقال لابنه : زدني. فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خزرُ العُيونِ نواكسٌ أبصارُهُمْ  |  | نظًرُ الذَّليلِ إلى العزيزِ القاهِرِ  |

فقال له : زدني. فقال : ليس عندي زيادة. فقال عبد الله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أحياؤُهُمْ عارٌ على أمواتِهمْ  |  | والميِّتونَ مسبَّةٌ للغابِرِ  |

وكان ابن عباس - رحمه‌الله - مبرّزاً في الفقه والتفسير ، والشعر والأنساب ، وأيام العرب ووقائعها، وكان يُسمّى الحَبْر ؛ لكثرة علمه ، وكان فصيحاً قوي الحُجّة ، ثابت الجنان ، وله مواقف مشهورة في ذلك مع معاوية وعبد الله بن الزّبير وعائشة ، ومع الخوارج وغيرهم ، وشهد مع أمير المؤمنين (عليه‌السلام) حروب الجمل وصفّين والنّهروان. وأراد علي (عليه‌السلام)

أنْ يختاره يوم الحكمين ، فلمْ يمكّنه أهل العراق من ذلك. ونظر إليه معاوية يوماً ، وهو يتكلم ، فقال : متمثّلاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا قالَ لَمْ يتْرُكْ مقالاً لقائلٍ  |  | مُصيبٍ ولَمْ يَثنِ اللّسانَ على هُجرِ  |
| يُصرِّفُ بالقولِ اللّسانَ إذا انْتَحَى  |  | وينظرُ في أعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ  |

وكُفّ بصره في آخر عمره ، فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنْ يأخذْ اللهُ منْ عينيَّ نُورَهُمَا  |  | ففي لسانِي وقَلبِي منهُما نُورُ  |
| قلبِي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دَخَلٍ  |  | وفي فمي صارمٌ كالسَّيفِ مأثُورُ  |

وهو الذي كتب إلى يزيد بن معاوية - بعد قتل الحسين (عليه‌السلام) - ذلك الكتاب العظيم ، وذلك أنّ عبد الله بن الزّبير - بعد قتل الحسين (عليه‌السلام) - دعا ابن عبّاس إلى بيعته ، فامتنع ، فظنّ يزيد أنّ امتناعه تمسك منه ببيعته ، فكتب إليه كتاباً يشكره فيه على ذلك ، ويَعده البرّ والصلة.

فأجابه ابن عبّاس بكتاب يقول فيه : أتراني ناسياً لك قتل الحسين بن علي (عليهما‌السلام) وفتيان بني عبد المطلب ، مضرَّجين بالدماء ، مسلوبين بالعراء ، تسفي عليهم الرياح وتنتابهم الذئاب والضّباع حتّى أتاح الله لهم قوماً أجنوهم. ومهما نسيتُ فما أنسى لك طرد الحسين (عليه‌السلام) من حرم الله ، وكتابك إلى ابن مرجانة أنْ يتلّقاه بالجيوش طمعاً في قتله. وإنّي لأرجو أنْ يأخذك الله حين قتلت ذرّيّة نبيّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، [ الذين ] أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، لا كآبائك الأجلاف الجفاة ، أشباه الحمير. فطلب إليكم الحسين (عليه‌السلام) الموادعة ، فاغتنمتم قلّة أنصاره وأعوانه ، فتعاونتم عليه كأنّكم قتلتم أهل بيتٍ من التُرك.

ولا شيء أعجب عندي من طلبك وُدّي وقد قتلتَ وُلدَ أبي ، وسيفك يقطر من دمي ، وأنت أحد ثأري ! فإنْ شاء الله لا يُطلّ لديك دمي ، ولا

تسبقني بثأري ، وإنْ سبقتني في الدّنيا فقبل ذلك ما قُتل النبيّون وأبناء النبيّين ، والله الطالب بدمائهم ، وكفى بالله للمظلومين ناصراً ، ومن الظالمين منتقماً.

إلى أنْ قال : ألا وإنّ من أعجب العجب ، وما عسى أنْ أعجب ، حملك آل رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأطفالاً صغاراً من ولده إليك إلى الشام كالاُسارى المجلوبين ، تُري الأوباش ومَن خرج عن ملّة جدّهم (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّك قهرتنا وأنك تمنّ علينا ، وبنا مَنّ الله عليك وعلى أبيك ! ولَعمر الله ، لئن تُصبح آمناً من جراحة يدي فقد عظّم الله جرحك من لساني ، ونقضي وإبرامي. والله ، ما أنا بآيس من بعد قتلك عترة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنْ يأخذك الله أخذاً أليماً ، ويُخرجك من الدّنيا مذموماً مدحوراً ، فعش لا أباً لك ما استطعت ، فقد والله ، أرداك ما اقترفت ، والسّلام على من اتّبع الهدى.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا ما ابنُ عبّاسٍ بدَا لكَ وجهُهُ  |  | رأيتَ لهُ في كلِّ أحوالِهِ فَضْلا  |
| إذا قالَ لمْ يتْرُكْ مقالاً لقائلٍ  |  | بمُنتظماتٍ لا ترَى بينَها فَصْلا  |
| كفَى وشفَى ما في النُّفوسِ فلَمْ يدعَ  |  | لذي إربةٍ في القولِ جدَّاً ولا هَزْلا  |

\* \* \*

المجلس الثامن والثمانون بعد المئة

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ( إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً )(1).

قال السّيوطي في كتاب الدرّ المنثور في تفسير كتاب الله بالمأثور : أخرج ابن جَرير ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، عن اُمّ سلمة - زوج النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) - أنّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) كان ببيتها على منامة له ، عليه كساء خيبري ، فجاءت فاطمة ببرمة(2)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 32.

(2) أي : إناء مخصوص.

فيها خزيرة(1).

وفي رواية للطبراني : جاءت فاطمة (عليها‌السلام) إلى أبيها بثريدة تحملها في طبق لها حتّى وضعتها بين يديه ، فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لها : (( أين ابنُ عمِّك ؟ )). قالت : (( هو في البيت )). قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله): (( اذهبي ، فادعيه وابنيك حسناً وحسيناً )).

فجاءت تقود ابناها ، كلّ واحد منهما في يد ، وعليٌّ يمشي في إثرهما حتّى دخلوا على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فاجلسهما في حجره ، وجلس علي (عليه‌السلام) عن يمينه ، وجلست فاطمة (عليها‌السلام) عن يساره. فبينما هم يأكلون ، إذ نزلت على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : ( إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً )(2). فأخذ النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بفضلة إزاره فغشاهم إيّاها ، ثمّ أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السّماء ، ثمّ قال : (( هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي ، فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً )). قالها ثلاث مرات. قالت اُمّ سلمة : فأدخلت رأسي في السّتر ، فقلت : يا رسول الله ، وأنا معكم ؟ قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( إنّك إلى خير )). مرّتين.

وفي رواية : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه من يدي ، وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( إنّك إلى خير )). وفي رواية : قالت اُمّ سلمة : فأنا معكم يا رسول الله ؟ قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( أنت مكانك، وإنّك على خير )).

قال : وأخرج ابن مردويه ، عن أبي سعيد الخدري قال : لـمّا دخل علي بفاطمة (عليهما‌السلام) ، جاء النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أربعين صباحاً إلى بابها ، يقول : (( السّلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته. الصلاة رحمكم الله ،( إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً ). أنا حربٌ لمَنْ حاربتم ، وأنا سلمٌ لـمَنْ سالمتم )).

قال : وأخرج ابن جرير وابن مردويه ، عن أبي الحمراء [ قال ] : حفظت من رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ثمانية أشهر بالمدينة ، ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلّا أتى إلى باب علي (عليه‌السلام) ، فوضع يده على جنبتي الباب ، ثمّ قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( الصلاة الصلاة !( إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً ) )).

قال : وأخرج ابن مردويه ، عن ابن عبّاس [ قال ] : شهدنا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) تسعة أشهر ، يأتي كلّ يوم باب علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) وقت كلّ صلاة ، فيقول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( السّلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي : الثريد.

(2) سورة الأحزاب / 32.

عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ،( إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً ). الصلاة رحمكم الله )). كلّ يوم خمس مرّات.

وفي أصحاب الكساء ، يقول الشاعر مخاطباً أمير المؤمنين (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنتَ ثاني ذَوي الكِساءِ ولَعمْري  |  | أفضلُ الخلقِ مَن حواهُ الكِساءُ  |

قال آخر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يُزاحمُهُ جبْريلُ تحتَ عباءةٍ  |  | لها قيلَ: كلُّ الصَّيدِ في جانبِ الفرَا  |

وفيهم يقول المؤلّف :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وكانَ لهُمْ جبريلُ في الفضلِ سادِساً  |  | وهُمْ خمسةٌ مِنْ فوقِهمْ مُدَّتْ العَبا  |

وفيهم يقول الآخر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ذُرِّيَّةٌ مثلُ ماءِ الـمُزنِ قدْ طَهُرُوا  |  | وطُهِّروا فصفتْ أخلاقُ ذاتِهمُ  |

وكفى شرفاً وفضلاً لأهل البيت (عليهم‌السلام) نزول آية الطهارة فيهم ، شرف ما فوقه شرف ، وفضل لا يُدانيهِ فضل. فالويل ثمّ الويل لاُمّة أخّرتهم عن مقامهم ! ودفعتهم عن مراتبهم التي رتَّبهم الله فيها ! وظلمتهم وقتلتهم ! فمضى أمير المؤمنين علي (عليه‌السلام) شهيداً بالسّيف في محرابه ، ومضت زوجتُه البضعة الزهراء ، سيّدة النّساء ، حزينة كئيبة مغضبة ، لَمْ تُرَ بعد وفاة أبيها ضاحكةً ولا كاشرةً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وهيَ العُرْوةُ التي ليسَ ينجُو  |  | غيرُ مُسْتعصمٍ بحبلِ وَلاهَا  |
| لمْ يَرَ اللهُ الرِّسالةَ أجراً  |  | غيرَ حفظِ الزَّهراءِ في قُرباهَا  |
| فَمَضتْ وهيَ أعظمُ النّاسِ وجْدَاً  |  | في فمِ الدَّهرِ غصةً منْ جواهَا  |
| وثوَتْ لا يَرى لها النّاسُ مثوىً  |  | أيُّ قُدسٍ يضمُّهُ مثْواهَا  |

ومضى ولداها الحسن والحسين (عليهما‌السلام) ، ريحانتا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وسيّدا

شباب أهل الجنة ، أحدهما شهيداً بالسُمّ ، ومُنع من دفنه عند جدّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ومضى أخوه الحسين شهيداً بالسّيف ، غريباً ظامياً بأرض كربٍ وبلاءٍ ، وسُبيت عيالُه وأطفالُه ، وداروا برأسه في البلدان مِنْ فوق عالي السّنان.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليسَ هذا لرسولِ اللهِ يا  |  | اُمَّةَ الطُّغيانِ والبغْي جَزَا  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فَعلْتمْ بأبناءِ النَّبيِّ ورهطِهِ  |  | أفاعيلَ أدْناهَا الخيانةُ والغدْرُ  |

\* \* \*

المجلس التاسع والثمانون بعد المئة

روى مسلم في ( صحيحه ) ، وأحمد بن حنبل في ( مسنده ) بسنديهما ، عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فينا خطيباً بماء يُدعى : خماساً ، بين مكّة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكّر ، ثمّ قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( أمّا بعد ، أيّها النّاس ، فإنّما أنا بشر يوشك أنْ يأتيني رسول ربّي فاُجيب ، وأنا تاركٌ فيكم ثِقْلين ؛ أوّلهما كتاب الله فيه الهدى ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به )). فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ، ثمّ قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( وأهل بيتي ، اُذكّركم الله في أهل بيتي ! اُذكّركم الله في أهل بيتي ! اُذكّركم الله في أهل بيتي ! )). فقال الراوي : ومَن أهل بيته يا زيد ؟ نساؤه من أهل بيته ؟ فقال : لا ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.

وروى مسلم حديث الثقلين بثلاثة طرق اُخرى ، وفي أحدهما قلنا : منْ أهل بيته نساؤه ؟ قال: لا ، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثمّ يُطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصلُه وعصبته.

وأخرج أحمد بن حنبل في ( مسنده ) حديث الثقلين بعدّة طرق ، عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّه قال : (( إنّي قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به - أو تمسكتم به - لنْ تضلَوا بعدي ، الثقلين

أحدهما أكبر من الآخر ؛ كتاب الله عزَّ وجل حبلٌ ممدودٌ من السّماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لَنْ يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا بِمَ تُخلّفوني فيهما؟ )) أو (( كيف تُخلّفوني فيهما ؟ )).

دلّت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت (عليهم‌السلام) ؛ لأنّه عليه الصلاة والسّلام أوجب التمسك بالعترة كما أوجب التمسك بالكتاب ، وأخبر أنّ المتمسك بهما لنْ يضلّ ، وأنّهما لنْ يفترقا ، فلا يفارق الكتاب العترةَ ، ولا تفارق العترةُ الكتابَ إلى يوم القيامة ، ولا يكون ذلك إلّا مع عصمة العترة. فدلّ على أنّ المراد بالعترة : ليس جميع بني هاشم ؛ لأنّ كثيراً منهم تصدر منهم الذنوب ، ويفارقون القرآن ، فالمتمسك بهم لا يأمن من الضلال ، بل هم الأئمة الاثنا عشر؛ للاتّفاق على عدم عصمة غيرهم من بني هاشم.

وقد دلّ قوله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض )). على وجود إمام معصوم من العترة في كلّ زمان ، ولا توجد هذه الصفة في غير الأئمة الاثني عشر بالاتّفاق. ولشدّة اهتمام النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بأهل بيته ، وتخوّفه من أنْ لا تقوم الاُمّة بواجب حقّهم ، كرّر قوله : (( اُذكّركم الله في أهل بيتي )) ثلاثاً.

وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( فانظروا بِمَ تُخلّفوني فيهما ؟ )). أنا اُخبرك يا رسول الله بما خلّفتك الاُمّة في أهل بيتك : قتلوا وصيَّك وصهرك وابن عمّك عليّاً (عليه‌السلام) ، وهو في محرابه بعدما دفعوه عن حقّه ، وحاربوه وجرّعوه الغصص ، وسمّوا ولدك الحسن (عليه‌السلام) حتّى تقيّأ كبده في الطست ، وقتلوا ولدك الحسين (عليه‌السلام) أفظع قتلةٍ وأفجعها ، وسبوا ذرّيّتك وبناتك على أقتاب الجمال من بلد إلى بلد حتّى صار جلساء يزيد يطلبون منه بعض بنات النّبوّة أنْ تكون خادمة لهم ؛ وحتى قال له طغام أهل الشام لـمّا استشارهم ما يصنع بأهل بيتك ؟ قالوا ممّا لا يطيق اللسان النّطق به.

وحُملت رؤوس أبنائك وذرّيّتك على الرماح ، وجعل ابن مرجانة وابن هند ينكتان ثغر ولدك الحسين (عليه‌السلام) ، الذي

طالما قبّلته وشممته ، بالخيزران.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جاشَتْ على آلهِ ما ارتاحَ واحدُهُمْ  |  | منْ قهرِ أعداه حتّى ماتَ مَقْهُورا  |
| قضَى أخوهُ خضيبَ الرأسِ وابْنتُهُ  |  | غَضْبَى وسبطاهُ مَسْموماً ومنْحُورا  |

\* \* \*

المجلس التسعون بعد المئة

قال ابن حجر في ( صواعقه ) : جاء من طرق عديدة كثيرة يقوّي بعضُها بعضاً ، عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّه قال : (( إنّما مثل أهل بيتي فيكم - أو مثل أهل بيتي فيكم - كمثل سفينة نوح ، مَن ركبها نجا )). وفي رواية مسلم : (( ومَن تخلّف عنها غرق )). وفي رواية : (( هَلك )). وأنّه قال : (( إنّما مثل أهل بيتي فيكم - أو مثل أهل بيتي - مثل باب حطّة في بني إسرائيل ، مَن دخله غُفر له )).

وروى ابن حجر في (صواعقه) عن أحمد بن حنبل وغيره ، عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّه قال : (( النّجوم أمانٌ لأهل السّماء ، إذا ذهبت النّجوم ذهبوا ، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض ، إنْ ذهب أهلُ بيتي ذهب أهل الأرض )). وقال ابن حجر : إنّه صحّ عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّه قال : (( النّجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمانٌ لاُمّتي من الاختلاف )).

ولله در القائل :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هُمُ السَّفينةُ فازَ الرَّاكبُونَ بهَا  |  | ومَنْ تخلَّفَ عنها ضلَّ في تَيهِ  |

وقد ورد في عدّة روايات ، عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّه قال : (( إنّي تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لنْ تضلّوا بعدي ، الثقلين ؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا بما تُخلّفوني فيهما ؟ )) أو (( كيف تُخلّفوني فيهما ؟ )).

أنا اُخبرك يا رسول الله ، إنّ اُمّتك لم يُخلّفوك

بخير في عترتك وأهل بيتك ، تركوهم بين قتيل وشريد ، وأعظم ما فعلوه يا رسول الله ، قتلهم ولدك الحسين (عليه‌السلام) ، ونساؤه ينظُرنّ إليه ، بعد أنْ منعوه من ماء الفرات الجاري ، تشربه اليهود والنّصارى ، وتلِغ فيه خنازير السّواد وكلابه ، وحملوا أبناءك ونساء أهل بيتك سبايا على أقتاب المطايا من بلد إلى بلد.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فَعلْتمْ بأبناءِ النَّبيِّ ورهطِهِ  |  | أفاعيلَ أدْناهَا الخيانةُ والغدْرُ  |
| فجئتُمْ بها بكراً عواناً ولمْ يكنْ  |  | لها قبلَها مَثلاً عونٌ ولا بكرُ  |

المجلس الحادي والتسعون بعد المئة

ينبغ في الأزمان على تعاقبها نوابغ يمتازون عن سائر أهل زمانهم ، ولكن هؤلاء النوابغ متفاوتون في نبوغهم وصفاتهم التي ميّزتهم عمّن سواهم ، سُنّة الله في خلقه. ومهما تكثّر النابغون في الأزمان المتطاولة ، فنابغة الإسلام ، بل نابغة الكون المتفرّد في صفاته الفاضلة ومزاياه الكاملة ، في علمه وحلمه ، وسياسته وعدله ، وفصاحته وبلاغته ، وشجاعته وإقدامه ، وجهاده وصبره ، وجلده وقوته ، وأيده وزهده ، وعبادته واجتماع محاسن الأضداد فيه ؛ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ، ربيب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أكمل الخلائق ، وخرّيجُه.

ذات علي (عليه‌السلام) ذاتٌ فذّة ، يعسر أو يمتنع على الإنسان ، مهما أطال ومهما دقّق ، أنْ يُحيط بجميع ما فيها من سموٍّ وتميّز على سائر الخلق. ومهما حاول الإنسان أنْ يُحيط بجميع صفاته قعد به العجز ، واستولى

عليه البهر ، ولكن لا يُترك الميسور بالمعسور.

نشأ علي (عليه‌السلام) في حجر رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وتأدّب بآدابه ورُبّي بتربيته ، وسبق النّاس إلى الإسلام. بُعث النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يوم الاثنين ، وأسلم عليٌّ (عليه‌السلام) يوم الثلاثاء ، ثمّ أسلمت خديجة، وأقام مع النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة ، منها : ثلاث عشرة سنة في مكّة قبل الهجرة ، مشاركاً له في مِحنه كلّها ، متحملاً عنه أكثر أثقاله ، وعشر سنين بالمدينة بعد الهجرة يُكافح عنه ويُجاهد دونه ، وقتل الأبطال ، وضرب بالسيف بين يدي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وهو بين العشرين إلى الخمس والعشرين سنة.

هاجر إلى المدينة في المهاجرين الأوّلين ، وشهد بدراً واُحداً ، والخندق وبيعة الرّضوان ، وجميع المشاهد مع رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلاّ تبوك ، وله في الجميع بلاء عظيم وأثر لم يكن لأحد من النّاس.

وإذا نظرنا إلى علمه ، وجدناه العالم الربّاني الذي يقول على ملاء من النّاس : (( سلوني قبل أنْ تفقدوني )). ومَن ذا الذي يجرؤ من النّاس أنْ يقول هذا الكلام ، فوق المنبر ، على حشدٍ من اُلوف الخلق ؟ وما يُؤمنه أنْ يسأله سائل سؤالاً لا يكون عنده جوابه فيخجله فيه ، لا يجرؤ على هذا القول إلّا مَن يكون واثقاً من نفسه بأنّ عنده جواب كلّ ما يُسأل عنه. وهل تنحصر المسألة في علم من العلوم ، أو ناحية من النّواحي حتّى يجرؤ أحد على هذا القول ، لا يكون مؤيَّداً بتأييد إلهي ، وواثقاً من نفسه كلّ الوثوق بأنّه لا يغيب عنه جواب مسألة مهما دقّت واُشكلت ؟ إنّ هذا المقام يقصر العقل عن الإحاطة به.

ويُسأل ، وهو على المنبر ، عن مسافة ما بين المشرق والمغرب ، فيُجيب بـ (( إنّه مسير يوم للشمس )). ويُسأل عمّا بين

الحقّ والباطل ، فيقول : (( مسافة أربع أصابع ؛ الحقّ أنْ تقول رأيت بعيني ، والباطل أنْ تقول سمعت باُذني )). ويُسأل عن رجلين جلسا يتغدّيان ، ومع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة. فجلس معهما رجل وأكلوا الأرغفة الثمانية ، فطرح إليهما الرجل ثمانية دراهم عوضاً عمّا أكل. فقال صاحب الخمسة الأرغفة : لي خمسة دراهم ولك ثلاثة. فقال صاحب الثلاثة الأرغفة : لا أرضى إلّا أنْ تكون الدراهم بيننا نصفّين.

فيحكم علي (عليه‌السلام) : (( إنّ لصاحب الثلاثة درهماً واحداً ، ولصاحب الخمسة سبعة دراهم)) ؛ وذلك لأنّ الثمانية الأرغفة : أربعة وعشرون ثُلثاً ، لصاحب الثلاثة منها تسعة أثلاث، أكل منها ثمانية وأكل الضيف واحداً ، ولصاحب الخمسة خمسة عشر ثُلثاً ، أكل منها ثمانية وأكل الضيف سبعة. فهذه المسألة لو أجاب عنها أمهر رجل في الحساب بعد طول الفكرة والرويّة ، وأصاب فيها ، لكان له الفخر.

ويُؤتى عمر بن الخطاب بامرأة ولدت لستّة أشهر ، فيهّم برجمها ، فيقول له علي (عليه‌السلام) : (( إنْ خاصمتك بكتاب الله خصمتك ؛ إنّ الله تعالى يقول : ( وَ حَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً )(1). ويقول : ( وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ )(2). فإنْ كانت مدّة الرّضاعة حولين كاملين ، والحمل والفصال ثلاثون شهراً ، كان الحمل فيها ستّة أشهر )). فخلّى عمر سبيلها ، وثبت الحكم بذلك ، فعمل به الصحابة والتابعون ، ومَن أخذ عنهم إلى يومنا هذا.

ويُؤتى عمر بمجنونة زنت ، فيأمر بجلدها الحدّ ، فيقول له علي (عليه‌السلام) : (( إنّ النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قد رفع القلم عن المجنون حتّى يفيق )). فيقول عمر : فرّج الله عنك ، لقد كدتُ أهلك في جلدها.

ويُؤتى عمر بحامل قد زنت ، فيأمر برجمها ، فيقول له علي (عليه‌السلام) : (( هبْ أنّ لك سبيلاً عليها ، أي سبيل لك على ما في بطنها ؟ احتط عليها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحقاف / 15.

(2) سورة البقرة / 233.

حتّى تلد ، فإذا ولدت ، ووجدت لولدها مَن يكفّله ، فأقم عليها الحدّ )). فيقول عمر : لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن.

ويجيء أبو الأسود الدُّؤلي فيُخبره بأنّه سمع مَن يُلحن في القرآن ، فيضع له أصول النّحو في كلمات معروفة ، ويقول له : (( انحُ هذا النّحو )). فيزيد عليها أبو الأسود ، وتُضبط لغة العرب بعلم النَّحو إلى اليوم.

وإذا نظرنا إلى شجاعته ، وقد ضُربت بها الأمثال ، وجدنا أنّه باشر الحرب وعمره عشرون سنة أو فوقها بقليل ، وظهرت شجاعته الخارقة في مبيته على الفراش ليلة الغار ، والنّفر من قريش محيطون بالدار ليفتكوا بمَن في الفراش ، وظهرت شجاعته الخارقة أيضاً لـمّا سار بالفواطم عند الهجرة ، وليس معه إلّا أيمن بن اُمّ أيمن وأبو واقد الليثي ، فلحقه سبعة فرسان من قريش أمامهم جناح مولى حرب بن اُميّة ، فأهوى إليه جناح بالسّيف ، وهو فارس وعلي راجل ، فحاد علي (عليه‌السلام) عن ضربته ، وضربه لـمّا انحنى على كتفه فقطعه نصفّين حتّى وصلت الضربة إلى قربوس فرسه ، وانهزم الباقون.

وقتل يوم بدر الوليد بن عتبة ، وشرك في قتل عتبة ، وقتل جماعة من صناديد المشركين حتّى رُوي أنّه قتل نصف المقتولين. وفي يوم أحد قتل أصحاب اللواء ، وهم سبعة. ولـمّا فرّ المسلمون، ثبت فيمن ثبت مع النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يحامي عنه ، وكلّما شدّ جماعة على النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، تقدّم إليهم فقاتلهم وقتل فيهم. وفي يوم الخندق بارز عمرو بن عبد ود بعدما جبن عنه النّاس جميعاً ، وانهزم المشركون بقتله. وفي يوم خيبر قتل مرحباً وهزم اليهود ، واقتلع الباب وفتح الحصن، وكان الفتح على يديه.

وفي جميع الوقائع والغزوات كان له المقام الأسمى في الشجاعة

والثبات. وفي يوم الجمل وصفّين والنّهروان باشر الحرب بنفسه ، وقتل صناديد الأبطال وجدّل أبطال الرجال ، ولم يهرب في موطن قط. وكانت ضرباته وتراً ، إذا علا قدَّ ، وإذا اعترض قطَّ.

ولم يُبارز قَرناً فسلم القرن منه ، ولا دُعي إلى مبارزة فنكل ، وهذا كلّه من الاُمور العجيبة التي لمْ تتفق لغير علي بن أبي طالب (عليه‌السلام). وشجاعته ملحقة بالبديهات ، يقبح بالإنسان إطالة الكلام فيها ، وإكثار الشواهد عليها.

وإذا نظرنا إلى حلمه ، كفانا لإثبات بلوغه أعلى درجات الحلم حلمه عن أهل الجمل عموماً ، وعن مروان بن الحكم وعبد الله بن الزّبير خصوصاً ، وشدّة عداوتهما له معلومة ، وإيصاؤه جيوشه بأنْ لا يتبعوا مُدبراً ، ولا يجهزوا على جريح ، وعدم منعه الماء لعسكر معاوية يوم صفّين لـمّا استولى عليه بعدما منعوه منه.

وإذا نظرنا إلى عدله لمْ نجد له نظيراً.

وفي ( الإستيعاب ) : إنّه كان إذا ورد عليه مال لمْ يُبقِ منه شيئاً إلّا قسّمه ، ولا يترك في بيت المال منه إلّا ما يعجزعن قسمته في يومه ذلك ، ولمْ يكن يستأثر من الفيء بشيء ، ولا يخصّ به حميماً ولا قريباً ، ولا يخصّ بالولايات ألّا أهل الديانات والأمانات ، واذا بلغه عن أحدهم خيانة ، كتب إليه : (( ( قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ )(1).( أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ )(2). أذا أتاك كتابي هذا ، فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتّى نبعث إليك مَن يتسلّمه منك )).

وإذا نظرنا إلى فصاحته وبلاغته ، وجدناه إمام الفصحاء وسيّد البلغاء ، وحسبُك أنْ يُقال في كلامه : إنّه بعد كلام الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فوق كلام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة يونس / 57.

(2) سورة هود / 85 - 86.

المخلوق ودون كلام الخالق.

ويقبح بنا أنْ نُقيم شيئاً من الشواهد والأدلّة على ذلك ؛ فإنّه كإقامة الدليل على الشمس الضاحية.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وليسَ يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ  |  | إذا احتاجَ النَّهارُ الى دليلِ  |

ولا أدلّ على ذلك ممّا اُثر عنه وجمع من كلامه ، كنهج البلاغة وغيره.

وإذا نظرنا إلى زهده في الدّنيا ، أخذَنا العجب والبهر من رجل في يده الدنيا كلّها - عدا الشام - ؛ العراق وفارس ، والحجاز ومصر ، وهو يلبس الخشن ويأكل الجشب ؛ مواساة للفقراء، ويقول (( يا دُنيا غرِّي غيري )) !

ومِن عجيب أحواله ، إنّه اجتمعت في صفاته الأضداد ، فبينما هو يمارس الحروب ، ويبارز الأقران ويقتل الشجعان ، ومَن تكون هذه صفته لابدّ أنْ يكون قاسي القلب شرس الخُلق ، بينا نراه كذلك ، إذا به أعبد العُبّاد ؛ يقضي ليله بالصلاة والعبادة ، والتضرع والإبتهال والخشوع لله تعالى ، وإذا به أحسن النّاس خُلقاً ، وأرقّهم طبعاً ، وألينهم عَريكة.

لمْ يكن جهاد أمير المؤمنين علي (عليه‌السلام) وحروبه في الإسلام لغاية دنيويّة ؛ من طلب إمارة أو شهرة بين النّاس أو منزلة عندهم. ما كان جهاده ولا كانت حروبه إلّا نصرة للحقّ ومحاماة عن الدين. ولم يكن زهده في الدنيا طلباً لمدح أو منزلة في قلوب النّاس ، بل إرشاداً للاُمّة إلى ما يُصلحها ، وتعليماً لها ما ينفعها ، كيف لا ، وهو القائل لابن عبّاس في نعل كان يخصفها : (( والله ، لهي - أي : النعل - أحبّ إليّ منْ إمرتكم هذه ، إلّا أنْ اُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً )).

لكن هذه الاُمّة لمْ تعرف لعلي (عليه‌السلام) حقّه في جهاده ،

ومحاماته عن الدّين في سبيل سعادتها ، وإرشادها إلى ما يُصلحها ، ولمْ تحفظه في أولاده وذرّيّته ، ولمْ ترعَ لهم حرمة من بعده ، فأخّرته عن مقامه ، وآل بها الأمر إلى أنْ قتلته وهو يُصلّي في محرابه ، بيد أشقى الأوّلين والآخرين ؛ عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

وتركت ولديه من بعده ، سيّدي شباب أهل الجنّة ، بين قتيل بالسُّم ، ومُضرّج بالدّم ، فدسّت إلى ولده الحسن (عليه‌السلام) ، أحد السّبطين والريحانتين ، السُّمَّ على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس حتّى لفظ كبده في الطست قطعاً ، وجهّزت الجيوش إلى أخيه الحسين (عليه‌السلام) ، ثاني السّبطين والريحانتين ، بعدما قدّمت عليه يزيد الخمور والفجور ، اللاعب بالقرود والفهود ، وأحاطت به من كلّ جانب ، ومنعته الذهاب في بلاد الله العريضة ، وقتلت آله وأنصاره ، ومنعته من ورود الماء حتّى قتلته عطشان ظامياً ، وذبحت أطفاله ، وسبت نساءه وعياله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا اُمّةً باعتْ بضائعَ ديْنِها  |  | يومَ الطُّفوفِ بخيْبةٍ وشَقاءِ  |
| خانتْ عهودَ محمّدٍ في آلهِ  |  | من بعدِهِ وجزتْهُ شرَّ جزاءِ  |

\* \* \*

المجلس الثاني والتسعون بعد المئة

قال عُروة بن الزّبير : كنّا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فتذاكرنا أحوال أهل بدر ، وبيعة الرضوان ، فقال أبو الدّرداء : يا قوم ، ألَا اُخبركم بأقلِّ القوم مالاً ، وأكثرهم ورعاً ، وأشدهم اجتهاداً في العبادة ؟ قالوا : مَن هو ؟ قال : علي بن أبي طالب.

قال : فوالله ، إنْ كان في جماعة أهل المجلس

إلّا معرض عنه بوجهه ، ثمّ انتُدب له رجل من الأنصار ، فقال له : يا عُويمر ، لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها. فقال أبو الدرداء : يا قوم ، إنّي قائل ما رأيته ، وليقل كلُّ قوم ما رأوا. شهدت علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) بسويحات بني النّجار ، وقد اعتزل عن مواليه ، واختفى ممّن يليه ، واستتر ببُعيلات النّخل ، فافتقدته وبعُد عليَّ مكانه ، فقلت : لحق بمنزله. فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي ، وهو يقول : (( إلهي ، كمْ من موبقةٍ حملتُها فقابلتَها بنعمتك ، وكم من جريرة تكرّمتَ عن كشفها بكرمك. إلهي ، إنْ طال في عصيانك عُمري ، وعظم في الصُّحف ذنبي ، فما أنا مؤمّلٌ غير غفرانك ، ولا أنا براجٍ غير رضوانك )).

فشغلني الصوت ، واقتفيت الأثر ، فإذا هو علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) بعينه ، فاستترت له لأسمع كلامه ، وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثمّ فزع إلى الدعاء والتّضرع والبكاء ، والبثّ والشكوى ، فكان ممّا به ناجى أنْ قال : (( إلهي ، اُفكّر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي ، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليتي )). ثمّ قال : (( آهٍ إنْ أنا قرأت في الصحف سيئةً ، أنا ناسيها وأنت مُحصيها ! فتقول : خذوه. فيا له من مأخوذٍ لا تُنجيه عشيرتُه، ولا تنفعه قبيلتُه ، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنّداء )). ثمّ قال : (( آهٍ من نار تنضج الأكباد والكِلى ! آهٍ من نار نزّاعة للشوى ! آهٍ من غمرةٍ من مُلتهبات لظى ! )). ثمّ انغمر في البكاء ، فلمْ أسمع له حسّاً ولا حركة ، فقلتُ : غلب عليه النّوم لطول السهر ، اُوقظه لصلاة الفجر.

قال أبو الدّرداء : فأتيته ، فإذا هو كالخشبة الـمُلقاة ، فحرّكته فلمْ يتحرّك ، وزويته فلم ينزوِ. قلت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مات والله ، علي بن أبي طالب. فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة (عليها‌السلام) : (( يا أبا الدّرداء ، أخبرنا ما كان من شأنه وقصّته ؟ )). فأخبرتها الخبر ، فقالت : ((هي والله ، الغشية التي تأخذه من خشية الله )). ثمّ أتوه بماء

فنضحوه على وجهه ، فأفاق ونظر إليَّ وأنا أبكي ، فقال : (( ممّ بكاؤك يا أبا الدّرداء ؟ )). فقلت : ممّا أراه تُنزله بنفسك. فقال : (( يا أبا الدّرداء ، فكيف لو رأيتني وقد دُعي بي إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكةٌ غلاظ وزبانية فظاظ ، فوقفتُ بين يدَي الملك الجبّار ، قد أسلمتني الأحبّاء ، ورحمني أهل الدنيا ، لكنتَ أشدَّ رحمة لي بين يديّ مَنْ لا تخفى عليه خافية )). قال أبو الدّرداء : فوالله ، ما رأيتُ ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله).

أقول : كلّ مَنْ يُغمى عليه يؤتى إليه بالماء ، فيُنضح على وجهه حتّى يفيق ، إلّا غريب كربلاء أبو عبد الله الحسين (عليه‌السلام) ؛ فإنّه لـمّا سقط عن ظهر جواده إلى الأرض ، واُغمي عليه ساعة ، لمْ يُنضح على وجهه الماء حتّى يفيق ، وإنّما أفاق على ضرب السّيوف وطعن الرماح ، وهو مع ذلك يطلب جرعة من الماء ، وهم يقولون : لنْ تذوق الماء - أبا عبد الله - حتّى تذوق الموت عطشاً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فعزَّ أنْ تتلظَّى بينَهُمْ عَطشاً  |  | والماءُ يصدرُ عنه الوحشُ ريّانا  |

ونظر أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ذات يوم إلى امرأة وعلى كتفها قربة ماء مملوءة ، فحملها معها إلى منزلها ، ثمّ سألها عن شأنها ، قالت : بعث علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) بصاحبي إلى بعض الثغور فقُتل ، وترك عليّ صبياناً يتامى وليس عندي شيء ، وقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة النّاس.

فمضى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) وبات تلك الليلة قلقاً ، فلمّا أصبح حمل زنبيلاً مملوءاً من الدقيق واللحم والتمر على كتفه ، فقال له بعض أصحابه : أعطني أحمل عنك هذا ؟ فقال : (( مَن يحمل عنّي وزري يوم القيامة ؟ )). ثمّ أتى إلى باب تلك الامرأة وقرع الباب ، قالت : مَن في الباب ؟ قال : (( أنا العبد الذي حمل معك القربة ، افتحي الباب ؛ فإنّ معي شيئاً للصبيان )). فقالت : رضي الله عنك ،

وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب. ثمّ فتحت له الباب ودخل ، وقال لها : (( يا أمة الله ، إنّي أحببت اكتساب الثواب ، فاختاري بين أنْ تعجني وتخبزي ، وبين أنْ تُعللي الصبيان لأخبز أنا لهم؟ )). قالت : يا عبد الله ، أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ، دونك الصبيان فعلّلهم.

فعمدت الامرأة إلى الدقيق تعجنه ، وعمد أمير المؤمنين (عليه‌السلام) إلى اللحم فطبخه ، وجعل يُلقم الصبيان من ذلك اللحم والتمر ، وكلّما ناول صبياً منهم ، قال له : (( يا بُني ، اجعل علي بن أبي طالب في حلّ ممّا أمر في أمركم )). ولمّا اختمر العجين ، قالت الامرأة : قُم يا عبد الله ، اسجر التّنور. فلمّا أشعل النّار لفحت وجهه ، فجعل يقول : (( ذُق يا علي ، هذا جزاء مَن ضيَّع الأرامل واليتامى )). فدخلت امرأة من خارج الدار فعرفته ، فقالت : ويحك ! هذا الإمام علي بن أبي طالب (عليه‌السلام). فبادرت إليه الامرأة ووقعت على قدميه تُقبّلهما ، وهي تقول : وا حيائي منك يا أبا الحسن ! فقال : (( بل وا حيائي منك يا أمة الله ، فيما قصّرتُ في أمرك ! )).

أمير المؤمنين (عليه‌السلام) حمل اللحم والتمر والدقيق إلى يتامى بعض أصحابه ، فأين كان أمير المؤمنين (عليه‌السلام) عن يتامى ولده أبي عبد الله الحسين (عليه‌السلام) ليلة الحادي عشر من الـمُحرّم ، حين باتوا تلك الليلة بلا محامٍ ولا كفيل ، وهم عطاشى جياعى ؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قمْ يا عليُّ فما هذا القعْودُ وما  |  | عَهْدي تَغضُّ على الأقذاءِ أجفانَا  |
| وانهضْ لعلّكَ منْ أسرٍ أضرَّ بنَا  |  | تَفكَّنا أو تولَّى دفْنَ قتلانَا  |
| هذا حسينٌ بلا غُسلٍ ولا كَفنٍ  |  | عارٍ تجولُ عليه الخيلُ ميدانَا  |

المجلس الثالث والتسعون بعد المئة

في (غاية المرام) ، عن ابن المغازلي الشافعي في ( المناقب ) ، بعدّة طرق ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : أخذ النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بعضد علي (عليه‌السلام) ، وقال : (( هذا أمير البررة ، وقاتل الكفرة - أو الفجرة - منصور مَن نصره ، مخذول مَن خذله )). ثمّ مدّ بها صوته - أو قال : مدّ بصوته - فقال : (( أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمَن أراد العلم - أو فمَن أراد المدينة - فليأتِ الباب )).

وفي رواية : (( أنا مدينة وعليٌّ بابها ، ولا تُؤتى البيوت إلّا من أبوابها )). وفي رواية : (( يا علي ، أنا مدينة العلم وأنت الباب ، كذب مَن زعم أنّه يصل إلى المدينة إلّا من الباب )). وفي ذلك يقول الصفي الحلّي – رحمه ‌الله تعالى - :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مدينةُ علمٍ وابنُ عمِّكَ بابُها  |  | فمِنْ غيرِ ذاكَ البابِ لمْ يُؤتَ سُورُها  |

وفي (غاية المرام) ، عن مسند أحمد بن حنبل بسنده عن زيد بن أرقم ، قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أبواب شارعة في المسجد ، فقال يوماً : (( سدّوا هذه الأبواب إلّا باب علي )). فتكلّم في ذلك اُناس ، فقام رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : (( أمّا بعد ، فإنّي أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب علي ، فقال فيه قائلكم. والله ، ما سددتُ شيئاً ولا فتحتُه ، ولكنّي اُمرتُ بشيء فاتّبعتُه )).

وفي رواية ابن المغازلي الشافعي : فأتاه العبّاس ، فقال : يا رسول الله ، سددت أبوابنا وتركت باب علي ؟! قال : (( ما أنا فتحتُها ، ولا أنا سددتُها )).

وروى ابن المغازلي الشافعي بسنده عن سعد بن أبي وقاص ، قال : كانت لعليٍّ مناقبُ لمْ تكن لأحد ؛ كان يبيت في المسجد ، وأعطاه النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الراية يوم خيبر ، وسدّ الأبواب كلّها إلّا باب علي.

وجاء في عدّة روايات ، عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّه قال : (( يا علي ، أنت

قسيم النّار ؛ تقول : هذا لي ، وهذا لكِ )). وفي رواية : (( إنّك قسيم الجنّة والنّار )). وفي ذلك يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عليٌّ حُبهُ جُنَّةْ  |  | قسيمُ النَّارِ والجَنَّةْ  |
| وصيُّ الـمُصطفَى حقَّاً  |  | إمامُ الإنسِ والجِنَّةْ  |

وفي (غاية المرام) ، عن موفق بن أحمد عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّه قال لعلي (عليه‌السلام) : (( أنا أوّل مَن تنشقُّ الأرض عنه يوم القيامة وأنت معي ، ومعي لواء الحمد ، وهو بيدك تسير به أمامي ، وتسبق به الأوّلين والآخرين )). وفيه ، عن الزمخشري في الفائق : إنّ النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قال لعلي (عليه‌السلام) : (( أنت الذائدُ عن حوضي يوم القيامة ، تذود عنه الرجالَ كما يُذاد البعير الصاد(1) )).

ولهذا لـمّا ضيّق أهل الكوفة على الحسين (عليه‌السلام) يوم كربلاء ، ومنعوه من الماء حتّى نال العطش منه ومن أصحابه ، قام متوكّئاً على قائم سيفه ، وذكّرهم بفضائله فاعترفوا بها ، فقال لهم: (( فبِمَ تستحلّون دمي وأبي الذائد عن الحوض ، يذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصاد عن الماء، ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة ؟! )). قالوا : قد علمنا ذلك كلّه ، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قسَتْ القلوبُ فلمْ تَملْ لهدايةٍ  |  | تبّاً لهاتيكَ القُلوبِ القاسيَهْ  |
| ما ذاقَ طعْمَ فُراتِهمْ حتَّى قَضَى  |  | عَطشاً وغُسِّلَ بالدِّماءِ القَانِيهْ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي : الذي به الصَّيَد ، وهو داء يلوي العُنق.

\* \* \*

المجلس الرابع والتسعون بعد المئة

في غاية المرام : عن مسند أحمد بن حنبل بسنده ، عن سفينة مولى رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قال : أهدت امرأة من الأنصار إلى رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) طيرين بين رغيفين ، فقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( اللهمّ ، ائتني بأحبّ خلقك إليك وإلى رسولك )). فجاء علي (عليه‌السلام) فرفع صوته ، فقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( مَن هذا ؟ )). فقلت : علي. قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( فافتح له )). ففتحت له فأكل مع النّبيِّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من الطيرين حتّى كفيا.

وفي غاية المرام : عن ابن المغازلي الشافعي في المناقب بسنده ، عن أنس بن مالك قال : اُهدي إلى النِّبيِّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) نُحامة(1) ، فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( اللهمّ ، ابعث إليّ أحبّ خلقك إليك وإلى نبيّك ، يأكل معنا هذه المائدة )). قال : فأتى علي ، فقال : (( استأذن لي على رسول الله )). فقلت: النّبيُّ عنك مشغول. فرجع علي (عليه‌السلام) ، ولمْ يلبث أنْ جاء ، فقال : (( استأذن لي على رسول الله )). فقلت : النّبيُّ عنك مشغول. فرجع علي (عليه‌السلام) ولمْ يلبث أنْ جاء ، فهممت أنْ أقول مثل قولي الأوّل والثاني ، فسمع رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من داخل الحجرة كلام علي (عليه‌السلام) ، فقال : (( ادخل يا أبا الحسن ، ما الذي أبطأ بك عنّي ؟ )). قال (عليه‌السلام) : (( قد جئتُ يا رسول الله مرّتين وهذه الثالثة ، كلّ ذلك يردّني أنس ، يقول : النّبيّ عنك مشغول )). فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( يا أنس ، ما حملك على هذا ؟ )). فقلت : يا رسول الله ، سمعت الدعوة فأحببت أن يكون رجلاً من قومي. فقال النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( كلٌ يُحبّ قومه يا أنس )).

وروي حديث الطائر المشوي في غاية المرام أيضاً ، عن سنن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) النُّحَام : طائر كالأوز. وغلّظ الجوهري : في فتحه وشدّه. - المرلف -

أبي داود وموفّق بن أحمد الحموئي والسّمعاني وغيرهم ، بطرق كثيرة تبلغ الستّة وثلاثين طريقاً ، كلّها من طرق أهل السُّنّة ، ورواه بثمانية طرق من طرق أهل الشيعة خاصّة.

وقال الصاحب بن عبّاد – رحمه ‌الله تعالى - :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا أميرَ المؤمنينَ الـمُرتَضى  |  | إنّ قلبي عندكُمْ قدْ وَقَفَا  |
| مَنْ كمولايَ عليٍّ زاهدٌ  |  | طلَّقَ الدُّنيا ثلاثاً ووفَى  |
| مَنْ دُعِي للطِّيرِ كيْ يأكلُهُ  |  | ولنَا في بعضِ هذا مُكتَفَى  |
| مَنْ وصيُّ الـمُصطفَى عندكُمُ  |  | فوصيُّ الـمُصطَفَى مَنْ يُصْطفَى  |

وفضائل أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ومناقبه لا يُحيط بها الحصر. وقد احتجّ الحسين (عليه‌السلام) على أهل الكوفة يوم كربلاء بفضائل أبيه أمير المؤمنين (عليه‌السلام) - في جملة ما احتجّ به - ، فقال (عليه‌السلام) : (( ألستُ ابنَ بنت نبيّكم ، ، وابنَ وصيّه وابن عمّه ، وأوّل المؤمنين به والـمُصدِّقين برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وبما جاء به منْ عند ربّه ؟! )).

وقال (عليه‌السلام) في مقام آخر : (( أنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ عليّاً كان أوّل القوم إسلاماً ، وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً ، وأنّه وليُّ كلِّ مؤمن ومؤمنة ). قالوا : اللهمّ نعم. قال (عليه‌السلام): (( فبِمَ تستحلّون دمي وأبي الذائد عن الحوض ، يذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصادر(1) عن الماء ، ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة ؟ )). قالوا : قد علمنا ذلك كلّه ، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قسَتْ القلوبُ فلمْ تَملْ لهدايةٍ  |  | تبّاً لهاتيكَ القُلوبِ القاسيَهْ  |
| ما ذاقَ طعْمَ فُراتِهمْ حتَّى قَضَى  |  | عَطشاً وغُسِّلَ بالدِّماءِ القَانِيهْ  |

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) مرّ عن الزمخشري : أنّه الصاد. ووجدناه : الصادر ، وله وجهُ صحّةٍ فأبقيناه. - المؤلّف -

المجلس الخامس والتسعون بعد المئة

قال الله تعالى في سورة المائدة : ( إِنّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَ الّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَ يُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَ مَن يَتَوَلّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا فَإِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ )(1). اتّفق المفسرون على أنّها نزلت في حقّ علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) حين مرّ سائل، وهو راكع ، في المسجد فأعطاه خاتمه. ورُوي في الجمع بين الصحاح الستّة من صحيح النسائي، عن ابن سلام ، قال : أتينا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فقلنا : إنّ قومنا حادّونا لـمّا صدّقنا الله ورسوله ، وأقسموا أنْ لا يُكلّمونا. فأنزل الله تعالى : ( إِنّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ). ثُمّ أذّنَ بلال لصلاة الظهر ، فقام النّاس يُصلّون؛ فمِنْ بين ساجد وراكع وسائل ، إذ سائل يسأل ، فأعطاه علي (عليه‌السلام) خاتمه وهو راكع ، فأخبر السّائل رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فقرأ علينا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : ( إِنّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ... ) إلى آخر الآية.

وروى الثعلبي في تفسيره بسنده : إنّ أبا ذر - رضي‌الله‌عنه - قال : أيّها النّاس مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري ، أبو ذر الغفاري ، سمعت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بهاتين - وإلّا صُمّتا - ورأيته بهاتين - وإلّا فعميتا - يقول : (( عليٌّ قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور مَن نصره ، مخذول مَن خذله )). أما إنّي صلّيت مع رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد فلَمْ يعطِه أحد ، فرفع السّائل يده إلى السّماء ، وقال : اللهمّ ، اشهد إنّي سألت في مسجد رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فلمْ يعطني أحدٌ شيئاً. وكان علي راكعاً ، فأومأ إليه بخنصره اليُمنى - وكان يتختّم فيها - ، فأقبل السّائل حتّى أخذ الخاتم من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة المائدة / 55 - 56.

خنصره ، وذلك بعين النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فلمّا فرغ [ النبيُّ ] من صلاته ، رفع رأسه إلى السّماء ، وقال : (( اللهمّ ، موسى سألك فقال :( رَبّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسّر لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً من لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي\* وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي )(1). فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً :( سَنَشُدّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا )(2). اللهمّ ، وأنا محمّد نبيّك وصفيّك. اللهمّ ، فاشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ، واجعل لي وزيراً عليّاً ، اشدد به ظهري )).

قال أبو ذر : فما استتم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الكلمة حتّى نزل جبرائيل (عليه‌السلام) من عند الله تعالى ، فقال : يا محمّد ، اقرأ. قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( ما أقرأ ؟ )). قال : اقرأ : ( إِنّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ )(3).

وكما جاد أمير المؤمنين (عليه‌السلام) بخاتمه في صلاته ، جاد ولده الحسين (عليه‌السلام) بخاتمه بعد قتله ؛ وذلك لـمّا أقبل القوم على سلب الحسين (عليه‌السلام) فأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي. ولكنّ فرق عظيم بين المقامين ؛ فأمير المؤمنين (عليه‌السلام) أشار إلى السّائل - وهو في صلاته - أنْ يأخذ الخاتم من يده فأخذه ؛ وأمّا الحسين (عليه‌السلام) ، فجاء بجدل بن سليم الكلبي ليسلبه بعد قتله - مع الذين جاؤوا إلى سلبه - فوجد الخاتم في يده وقد جمدت عليه الدماء ، فلمْ يستطعْ نزعه من يده الشريفة، فقطع إصبعه مع الخاتم.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ومُبدَّدُ الأوصالِ لازَمَ حزُنُهُ  |  | شملَ الكمالِ فلازم التّبديدَا  |
| ومجرحٌ ما غيَّرتْ منه القنَا  |  | حُسناً وما أخلقْنَ منه جديدَا  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة طه / 25 - 32.

(2) سورة القصص / 35.

(3) سورة المائدة / 55.

المجلس السّادس والتسعون بعد المئة

في غاية المرام : عن مسند أحمد بن حنبل بسنده : أنّ النّبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) آخى بين النّاس وترك عليّاً، فقال (عليه‌السلام) : (( يا رسول الله ، آخيت بين النّاس وتركتني ! )). قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( ولِمَن تراني تركتك ؟ إنّما تركتك لنفسي. أنت أخي وأنا أخوك ، فإنْ فاخرك أحد ، فقل : أنا عبد الله وأخو رسول الله. لا يدّعيها أحدٌ غيرك إلّا كذاب )).

وفيه عن مسند أحمد بن حنبل أيضاً ، وذُكر مؤاخاة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بين الصحابة ، فقال علي (عليه‌السلام) للنبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري ، فإنْ كان هذا من سَخَطٍ منك ، فلك العُتبى والكرامة ؟ )). فقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( والذي بعثني بالحقّ نبيّاً ، ما اخّرتك إلّا لنفسي ، فأنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي ، وأنت أخي ووارثي )). قال (عليه‌السلام) : (( وما أرث منك يا رسول الله ؟ )). قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( ما ورث الأنبياء قبلي )). قال (عليه‌السلام) : (( ما ورث الأنبياء قبلك ؟ )). قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( كتاب الله وسنّة نبيّهم. وأنت معي في الجنّة ، وأنت أخي ورفيقي )). ثمّ تلا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : ( إِخْوَاناً عَلَى‏ سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ )(1) : الـمُتحابّون في الله ينظر بعضهم إلى بعض.

وقال صفي الدين الحلّي - رحمه‌الله - :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنت سرُّ النّبيِّ والصنوُ وابنُ الـ  |  | ـعمِّ والصهرُ والأخُ الـمُستَجادُ  |
| لو رأى مثلَكَ النّبيُّ لآخا  |  | هُ وإلّا فأخطَأَ الانتقادُ  |

وعن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت عليّاً يُنشد رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) شعراً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا أخو الـمُصطفَى لا شكَّ في نسَبي  |  | معْهُ رُبيتُ وسِبطاهُ هُما ولدِي  |
| جدِّي وجدُ رسول الله منفردٌ(2)  |  | وفاطمٌ زوجَتي لا قول ذي فَنَدِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الحجر / 47.

(2) هكذا وردت كلمة ( منفرد ) في أكثر من مصدر ، ولعل الصحيح ( مُتّحد ). ( موقع معهد الإمامَين الحسنَين )

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صدقتُهُ وجميعُ النّاسِ في بُهَمٍ  |  | من الضَّلالةِ والإشراكِ والنكَدِ  |
| فالحمدُ للهِ شُكراً لا شريكَ لهُ  |  | البَرّ بالعبدِ والباقِي بلا أمدِ  |

ولـمّا بات علي (عليه‌السلام) على فراش رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ليلة الغار ، أوحى الله عزّ وجل إلى جبرائيل وميكائيل : (( إنّي قد آخيت بينكما ، وجعلتُ عُمرَ أحدكما أطول من عُمرِ صاحبه ، فأيّكما يُؤثر أخاه ؟ )). فكلاهما كره الموت ، فأوحى الله إليهما : (( عبديَّ ، ألا كُنتما مثلَ وليي علي بن أبي طالب ؛ آخيتُ بينه وبين نبيي فآثره بالحياة على نفسه ، ثمّ رقَد على فراشه يُفديهِ بمهجته ؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه منْ عدوّه )). فهبط جبرائيل فجلس عند راسه ، وميكائيل عند رجليه ، وجعل جبرائيل يقول : بخٍ بخٍ ، مَنْ مثلك يابنَ أبي طالب والله عزّ وجل يُباهي بك الملائكة !

ودرجة الإخوّة درجة عظيمة ومنزلتها منزلة رفيعة ؛ ولهذا لـمّا بعث الحسين (عليه‌السلام) ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة ، كتب إليهم معه : (( وأنا باعثٌ إليكم أخي وابن عمّي ، وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل )). وقد قام مسلم بأعباء هذه الإخوّة وحقّق ظنّ الحسين (عليه‌السلام) فيه ، ولـمّا خذله أهل الكوفة وتفرّقوا عنه ، وأرسل إليه ابن زياد سبعين رجلاً مع محمّد بن الأشعث ، وسمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال ، علم أنّه قد اُتي في طلبه فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار ، ثمّ عادوا إليه، فشدّ عليهم كذلك ، فأخرجهم مراراً وقتل منهم جماعة ، فلَمّا رأوا ذلك ، أشرفوا عليه من فوق البيت يرمونه بالحجارة ، ويُلهبون النّار في القصب ويرمونها عليه ، فخرج عليهم مُصلتاً سيفه في السّكة ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أقسمتُ لا اُقتلُ إلّا حُرّا  |  | وإنْ رأيتُ الموتَ شيئاً نُكْرَا  |

وتكاثروا عليه بعدما اُثخن بالجراح ، فطعنه رجل من خلفه فخرّ إلى

الأرض فاُخذ أسيراً. فقال ابن زياد : اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ، ثمّ اتبعوه جسده. ففُعل به ذلك ، فلمّا بلغ خبره الحسين (عليه‌السلام) ، استعبر باكياً ، ثمّ قال : (( رحم الله مُسلماً ، فلقد صار إلى رَوح الله وريحانه ، وتحيّاته ورضوانه ، أما أنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا ))

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا مُسلمُ بنَ عقيلٍ لا أغبَّ ثرَى  |  | ضريحِكَ الـمُزنُ هطّالاً وهتّانا  |
| بذلتَ نفْسكَ في مرضاةِ خالِقِها  |  | حتّى قضيتَ بسيفِ البغْي ظمْآنا  |

\* \* \*

المجلس السّابع والتسعون بعد المئة

لـمّا بُويع أمير المؤمنين (عليه‌السلام) بالخلافة ، خرج إلى المسجد مُتعمّماً بعمامة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله)، لابساً بُردة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، مُنتعلاً نعل رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، مُتقلّداً سيف رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فصعد المنبر فجلس عليه متمكّناً ، ثمّ شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ، ثمّ قال: (( يا معشر النّاس ، سلوني قبل أنْ تفقدوني ، هذا سفطُ العلم ، هذا لعاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، هذا ما زقّني رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) زقاًّ. سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين. أمَا والله ، لو ثُنيت لي الوسادة(1) وجلست عليها ، لأفتيتُ أهلَ التَّوراة بتوراتهم ، وأهلَ الإنجيل بإنجيلهم ، وأهلَ القُرآن بقرآنهم حتّى ينطق كلُّ واحدٍ من هذه الكتب ، فيقول : صدقَ عليٌّ ما كذب ، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ. وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً ، فهل فيكم أحدٌ يعلم ما أنزل الله فيه ؟ ولولا آيةٌ في كتاب الله عزّ وجل ، لأخبرتُكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة )). وهي هذه الآية : ( يَمْحُوا اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أو : لو ثُنيت لي وسادة. - المولف -

اُمّ الْكِتَابِ )(1). ثمّ قال : (( سلوني قبل أنْ تفقدوني ، فوالذي فَلَقَ الحبّة وبرأ النّسمة ، لو سألتموني عن أيّةِ آية ، في ليلٍ نزلت أو في نهار ، مكِّيِّها ومدنيِّها ، سفريِّها وحضريِّها ، ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها ، لأخبرتكم )). فقام إليه رجل يُقال له : ذعلب ، وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب ، فقال : لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة ، لاُخجِّلنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل رأيت ربّك ؟ فقال : (( ويلك يا ذعلب ! لمْ أكنْ بالذي أعبدُ ربّاً لَمْ أره )). قال : كيف رأيته ؟ صفه لنا ؟ قال : (( ويلك ! لمْ ترَه العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكنْ رأته القلوب بحقائق الإيمان. ويلك يا ذعلب ! إنّ ربّي لا يُوصف بالبُعد ولا بالقُرب ، ولا بالحركة ولا بالسّكون ، ولا بقيام قيام انتصابٍ ولا بجيئة وذهاب. لطيفُ اللّطافة لا يُوصف باللّطف ، عظيمُ العظمة لا يُوصف بالعظم ، كبيرُ الكبر لا يُوصف بالكبر ، جليلُ الجلالة لا يُوصف بالغلظ ، رؤوفُ الرحمة لا يُوصف بالرّقة. مؤمنٌ لا بعبادة ، مدركٌ لا بمحسّة ، قائلٌ لا بلفظ ، هو في الأشياء على غير ممازجة ، خارجٌ عنها على غير مباينة ، فوق كلِّ شي ولا يُقال له فوق ، أمام كلّ شيء ولا يُقال له أمام ، داخلٌ في الأشياء لا كشيء في شيء داخل ، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج )).

فخرّ ذعلب مغشيّاً عليه ، ثُمّ قال : تَاللهِ ، ما سمعت بمثل هذا الجواب ، والله ، لا عُدت إلى مثلها أبداً. ثُمّ قال (عليه‌السلام) : (( سلوني قبل أنْ تفقدوني )). فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكّئاً على عكّازه ، فلمْ يزلْ يتخطّى النّاس حتّى دنا منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دلّني على عمل إذا أنا عملته نجّاني الله من النّار ؟ فقال (عليه‌السلام) له : (( اسمع يا هذا ، ثمّ افهم ثمّ استيقن ، قامت الدنيا بثلاثة : بعالمٍ ناطق مستعملٍ لعلمه ، وبغنيٍّ لا يبخل بماله عن أهل دين الله عزّ وجل، وبفقير صابر ؛ فإذا كتم العالمُ علمه ، وبخل الغنيُّ ، ولمْ يصبرْ الفقير ، فعندها الويل والثبور! وعندها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الرعد / 39.

يعرف العارفون بالله أنّ الدار قد رجعت إلى بدئها. أيّها السّائل ، لا تغترنّ بكثرة المساجد ، وجماعة أقوام أجسادُهم مجتمعة وقلوبهم شتّى. أيّها السّائل ، إنّما النّاس ثلاثة : زاهد ، وراغب ، وصابر ؛ فأمّا الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أدركه ، ولا يحزن على شيء منها فاته ؛ وأمّا الصابر فيتمنّاها بقلبه ، فإنْ أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه ؛ لِمَا يعلم من سوء عاقبتها ؛ وأمّا الراغب فلا يُبالي مِن حلٍّ أصابها ، أمْ من حرام )). قال : يا أمير المؤمنين ، فما علامة المؤمن في ذلك الزمان ؟ قال (عليه‌السلام) : (( ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حقٍّ فيتولاّه ، وينظر إلى ما خالفه فيتبرّأ منه وإنْ كان حبيباً قريباً )). قال : صدقت والله ، يا أمير المؤمنين.

\* \* \*

المجلس الثامن والتسعون بعد المئة

وقال الأصبغ بن نباتة : أتى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ومعه قنبر البزّازين(1) ، فساوم غلاماً بثوبين ، فماكسه الغلام حتّى اتّفقا على سبعة دراهم ؛ ثوباً بأربعة دراهم ، وثوباً بثلاثة دراهم. وقال لقنبر: (( اختر أحد الثوبين )). فاختار الذي بأربعة ولبس هو الذي بثلاثة ، وقال (عليه‌السلام) : (( الحمد لله الذي رزقني ما اُواري به عورتي ، واتجمّل به في خلقه )). ثمّ أتى المسجد فكوّم كومةً من حصىً فاستلقى عليها ، فجاء أبو الغلام فقال : إنّ ابني لَمْ يعرفك ، وهذان الدرهمان ربحهما فخذهما. فقال (عليه‌السلام) : (( ما كنتُ لأفعل ، فقد ماكسته وماكسني واتّفقنا على رضا )).

وروي : أنّ أمير المؤمنين (عليه‌السلام) أتى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الذين يبيعون البز ، أي : القماش. - المؤلّف -

سوق الكرابيس(1) فإذا هو برجل وسيم(2) ، فقال (عليه‌السلام) : (( يا هذا ، عندك ثوبان بخمسة دراهم؟ )). فوثب الرجل فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي حاجتك. فلمّا عرفه مضى عنه ، فوقف على غلام ، فقال (عليه‌السلام) : (( يا غلام ، عندك ثوبان بخمسة دراهم ؟ )). قال : نعم ، عندي ثوبان. فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين ، فقال (عليه‌السلام) : (( يا قنبر ، خُذ الذي بثلاثة دراهم )). فقال : أنت أولى به ؛ تصعد المنبر وتخطب النّاس. قال (عليه‌السلام) : (( وأنت شابٌّ ولك شره الشباب ، وأنا أستحي من ربّي أنْ أتفضّل عليك. سمعت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يقول : البسوهُم ممّا تلبسون ، وأطعموهُم ممّا تأكلون )).

وقال المفيد - عليه الرحمة - في الإرشاد : من آيات الله الخارقة للعادة في أمير المؤمنين (عليه‌السلام)، أنّه لمْ يعهد لأحد من مبارزة الأقران ومنازلة الأبطال ما عُرف له على مَرّ الزمان ، ولمْ يُوجد في ممارسي الحروب إلّا مَن أصابته بشرٍّ أو جراحة أو شين إلّا أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ؛ فإنّه لمْ ينلْه مع طول زمان حروبه جراحٌ من عدو ، ولا شينٌ ، ولا وصل إليه بسوء حتّى كان من اغتيال ابن ملجم له ما كان ، وهذه اُعجوبة أفرده الله في الآية فيها ، ودلّ بذلك على مكانه منه ، وتخصّصه بكرامته التي بان بفضلها من كافّة الأنام.

قال : ومن آيات الله تعالى فيه ، أنّه لا يوجد ممارس للحروب إلّا وهو ظافر بعدوه مرّة ، وغير ظافر به اُخرى ، ومَن جرح منهم خصمه ؛ فمرّة يموت من جرحه ، ومرّة يُعافى ، ولمْ يعهدْ شخص لمْ يفلتْ منه قَرنٌ ، ولا نجا من ضربته أحدٌ إلّا أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ؛ فإنّه لا مرية في ظفره بكلِّ قَرن بارزه ، وإهلاكه كلَّ بطلٍ نازله ، وهذا ما انفرد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الكرابيس : جمع كرباس ، بوزن مصباح ، وهو الخام الغليظ.

(2) جميل الصورة. - المؤلّف -

به من كافّة الأنام ، وخرق الله - عزّ وجل - به العادة في كلّ حين وزمان ، وهو من دلائله الواضحة.

قال : ومِن آيات الله تعالى فيه ، أنّه مع طول ممارسته للحروب ، وكثرة مَن حاربه من الشجعان واحتيالهم عليه ، وبذلهم الجُهد في الفتك به ، ما ولّى أحداً منهم ظهره ، ولا تزحزح عن مكانه ، ولا هاب أحداً من أقرانه ، ولمْ يلقَ أحدٌ سواه خصماً له في حربٍ إلّا كان مرّة يثبت له ومرّة ينحرف عنه ، وتارة يقدم عليه وتارة يحجم عنه.

قال : ومِن آياته التي انفرد بها ، ظهور مناقبه في الخاصّة والعامّة مع كثرة المنحرفين عنه ، وتوفر الأسباب إلى كتمان فضله ، وكون الدُّنيا في يد خصومه. وقد استفاض عن الشعبي أنّه كان يقول: لقد كنتُ أسمع خطباء بني اُميّة يسبّون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) على منابرهم وكإنّما يُشال إلى السّماء ؛ ويمدحون أسلافهم على منابرهم وكأنّهم يكشفون عن جيفة.

وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه : عليكم بالدِّين ؛ فإنّي لمْ أرَ الدِّينَ بَنى شيئاً فهدمته الدنيا ، ورأيت الدُّنيا قد بنت بُنياناً فهدمه الدين. مازلتُ أسمع أهلنا يسبّون علي بن أبي طالب ويدفنون فضائله ، ويحملون النّاس على شنآنه ، فلا يزيده ذلك في القلوب إلّا قُرباً ، ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق ، فلا يزيدهم ذلك من القلوب إلّا بُعداً.

قال المفيد : وفيما انتهى إليه الأمر من دفن فضائل أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، والحيلولة بين العلماء ونشرها ، ما لا شبهة فيه على عاقل ، حتّى كان الرجل إذا أراد الرواية عنه لمْ يستطع أن يذكر اسمه ، فيقول : حدّثني رجلٌ من أصحاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، أو رجل من قريش ، ومنهم مَن يقول : حدّثني أبو زينب.

وروى عكرمة عن بعض اُمّهات المؤمنين حديثاً فيه : فخرج رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) متوكّئاً على رَجُلين من أهل بيته ؛ أحدهما الفضل بن العبّاس. فحكى ذلك عكرمة لابن عبّاس ، فقال له : أتعرف

الرجل الآخر ؟ قال : لا ، لمْ تُسمّه لي. قال : ذاك علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ، وما كانت اُمّناً تذكره بخير وهي تستطيع.

وكانت ولاة الجور تضرب بالسّياط مَنْ ذكره ، بل تضرب الرقاب على ذلك وتحرّض النّاس على البراءة منه. والعادة جارية ، أنّ مَن يُتّفق له ذلك لا يُذكر بخير فضلاً عن أنْ تُذكر له مناقب.

قال : ومِن آيات الله تعالى فيه ، أنّه لمْ يبتلِ أحدٌ في ولده وذرّيّته بمثل ما ابتُلي به (عليه‌السلام) في ذرّيّته ؛ وذلك أنّه لمْ يُعرف خوفٌ شمل جماعة من ولد نبيٍّ ولا إمام ، ولا ملكٍ ولا برٍّ ولا فاجر ، كالخوف الذي شمل ذرّيّة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، ولا لحق أحداً من القتل والطرد عن الأوطان والإخافة ما لحق ذرّيّته وولده ، ولم يجرِ على طائفة من النّاس من ضروب النِّكال ما جرى عليهم ؛ فقُتلوا بالفتك والغيلة والاحتيال ، وبُني على بشرٍ منهم من البنيان وهم أحياء ، وعُذّبوا بالجوع والعطش حتّى ماتوا ، وأحوجهم ذلك إلى مفارقة الأوطان والتغرّب في البلدان ، وكتمان نسبهم والاستخفاء حتّى عن أحبّائهم ، وجانبهم النّاس مخافة على أنفسهم وذراريهم من جبابرة الزمان ؛ وكلُّ ذلك يُوجب قلّة عددهم وانقطاع نسلهم ، وهم مع ذلك أكثر ذرّيّة أحد من الأنبياء والأولياء وسائر النّاس ، وفي ذلك خرق للعادة.

أقول : وكفى في ذلك أنّ بني اُميّة قد قتلوا في يوم كربلاء من آل الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) مع الحسين (عليه‌السلام) سبعة عشر رجلاً ، وقتلوا جماعة من الأطفال ، وقتلوا مسلم بن عقيل بالكوفة ، ولمْ يبقَ منهم غيرُ العليل زين العابدين (عليه‌السلام) وثلاثة أو أربعة من الصبيان ، وسمّوا الحسن (عليه‌السلام) ، وقتلوا زيد بن علي ، ويحيى بن زيد وغيرهم من بني هاشم.

وقتل بنو العبّاس الكثيرين منهم ، وبنَوا على بعضهم الحيطان وهدموا عليهم الحبوس ، وما زادهم الله بذلك إلّا بركةً ونموّاً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تَتبْعوكُمْ ورامُوا محْوَ فضلِكمُ  |  | وخيّبَ اللهُ مَنْ في ذلكُمْ طمِعا  |
| أنّى وفي الصلواتِ الخمسِ ذكْركُمُ  |  | لدى التَّشهُّدِ للتوحيدِ قدْ شَفعا  |

\* \* \*

المجلس التاسع والتسعون بعد المئة

قال الإمام علي لابنه الحسن (عليهما‌السلام) : (( لا تدعونَّ إلى مبارزةٍ ، فإنْ دُعيت إليها فأجبْ ؛ فإنّ الداعي إليها باغٍ مقتول )). قيل : أنّه (عليه‌السلام) ما دعا إلى مبارزة قط ، وإنّما كان يُدعى هو بعينه ، أو يُدعى : مَن يبارز ؟ فيخرج إليه فيقتله.

دعا بنو ربيعة بن عبد شمس بني هاشم إلى البراز يوم بدر ، فخرج علي (عليه‌السلام) فقتل الوليد ، واشترك هو وحمزة في قتل عتبة بن ربيعة. ودعا طلحة إلى البراز يوم اُحد ، فخرج (عليه‌السلام) إليه فقتله. ودعا مرحب إلى البراز يوم خيبر ، فخرج (عليه‌السلام) إليه فقتله. ودعا عمرو بن عبد ود يوم الخندق إلى البراز ، فخرج (عليه‌السلام) إليه فقتله.

قال ابن أبي الحديد : وإنّ خروجه إلى عمرو يوم الخندق أجلُّ من أنْ يُقال جليلة ، وأعظم من أنْ يُقال عظيمة ، وما هي إلّا كما قال أبو الهذيل ، وقد سأله سائل : أيّما أعظم منزلة عند الله علي أمْ غيره ؟ فقال : يا ابن أخي ، والله ، لَمبارزة علي عمراً يوم الخندق تعِدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعتهم ، وتُربي عليها ، فضلاً عن رجل واحد.

وروي عن ربيعة بن مالك ، قال : أتيت حذيفة بن اليمان ، فقلت : يا أبا عبد الله ، إنّ النّاس يتحدّثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه ، فيقول لهم أهل البصرة : إنّكم لتفرّطون في تقريض هذا الرجل ، فهل أنت مُحدّثي بحديث عنه

أذكره للناس ؟ فقال : يا ربيعة ، ما الذي تسألني عن علي ؟ وما الذي اُحدثك عنه ؟ والذي نفس حذيفة بيده ، لو وُضع جميع أعمال اُمّة محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) في كفّة ، منذ بعث الله محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى يوم النّاس هذا ، ووُضع عمل واحد من أعمال علي في الكفّة الاُخرى ، لرجح على أعمالهم كلِّها. فقال ربيعة : ما هذا المدح الذي لا يُقام له ولا يُقعد ولا يُحمل ؟! إنّي لأظنّه إسرافاً يا أبا عبد الله. فقال حذيفة : يا لُكَع(1) ! وكيف لا يُحمل ؟! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع ، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتّى برز إليه عليٌّ فقتله ؟! والذي نفس حذيفة بيده ، لَعملُه ذلك اليوم أعظمُ أجراً من أعمال اُمّة محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى هذا اليوم ، وإلى أنْ تقوم القيامة.

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي‌الله‌عنه - : والله ، ما شبهت يوم الأحزاب قتل علي عمراً، وتخاذل المشركين بعده إلّا بما قصّه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله تعالى : ( فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ )(2). وقال أبو بكر بن عيّاش : لقد ضرب عليُّ بن أبي طالب (عليه‌السلام) ضربةً ما كان في الإسلام أيمن منها ، ولقد ضُرب عليٌّ (عليه‌السلام) ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها ؛ وهي ضربة عبد الرحمن بن ملجم.

أقول : وهي الضربة التي شقّت رأس أمير المؤمنين (عليه‌السلام) إلى موضع سجوده ، وهو في صلاته، فنادى (عليه‌السلام) : (( قتلني اللعين ابن اليهوديّة. فُزتُ وربّ الكعبة )). أجل والله ، لمْ يكنْ في الإسلام أشأم من تلك الضربة ، فهي التي هدّمت أركان الهُدى وفصمت العُروة الوثقى ، وسدّت باب مدينة علم المصطفى.

وهناك ضربات اُخرى في الإسلام مشؤومة ؛ وهي ضربة مالك بن النّسر الكندي للحسين بن علي (عليه‌السلام)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) لكع : لئيم أو ذليل. - المؤلّف -

(2) سورة البقرة / 251.

بالسّيف على رأسه ، وكان على رأسه برنس فقطع البرنس ووصل السّيف إلى رأسه ، فامتلأ البرنس دماً ، فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( لا أكلت بيمينك ولا شربت بها ، وحشرك الله مع القوم الظالمين )).

وضربة زرعة بن شريك له على كتفه الأيسر ، وضربة رجل له بالسّيف على عاتقه الـمُقدّس ضربةً كبا بها لوجهه ، وكان قد أعيا فجعل يقوم ويكبو ، وضربة شمر بن ذي الجوشن حين جاء إليه فاحتزّ رأسه الشريف ، وهو يقول : والله ، إنّي لأحتزّ رأسك وأعلم أنّك السيّد الـمُقدّم ، وابن رسول الله ، وخير النّاس أباً و اُمّاً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قتلُوهُ بعدَ علمٍ منهُمُ  |  | أنّهُ خامسُ أصحابِ العَبا  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يابنَ الذينَ توارَثُوا الـ  |  | ـعلْيَا قَبيلاً عنْ قبيلِ  |
| والسّابقينَ بمجدهمْ  |  | في كلِّ جيلٍ كلَّ جيلِ  |
| إنْ تُمسَّ مُنكسِرَ اللّوا  |  | ملقىً على وجهِ الرُّمولِ  |
| فلقدْ قُتلتَ مُهذَّباً  |  | منْ كلِّ عيبٍ في القتيلِ  |
| جمُّ الـمِناقبِ لمْ تكُنْ  |  | تُعطي العِدا كفَّ الذليلِ  |
| يُهدَى لك الذِّكرُ الجميـ  |  | ـلُ على الزَّمانِ الـمُستطيلِ  |

\* \* \*

المجلس المئتين

في كتاب روضة الواعظين بإسناد ذكره : أنّ قريشاً أصابتهم أزمة(1) شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) للعبّاس عمّه - وكان من أيسر بني هاشم - : (( يا عبّاس ، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب النّاس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا نخفّف عنه من عياله ؛ آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ من بنيه رجلاً ، فنكفهما عنه )). قال العبّاس : نعم. فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب ، فقالا : إنّا نُريد أنْ نخففّ عنك عيالك حتّى ينكشف عن النّاس ما هم فيه. فقال أبو طالب : إنْ تركتما لي عقيلاً ، فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) عليّاً (عليه‌السلام) فضمّه إليه ، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه. فلَمْ يزل علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) مع رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حتّى بعثه الله نبيّاً ، واتّبعه عليٌّ وآمن به وصدّقه، ولَمْ يزل جعفر مع العبّاس حتّى أسلم واستغنى عنه.

قال الصادق (عليه‌السلام) : (( أوّل جماعة كانت ، أنّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) كان يُصلّي وأمير المؤمنين معه ، إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه ، قال : يا بُني ، صِلْ جناحَ ابن عمِّك. فلمّا أحسّه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) تقدَّمَهما ، وانصرف أبو طالب مسروراً ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ عليّاً وجعفراً ثِقتِي  |  | عندَ مُلمِ الزَّمانِ والكُرَبِ  |
| لا تخْذُلا وانْصُرا ابنَ عمِّكُما  |  | أخي لاُمِّي منْ بينهمْ وأبي  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الأزْمَة ، بالفتح فالسكون : الشِّدَّة ، ويجوز : أزَمَة بفتحتين. - المؤلّف -

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| واللهِ لا أخذلُ النّبيَّ ولا  |  | يخذلُهُ منْ بنيَّ ذو حسبِ  |

قال أبو الحسن المدائني : كتب معاوية إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) : يا أبا الحسن ، إنّ لي فضائل كثيرة ؛ كان أبي سيّداً في الجاهليّة ، وصُيّرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي. فلمّا قرأ أمير المؤمنين (عليه‌السلام) كتابه ، قال : (( أبالفضائلِ يفخر عليّ ابنُ آكلة الأكباد ؟! يا غُلام اكتب )). وأملى عليه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| محمّدٌ النّبيُّ أخي وصنوي  |  | وحمزةُ سيّدُ الشُّهداءِ عمِّي  |
| وجعفرٌ الذي يُضحي ويُمسي  |  | يَطيرُ معَ الملائكةِ ابنُ اُمِّي  |
| وبنتُ مُحمّدٍ سَكنِي وعُرسي  |  | مَنوطٌ لحمُها بدَمِي ولحمي  |
| وسِبطا أحمدٍ إبْنايَ منٍها  |  | فمَنْ منكُمْ له سهمٌ كسهْمِي  |
| سبقتُكمُ إلى الإسلامِ طُرَّاً  |  | غُلاماً ما بلغُتُ أوانَ حِلْمي  |
| وأوجبَ ليْ ولايتَهُ عليكُمْ  |  | رسولُ اللهِ يومَ غديرِ خُمِّ  |
| فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ  |  | لـمَنْ يلقَى الإلهَ غداً بظُلمي  |

فلمّا قرأه معاوية ، قال : مزّقه يا غلام ، لا يقرأه أهل الشام فيميلون نحو ابن أبي طالب.

قال عامر الشعبي : تكلّم أمير المؤمنين علي (عليه‌السلام) بتسع كلمات ارتجلهنَّ ارتجالاً ، فقأن عيون البلاغة ، وأيتمن جواهر الحكمة ، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهنّ ؛ ثلاث منها في المناجاة ، وثلاث منها في الحكمة ، وثلاث منها في الأدب : فأمّا اللائي في المناجاة ، فقال (عليه‌السلام) : (( إلهي ، كفى بي عزّاً أنْ أكون لك عبداً ، وكفى بي فخراً أنْ تكون لي ربّاً. أنت كما اُحبّ فاجعلني كما تُحب )) ؛ وأمّا اللائي في الحكمة ، فقال (عليه‌السلام) : (( قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسنه ، وما هلك امرؤٌ عرف قدره ، والمرء مخبوء تحت لسانه )) ؛ وأمّا اللائي في الأدب ، فقال (عليه‌السلام) : (( امنُنْ على مَن شئتَ

تكُنْ أميرَه ، واحتج إلى مَن شئتَ تكُنْ أسيرَه ، واستغنِ عمَّنْ شئتَ تكُنْ نظيرَه )). وعلي وأولاده (عليهم‌السلام) هُم معادن الحكمة ، ومنابع الفصاحة والبلاغة ، كما أنّهم ليوث الشجاعة.

ولـمّا كان يوم كربلاء ، خطب ولده الحسين (عليه‌السلام) في أهل الكوفة خُطباً كثيرةً ، ووعظهم بمواعظ جمّة ، فلمْ يُسمع متكلّمٌ قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطقٍ منه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لهُ منْ عليٍّ في الحُروبِ شجاعةٌ  |  | ومِنْ أحمدٍ عندَ التّكلمِ قيلُ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| للسانهِ وسنانهِ  |  | صدقانِ من طعنٍ وقيلِ  |
| خلطَ البَراعةَ بالشَّجا  |  | عةِ فالصَّليلُ عنْ الدليلِ  |

وتقدّم في بعض المواقف حتّى وقف بإزاء القوم ، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنّهم السّيل ، ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة ، فخطب فيهم فقال :

(( الحمد لله الذي خلق الدّنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور مَنْ غرّته والشقيّ مَنْ فتنته ، فلا تغرّنكم هذه الدّنيا ؛ فإنّها تقطع رجاء مَنْ ركن إليها وتخيب طمع مَنْ طمع فيها. وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحلّ بكم نقمتة وجنّبكم رحمته ، فنعم الربّ ربّنا وبئس العبيد أنتم ! أقررتم بالطّاعة وآمنتم بالرسول محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذريّته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله ، فتبّاً لكم ولِما تُريدون ! إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم ، فبُعداً للقوم الظالمين )). فقال ابن سعد : ويلكم كلّموه ! فإنّه ابن أبيه. فوالله ، لَو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً ، لما انقطع ولما حصر.

فتقدّم شمر فقال : يا حسين ، ما هذا الذي تقول ؟ أفهمنا حتّى

نفهم. فقال : (( أقول : اتّقوا الله ربّكم ولا تقتلوني ؛ فإنّه لا يحلّ لكم قتلي ولا انتهاك حرمتي ؛ فإنّي ابن بنت نبيّكم ، وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم ، ولعلّه قد بلغكم قول نبيّكم : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة )). ثمّ قال : (( فإنْ كنتم في شكّ من هذا ، أفتشكّون في أنّي ابن بنت نبيّكم ؟ فوالله ، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم. ويحكم! أتطلبونني بقتيل منكم قتلتُه أو مال لكم استهلكتُه أو بقصاص من جراحة ؟! )). فأخذوا لا يكلّمونه ، فنادى : (( يا شبث بن ربعي ، ويا حجّار بن أبجر ، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إليّ : أنْ قد أينعت الثّمار واخضرّت الجنان ، وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة ؟ )). فقال له قيس بن الأشعث : ما ندري ما تقول ، ولكن انزل على حكم بني عمّك فإنّهم لنْ يرَوك إلّا ما تُحب. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( لا والله ، لا اُعطيكم بيدي إعطاء الذّليل ، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بأبي أبيّ الضّيمِ لا يُعطيْ العِدى  |  | حذَرَ المنيّةِ منه فضلَ قيادِ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فأبَى أنْ يعيشَ إلّا عزيزاً  |  | أو تَجلَّى الكفاحُ وهو صريعُ  |
| رُمْحُهُ من بَنانِهِ وكأنّ منْ  |  | عزمهِ حدُّ سيفهِ مطبوعُ  |

\* \* \*

المجلس الحادي بعد المئتين

ذكر ابن أبي الحديد : إنّ القول بتفضيل علي (عليه‌السلام) قول قديم قد قال به كثير من الصحابة والتابعين ، وعُدّ من الصحابة خمسة عشر رجلاً ،

ثُمّ قال : وكان من بني اُميّة قوم يقولون بذلك ، منهم : خالد بن سعيد بن العاص ، وعمر بن عبد العزيز. قال : وأنا أذكر هنا الخبر المروي المشهور عن عمر بن عبد العزيز ، وهو من رواية ابن الكلبي ، قال : بينا عمر بن عبد العزيز جالساً دخل حاجبه ، ومعه امرأة ورجلان متعلّقان بها ، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر فيه :

أمّا بعد ، فإنّه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور ، وعجزت عنه الأوساع ، وهربنا بأنفسنا عنه ووكّلناه إلى عالمه ، لقوله تعالى : ( وَلَوْ رَدّوهُ إِلَى الرّسُولِ وَإِلَى‏ اُولِي الأَمْرِ )(1) ، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها ، وإنّ أباها زعم أنّ زوجها حلف بطلاقها أنْ علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) خير هذه الاُمّة ، وأولاها برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ويزعم أنّ ابنته طُلقت منه. والزوج يقول له : كذبت وأثمت ، لقد برّ قسمي وصدقت مقالتي ، وإنّها امرأتي على رغم أنفك وغيظ قلبك. فاجتمعوا إليّ يختصمون ، وتسامع النّاس فاجتمعوا ، وقد علمت يا أميرالمؤمنين ، اختلاف النّاس في أهوائهم وتسرّعهم إلى ما فيه الفتنة ، فأحجمنا عن الحكم لتحكم فيما أراك الله.

وكتب في أسفل الكتاب :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا ما المشكلاتُ وردنَ يوماً  |  | فحارتْ في تأمّلها العيونُ  |
| وضاقَ القومُ ذَرْعاً من نباهَا  |  | فأنتَ لها أبا حفصٍ أمينُ  |
| لأنّك قدْ حويتَ العِلمَ طُرّاً  |  | وأحكَمكَ التَّجاربُ والشؤونُ  |
| وخلَّفكَ الإلهُ على الرَّعايا  |  | فحظُّكَ فيهمُ الحظُّ الثَّمينُ  |

فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني اُميّة وأفخاذ قريش ، ثمّ قال لأبي المرأة : ما تقول ؟ فقال : هذا الرجل حلف بطلاق ابنتي كاذباً ، ثمّ أراد الإقامة معها. فقال له عمر : لعلّه لَمْ يطلّق امرأته ، فكيف حلف ؟ قال الشيخ : الذي حلف عليه أبين كذباً من أنْ يختلج في صدري منه شكّ ؛ لأنّه زعم أنّ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النّساء / 83.

عليّاً خير هذه الاُمّة ، وإلّا فامرأته طالق ثلاثاً. فقال للزوج : أهكذا حلفت ؟ قال : نعم. فلمّا قال نعم ، كاد المجلس يرتجّ بأهله ، وبنو اُميّة ينظرون إليه شزراً إلّا أنّهم لمْ ينطقوا بشيء ، كلّ ينظر إلى وجه عمر ، فأكبّ عمر مليّاً ينكت الأرض بيده ، والقوم صامتون ينظرون ما يقوله ، ثمّ رفع رأسه وقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا وليَ الحكومةَ بينَ قومٍ  |  | أصابَ الحقَّ والتمسَ السَّدادا  |
| وما خيرُ الأنامِ إذا تعدَّى  |  | خلافَ الحقِّ واجتنبَ الرَّشادا  |

ثُمّ قال : ما تقولون في يمين هذا الرجل ؟ فسكتوا. فقال : سبحان الله ! قولوا ؟ فقال رجل من بني اُميّة : هذا حكمٌ في فرج ، ولسنا نجترئ على القول فيه. قال : قلْ ما عندك ؛ فإنّ القول ما لم يحقّ باطلاً أو يبطل حقّاً جائز عليّ في مجلسي. قال : لا أقول شيئاً. فالتفت إلى رجل من ولد عقيل بن أبي طالب ، فقال : ما تقول يا عُقيلي ؟ فاغتنمها ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ جعلت قولي حكماً وحكمي جائزاً قلت ، وإلّا فالسكوت أوسع لي وأبقى للمودّة. قال : قلْ وقولك حكم وحكمك ماضٍ. فقال بنو اُميّة : ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين ، إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ، ونحن من لحمتك واُولي رحمك. فقال عمر : اسكتوا عجزاً ولؤماً ، عرضت ذلك عليكم آنفاً فما انتدبتم له. قالوا : لأنّك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي. فقال : إنْ كان أصاب وأخطاتم ، وحزم وعجزتم ، وأبصر وعميتم فما ذنب عمر ؟ لا أباً لكم ، أتدرون ما مثلكم ؟ قالوا: لا. قال : لكن العقيلي يدري ، ثمّ قال : ما تقول ؟ قال : مثلهم كما قال الأوّل :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| دُعيتمْ إلى أمرٍ فلمّا عجزتُمُ  |  | تناولَهُ مَن لا يُداخله عجزُ  |
| فلمّا رايتم ذاك أبدت نفوسكم  |  | نداماً وهل يغني من الحذر الحرزُ  |

فقال عمر : أحسنت وأصبت ، فقل ما سألتك عنه. قال : يا أمير المؤمنين ،

برّ قسمه ، ولم تُطلّق امرأته. قال : وأنّى علمت ذلك ؟ قال : نشدتك الله يا أمير المؤمنين ، ألم تعلم أنّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قال لفاطمة (عليها‌السلام) ، وهو عندها في بيتها عائد لها : (( يا بُنيّة ، ما علّتُك ؟ )). قالت (عليها‌السلام) : (( الوعك يا أبتاه )). - وكان علي (عليه‌السلام) غائباً في بعض حوائج النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) - فقال لها (( أتشتهين شيئاً ؟ )). قالت (عليها‌السلام) : (( نعم ، أشتهي عِنباً، وأنا أعلم أنّه عزيز وليس وقت عنب )). فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( إنّ الله قادر على أنْ يجيئنا به )). ثُمّ قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( اللهمّ ، ائتنا به مع أفضل اُمّتي عندك منزلة )). فطرق علي (عليه‌السلام) الباب ودخل ، ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه ، فقال له النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( ما هذا يا علي ؟ )). قال : (( عنب التمسته لفاطمة )). فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( الله أكبر الله أكبر ! اللهمّ ، كما سررتني بأنْ خصصت عليّاً بدعوتي ، فاجعل فيه شفاءَ بُنيّتي )). ثُمّ قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( كُلي على اسم الله يا بُنيّة )). فأكلت ، وما أنْ خرج رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حتّى استلقت وبرئت.

فقال عمر : صدقت وبررت ، أشهد لقد سمعته ووعيته. يا رجل ، خُذ بيد امرأتك ؛ فإنْ عرض لك أبوها فاهشم أنفه. ثمّ قال : يا بني عبد مناف ، والله ، ما نجهل ما يعلم غيرنا ، ولا بنا عمىً في ديننا ، ولكن كما قال الأوّل :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تصيَّدتْ الدُّنيا رجالاً بفخِّها  |  | فلمْ يُدركوا خيراً بل استحْقَبوا شَرّا  |
| وأعماهُمُ حبُّ الغِنى وأصمَّهُمْ  |  | فلمْ يُدركوا إلّا الخسارةَ والوزْرا  |

قال : فكأنّما اُلقم بني اُميّة حجراً ، ومضى الرجل بامرأته.

وعمر بن عبد العزيز هو الذي رفع السّب عن مولانا أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، وردّ فدكاً إلى أولاد فاطمة (عليها‌السلام) ، وقد كان بنو اُميّة جعلوا سبّه فرضاً من الفروض الواجبة ، فكان يُسبّ على جميع منابر الإسلام في أقطار الأرض ، في الأعياد والجماعات حتّى رفعه عمر بن عبد العزيز في زمن خلافته. وفي ذلك يقول الشريف الرضي - رضي‌الله‌عنه - :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يابنَ عبدِ العزْيزِ لو بكتْ العيْـ  |  | ـنُ فتىً من اُميّةَ لبكيتكْ  |
| أنتَ نزْهتَنا عن السّبِّ والشّتـ  |  | ـمِ فلو أمكنَ الجزاءُ جزيتُكْ  |

وبنو اُميّة قد دخلوا في الإسلام كرهاً ، وبقيت في نفوسهم أحقاد بدر ويوم الفتح ، بما قتله منهم بنو هاشم حين كان جدّهم أبو سفيان يحارب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بكلِّ جهد ويكيد الإسلام ما استطاع ، فلمّا كان يوم الفتح ، أظهر الإسلام ليحقن دمه ، وأسرّ النّفاق ، وبقيت أحقاد بدر في نفسه ، ونفوس أبنائه وذرّيّته حتّى أظهرها يزيد يوم جيء إليه باُسارى أهل بيت النّبوّة ، ومعهم رأس الحسين (عليه‌السلام) ورؤوس أصحابه ، وكان يزيد في منظرة على جيرون ، فأنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لـمّا بَدتْ تلكَ الحمولُ وأشرقَتْ  |  | تلكَ الشّموسُ على رُبى جيرونِ  |
| نَعبَ الغُرابُ فقلتُ صحْ أو لا تَصحْ  |  | فلقدْ قضيْتُ من الغريمِ دُيوني  |

وغريمه هو رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فقضى ديونه منه بقتل أولاده وذرّيّته وسبي نسائه ، وأخذ بذلك ثأره في يوم بدر ، ولـمّا اُدخلت عليه الرؤوس والأسرى ، ووُضع رأس الحسين (عليه‌السلام) بين يديه ، جعل يقول مظهراً للفرح والشماتة ، ومجاهراً بالكفر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهدوا  |  | جَزعَ الخزْرجِ منْ وقْعِ الأسلْ  |
| لأهلّوا واسْتهلّوا فرحاً  |  | ثمّ قالوا يا يزيدُ لا تشلْ  |
| قدْ قتلْنا القَرمَ منْ ساداتِهمْ  |  | وعَدلْناهُ ببدْرٍ فاعتَدَلْ  |
| لعبتْ هاشمُ بالـمُلكِ فلا  |  | خبرٌ جاء ولا وحيٌ نَزلْ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألَا يابنَ هندٍ لا سقَى اللهُ تُربةً  |  | ثويتَ بمثْواها ولا اخضرَّ عُودُها  |
| أتسلبُ أثوابَ الخلافةِ هاشماً  |  | وتطرِدُها عنها وأنتَ طريدُها  |

المجلس الثاني بعد المئتين (1)

قال الله تعالى في سورة الأحزاب : ( يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً \* إِذْ جَآءُوكُمْ من فَوْقِكُمْ وَمن أَسْفَلَ منكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنّونَ بِاللّهِ الظّنُونَا \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمنونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً \* وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مّرَضٌ مّا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلّا غُرُوراً )(2) إلى قوله تعالى : ( وَلَمّا رَأَى الْمُؤْمنونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هذَا مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً \* من الْمُؤْمنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمنهُم مّن قَضَى‏ نَحْبَهُ وَمنهُم مّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدّلُوا تَبْدِيلاً \* لّيَجْزِيَ اللّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنّ اللّهِ كَانَ غَفُوراً رّحِيماً \* وَرَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللّهُ الْمُؤْمنينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً )(3).

نزلت هذه الآية في وقعة الأحزاب ، وتُسمّى : وقعة الخندق ، وكانت سنة خمس من الهجرة ، وسببها أنّه كان بنواحي المدينة ثلاثة بطون من اليهود ، وأصلهم من يهود فلسطين

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تقدّمت وقعة الأحزاب في الجزء الثاني ، وأعدناها لزيادات لمْ تُذكر هناك.

(2) سورة الأحزاب / 9 - 12.

(3) سورة الأحزاب / 22 - 25.

الذين جاؤوا إلى الحجاز ، وهم : بنو قينقاع وبنو النّضير وبنو قُريظة ، وكان بينهم وبين النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) معاهدة ومهادنة ، فنقصوا العهد جميعهم ، وأوّل مَن نقضه بنو قينقاع فنفاهم إلى أذرعات ، ثُمّ نقضه بنو النّضير ، أرادوا أنْ يلقوا صخرة على النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من فوق سطح ، فأخبره جبرائيل بذلك فقام ، ثمّ قال لهم : (( اخرجوا من بلادي ولا تُساكنوني )). فامتنعوا فحاصرهم.

وجاء رجل من شجعانهم ليلاً ليغتال النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ومعه تسعة أنفس ، فقتله علي (عليه‌السلام) وهربت التسعة ، فأخذ علي (عليه‌السلام) معه جماعة ولحقوهم فقتلوهم ، فعند ذلك استولى الخوف على بني النّضير ، فطلبوا من النّبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنْ يسمح لهم بالخروج ، فسمح لهم على أنْ يأخذوا من أموالهم ما أمكنهم حمله عدا السّلاح ، وخرجوا إلى خيبر.

وبعد وقعة اُحد جاء جماعة من رؤساء بني النّضير ، منهم حُيَي بن أخطب إلى مكّة ، فهيّجوا قريشاً على محاربة النّبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فقال لهم أبو سفيان : مرحباً وأهلاً ، أحبّ النّاس إلينا مَن أعاننا على عداوة محمّد. وأرسلوا إلى قبائل من العرب فوافقتهم على ذلك ، وأرسل أبو سفيان حُيَي بن أخطب رئيس بني النّضير إلى كعب بن أسد رئيس بني قُريظة لينقض العهد ، فأبى وقال : ما رأيت من محمّد إلّا صدقاً ووفاءً. فراوده حُيَي كثيراً حتّى قَبِل ومزّق العهد ، وبلغ ذلك النّبيَّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله).

فجاء نعيم بن مسعود ، وهو من غَطْفان ، إلى النّبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فقال : إنّي أسلمت ولمْ يعلم بيّ قومي ، فمرني بما تريد ؟ فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( خذّل عنّا ؛ فإنّ الحرب خُدعة )). فجاء إلى بني قُريظة ، وكانوا ندماءه في الجاهليّة ، فقال : قد عرفتم حُبّي لكم ؟ قالوا : لست عندنا بمتّهم. قال: قد ضاهرتم قريشاً على حرب محمّد ولستم مثلهم ، أنتم أهل هذه البلاد وهم غرباء ، فإنْ غلبهم محمّد ذهبوا إلى بلادهم وتركوكم ، فلا تحاربوا معهم حتّى يُعطوكم رهينة. وجاء إلى قريش ، وقال : بلغني أنّ قُريظة ندموا وبعثوا إلى محمّد : هل يُرضيك أنْ نأخذ

رجالاً من قريش وندفعهم إليك فتقتلهم ؟ فإنْ طلبت قُريظة رهناً ، فلا تُعطوهم.

فلمّا طلبت قُريظة منهم الرهن ، قالوا : صدق نعيم ، ولمْ يعطوهم. فقالت قُريظة : الذي قال نعيم حقّ. فلمْ تحارب معهم ، واجتمعت قريش ومَن تحزّب معها من قبائل العرب واليهود فكانوا عشرة آلاف ، وقصدوا المدينة ، كما قال الله تعالى : ( جَآءُوكُمْ من فَوْقِكُمْ وَمن أَسْفَلَ منكُمْ)(1). فبلغ خبرهم النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فأخبر النّاس وندبهم وشاورهم ، فأشار سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة ، فأعجب ذلك المسلمين ، وقسّمه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بين كلّ عشرة أربعين ذراعاً ، فأحتق(2) المهاجرون والأنصار في سلمان كلّ يقول منّا ، فقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( سلمان منّا أهل البيت )). وجعلوا يحفرون الخندق مستعجلين حتّى أتمّوه في ستة أيام أو أكثر.

وجاء الأحزاب ونزلوا بجانب الخندق ، وخرج النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) في ثلاثة آلاف ، فضرب معسكره إلى سفح سلع - وهو جبل فوق المدينة - وجعل سلعاً خلف ظهره والخندق بينه وبين القوم ، ولمْ يكن الخندق محيطاً بالمدينة من جميع جوانبها ، بل كان الجانب الذي من ناحية سلع مشبكاً بالبنيان لا يستطيع العدو أنْ يأتي منه ، وإنّما حُفر الخندق من الجانب الذي هو غير محصّن.

وعظم البلاء ، واشتدّ الخوف وساءت الظنون ، وهو قوله تعالى : ( وَ إِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنّونَ بِاللّهِ الظّنُونَا )(3). ونجم النّفاق حتّى قال بعض المنافقين : كان محمّد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أنْ يذهب إلى الغائط ، وهو قوله تعالى : ( وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مّرَضٌ مّا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلّا غُرُوراً)(4)... ( وَلَمّا رَأَى الْمُؤْمنونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هذَا مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ )(5).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 10.

(2) أي : اختصموا.

(3) سورة الأحزاب / 10.

(4) سورة الأحزاب / 12.

(5) سورة الأحزاب / 22.

وأيقنوا بالنّصر : ( و ما زادهم ) ما رأوا من البلاء ( إلّا إيمانا ) بالله ( وتسليماً ) لقضائه. ( من الْمُؤْمنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ )(1). بأنّهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ثبتوا وقاتلوا حتّى يُقتلوا أو ينتصروا : ( فَمنهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ). عن ابن عبّاس : هو حمزة ومَن قُتل معه : ( وَمنهُم مّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدّلُوا تَبْدِيلاً ). عن علي (عليه‌السلام) : (( فينا نزلت ، وأنا والله ، المنتظر وما بدّلت تبديلاً )).

ولـمّا اشتدّ البلاء ، ورآى النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ضعف قلوب الأكثرين ، بعث إلى عيينة بن حصن ، وإلى الحارث بن عوف - وهما قائدا غَطْفان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أنْ يرجعا بمَن معهما ، وبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فأخبرهما ، فقالا : يا رسول الله ، شيء أمرك الله به لا بدّ لنا منه ، أمْ شيء تصنعه لنا ؟ فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( بل شيء أصنعه لكم )). فقال سعد بن معاذ : قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الِشرك وعبادة الأوثان ، وهم لا يطمعون أنْ يأكلوا منّا ثمرة إلّا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وأعزّنا بك وبه نُعطيهم أموالنا ؟ والله ، لا نعطيهم إلّا السّيف حتّى يحكم الله بيننا وبينهم.

وأقام المسلمون بضعاً وعشرين ليلة ، وعدوّهم محاصرهم ليس بينهم قتال إلّا الترامي بالنّبل والحجارة ، وجاءت فوارس من قريش ، منهم : عمرو بن عبد ودّ ، وعكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبد الله ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميّان ، وضرار بن الخطاب الفهري ، فأقبلوا تعنق بهم خيلهم حتّى وقفوا على الخندق ، فصاروا إلى مكان ضيّق منه ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم بين الخندق وسلع.

قال الطبري وابن هشام وغيرهما : وخرج علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) في نفر معهم من المسلمين حتّى أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا خيلهم منها ؛ وذلك أنّهم لـمّا عبروا الخندق ، بادر علي (عليه‌السلام) فرابط عند الثغرة التي أقحموا خيلهم منها ليمنع مَن يريد عبور الخندق من ذلك المكان ؛ فإنّه لم يكن في الحسبان أنّ المشركين

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 23.

يعبرون الخندق ، فلمّا رأوهم عبروه على حين غفلة ، بادر علي (عليه‌السلام) بمَن معه ليمنعوا غيرهم ، وليقاتلوهم إذا أرادوا الرجوع.

وهذه منقبة انفرد بها علي (عليه‌السلام) في هذه الغزاة بمبادرته لحماية الثغرة دون غيره ، حين بدا لهم هذا الأمر الذي لم يكن في الحسبان ، وعلموا أنّ هؤلاء الذين اقتحموا الخندق بخيولهم ، وأقدموا على ما كان يخال أنّه ليس بممكن ، هم من أشجع الشجعان.

قال ابن هشام والطبري : وقد كان عمرو بن عبد ودّ قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة ، فلمْ يشهد اُحداً ، فلمّا كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه.

قال صاحب السّيرة الحلبيّة : فقال عمرو : مَن يبارز ؟ فقام علي ، وقال : (( أنا له يا نبيّ الله ))(1). فقال النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( اجلس إنّه عمرو )). ثمّ كرر النّداء وجعل يوبّخ المسلمين ، ويقول : أين جنّتكم التي تزعمون أنّ مَن قُتل منكم دخلها ؟ أفلا يبرز إليّ رجل ؟ وقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولقدْ بححتُ منَ الندا  |  | ءِ بجمعِكُمْ هل منْ مُبارزْ  |
| إنّي كذلكَ لمْ أزَلْ  |  | مُتسرِّعاً نحو الهزاهزْ  |
| إنّ الشجاعةَ في الفتَى  |  | والجودَ منْ خيرِ الغرائزْ  |

فقام علي (عليه‌السلام) ، وهو مقنع في الحديد ، فقال : (( أنا له يا رسول الله )). فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( اجلس إنّه عمرو )). ثمّ نادى الثالثة ، فقام علي (عليه‌السلام) ، فقال : (( أنا له يا رسول الله )). فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( إنّه عمرو )). فقال (عليه‌السلام) : (( وإنْ كان عمراً )). فأذنَ له وأعطاه سيفه ذو الفقار ، وألبسه درعه وعمّمه بعمامته ، وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( اللهمّ ، أعنه عليه )). فبرز إليه علي ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا تعجلنَّ فقدْ أتا  |  | كَ مُجيبُ صوتِكَ غيرُ عاجزْ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الظاهر أنّ عليّاً (عليه‌السلام) لـمّا سمع عمراً يطلب المبارزة ترك مكانه من الثغرة التي كان يحرسها ، وأبقى بها بعض أصحابه ، وجاء إلى النبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فقام بين يديه ، وقال (عليه‌السلام) : (( أنا له يا نبيّ الله )) ؛ فإنّه لم يكن ليبارزه بغير إذنه. - المؤلّف -

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ذو نيةٍ وبصيرةٍ  |  | والصدقُ مَنجى كلِّ فائزْ  |
| إني لأرجُو أنْ اُقيـ  |  | ـمَ عليكَ نائحةَ الجنائِزْ  |
| منْ ضربةٍ نجلاءَ يبـ  |  | ـقَى صيتُها بعد الهزاهزْ  |

فقال له عمرو : مَن أنت ؟ قال (عليه‌السلام) : (( أنا علي )). قال : ابن مَن ؟ قال (عليه‌السلام) : (( ابن عبد مناف ، أنا علي بن أبي طالب )). فقال : غيرك يابن أخي من أعمامك مَن هو أشدّ منك فانصرف ؛ فإنّي أكره أنْ أهريقَ دمك ؛ فإنّ أباك كان لي صديقاً وكنتُ له نديماً(1). فقال علي (عليه‌السلام) : (( لكنّي والله ، ما أكره أنْ أهريق دمك )). وقال له علي (عليه‌السلام) : (( إنّك كنت تقول : لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلّا قبلتها )). قال : أجل. فدعاه إلى الإسلام ، فقال : أخّر عنّي هذه. قال (عليه‌السلام) : (( واُخرى ترجع إلى بلادك ، فإنْ يكُ محمّد صادقاً كنت أسعد النّاس به ، وإنْ يكُ كاذباً كان الذي تريد )). قال : هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً ، كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت ؟ - فإنّه نذرَ لـمّا أفلت هارباً يوم بدر وقد جُرح ، أنْ لا يمسّ رأسه دهناً حتّى يقتل محمّداً - قال : فالثالثة ؟ قال (عليه‌السلام) : (( البراز )). قال : هذه خصلة ما كنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يخوّفني بها ، ولِمَ يابن أخي ؟ فوالله ، ما اُحبّ أنْ أقتلك. فقال علي (عليه‌السلام) : (( ولكنّي والله ، اُحبّ أنْ أقتلك )). وقال له علي : (( كيف اُقاتلك وأنت فارس ؟ )). فاقتحم عن فرسه وضرب وجهه ، وسلّ سيفه كأنّه شعلة نار ، وأقبل على علي فتنازلا وتجاولا ، فاستقبله عليٌّ (عليه‌السلام) بدرقته ، فضربه عمرو فيها فقدّها ، وأثبت فيها السّيف وأصاب رأسه فشجّه ، فضربه علي (عليه‌السلام) على حبل عاتقه فسقط ، وكان جابر بن عبد الله الأنصاري قد تبع عليّاً لينظر ما يكون منه ومن عمرو.

قال : فثارث غبرة فما رأيتهما ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) وإنما قال هذا خوفاً منه ؛ فإنّه كان قد عرف قتلاه ببدر واُحد ، وعلم أنّه إنْ ناهضه قتله علي (عليه‌السلام) ، فاستحيا أنْ يُظهر الفشل فأظهر الإبقاء والإرغاء ، وإنّه لكاذب كما حكاه ابن أبي الحديد عن شيخه أبي الخير. - المؤلّف -

فسمعت التكبير تحتها فعلمت أنّ عليّاً قد قتله ، وكان مع عمرو ابنه حسل فقتله علي (عليه‌السلام).

ولـمّا قُتل عمرو ، فرّ الأربعة الذين كانوا معه حتّى اقتحمت خيلهم الخندق ، وتوطرت بنوفل فرسه ، فنزل إليه علي فقتله ، ضربه بالسّيف فقطعه نصفّين ، ولحق هبيرة فأعجزه ، وضرب قربوس سرجه فسقطت درع له كان قد احتقبها ، وفرّ عكرمة وضرار ، وانهزم المشركون بقتل عمرو ونوفل ، وذلك قوله تعالى : ( وَرَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللّهُ الْمُؤْمنينَ الْقِتَالَ )(1). كفاهم ذلك بعلي (عليه‌السلام).

وعن ابن مسعود ، أنّه كان يقرأ : وكفى الله المؤمنين القتال بعلي.

قال جابر : فما شبّهت قتل علي عمراً إلّا بما قصّ الله من قصّة قتل داود جالوت ، حيث يقول الله جلّ شأنه : ( فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ )(2). وأقبل علي (عليه‌السلام) برأس عمرو - ووجهه يتهلل - فألقاه بين يدي النّبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فقال له عمر : هلاّ سلبته يا علي درعه؛ فإنّه ليس في العرب درع مثلها ؟ فقال (عليه‌السلام) : (( إنّي استحييت أنْ أكشف سوأة ابن عمّي )). ورجع علي إلى مقامه الأوّل يحمي الثغرة التي عبر منها عمرو وأصحابه ، وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نصرَ الحجارةَ منْ سفاهةِ رأيهِ  |  | ونصرتُ دينَ محمّدٍ بصوابي  |
| فضربتُهُ فتركتُهُ مُتجدّلاً  |  | كالجذعِ بينَ دكادِكٍ ورَوابي  |
| وعففتُ عنْ أثوابِهِ ولو انّنيْ  |  | كُنتُ الـمُجدَّلَ بزَّني أثوابي  |
| لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ دينَهُ  |  | ونبيَّهُ يا معشرَ الأحزابِ  |

وروى المفيد في الإرشاد ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة بالإسناد عن ربيعة السّعدي ، قال : أتيت حذيفة بن اليمان ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، إنّا لنتحدث عن علي ومناقبه ، فيقول لنا أهل البصرة : إنّكم لتفرّطون في علي ، فهل أنت محدثي بحديث فيه ؟ فقال حذيفة : يا ربيعة ، وما تسألني عن علي ؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة السّجدة / 25.

(2) سورة البقرة / 252.

فوالذي نفسي بيده ، لو وُضع أعمال جميع أصحاب محمّد في كفّة الميزان ، منذ بعث الله محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى يوم النّاس هذا ، ووُضع عمل واحد من أعمال علي في الكفّة الاُخرى ، لرجح عمل علي على جميع أعمالهم. فقال ربيعة : هذا الذي لا يُقام له ولا يقعد ولا يُحمل. فقال حذيفة : يا لُكَع ! وكيف لا يُحمل ؟! - وأين كان حذيفة وجميع أصحاب محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يوم عمرو بن عبد ودّ ، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم النّاس كلّهم ما خلا عليّاً ، فإنّه برز إليه وقتله الله على يده ؟ - والذي نفس حذيفة بيده ، لَعمله ذلك أعظم أجراً من أعمال اُمّة محمّد إلى يوم القيامة.

وقال ابن أبي الحديد : وإنّ خروجه إلى عمرو يوم الخندق أجلُّ من أنْ يُقال جليلة ، وأعظم من أنْ يُقال عظيمة ، وما هي إلّا كما قال أبو الهذيل ، وقد سأله سائل : أيّما أعظم منزلة عند الله علي أمْ غيره ؟ فقال : يا ابن أخي ، والله ، لَمبارزة علي عمراً يوم الخندق تعِدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعتهم ، وتُربي عليها ، فضلاً عن رجل واحد.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده : أنّ النبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قال : (( لَمبارزةُ علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق ، أفضل من أعمال اُمّتي إلى يوم القيامة )).

وفي رواية عن النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنّه قال : (( قتلُ عليٍّ لعمرو بن عبد ودّ أفضل من عبادة الثقلين )). وقال ابن تيمية - على عادته المعروفة - : كيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الإنس والجن ، ومنهم الأنبياء ؟! بل إنّ عمرو بن عبد ودّ هذا لمْ يُعرف له ذكر إلّا في هذه الغزوة. وردّ عليه صاحب السّيرة الحلبيّة : بأنّ قتل هذا الكافر كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين. وردّ صاحب السّيرة الحلبيّة أيضاً على قوله : أنّه لم يُعرف له ذكر إلّا في هذه الغزوة ، بما روي من أنّه قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحة ولمْ يشهد اُحداً ، فلمّا كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، وأنّه نذر أنْ لا يمسّ رأسه دهناً حتّى يقتل محمّداً.

وروى الحاكم في المستدرك : أنّه

كان ثالث قريش.

أقول : ويردّه أيضاً أنّه كان معروفاً بفارس يليل(1) ، وفي ذلك يقول مسافح الجمحي يرثي عمراً:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عمرو بنُ عبدٍ كانَ أوّلَ فارسٍ  |  | جزعَ(2) المذادَ(3) وكان فارسَ يْليلِ  |

وأقلّ نظرة يلقيها الإنسان على تلك الغزوة ، فيرى عشرة آلاف محاصرين للمدينة ، حانقين أشدّ الحنق على المسلمين ، وهم دون الثلث من عسكر المشركين ، بينهم عدد كبير من المنافقين ، وبنو قُريظة إلى جنبهم يخافون منهم على ذراريهم ونسائهم ، وما أصاب المسلمين من الخوف والهلع الذي اضطر النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنْ يصانع غَطْفان ليرجعوا عن معاونة قريش بثلث ثمار المدينة ، وتعظيم الله ذلك في القرآن بقوله تعالى : ( وَ إِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنّونَ بِاللّهِ الظّنُونَا \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمنونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً )(4). ووقوف عمرو ينادي بالمسلمين ويُقرّعهم ويوبّخهم ، ويطلب منهم المبارزة ولا يُجيبه أحد إلّا علي (عليه‌السلام) وهم ثلاثة آلاف ، فيقتل عمراً وينهزم المشركون بقتله ، ويرتفع البلاء ويأتي الفرج بتلك الضربة.

وأقلّ نظرة يلقيها الإنسان على تلك الحال توصله إلى اليقين بأنّ ضربة علي (عليه‌السلام) يومئذ أفضل من عبادة الجنّ والإنس والملائكة ، وملايين من العوالم أمثالهم لو كانت سواء ، أجاء الحديث بذلك عن رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أم لمْ يجىء. ومتى احتاج النّهار إلى دليل ؟ ولولا تلك الضربة لـمَا عُبد الله ، بل عُبدت الأوثان وانمحى أثر الإيمان.

قال ابن هشام والطبري : وبعث الله على المشركين الريح في ليالٍ شاتية شديدةِ البرد ، فجعلت تكفأ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) اسم مكان كانت له فيه وقعة مشهورة.

(2) جزع : اجتاز.

(3) المذاد : موضع الخندق. - المؤلّف -

(4) سورة الأحزاب / 10 - 11.

قدورهم وتطرح أبنيتهم ، وذلك قوله تعالى : ( يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لّمْ تَرَوْهَا )(1) : وهي الملائكة ، فارتحلت قريش ورجعت غطفان إلى بلادها. ولـمّا كان الصباح ، انصرف رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بالمسلمين عن الخندق راجعاً إلى المدينة.

وقد افتخر جماعة من المشركين في أشعارهم التي رثوا بها عمرو بن عبد ودّ بأنّ قاتله علي بن أبي طالب ؛ منهم مسافح الجمحي ، قال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فاذهَبْ عليٌّ فما ظفرتَ بمثلِهِ  |  | فخراً فلا لاقيتَ مثلَ الـمُعضلِ  |

وقال هبيرة بن أبي وهب ، وكان مع عمرو وهرب :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فلا تبعدَنْ يا عمرو حيّاً وهالكاً  |  | فقدْ بنتَ محمودَ الثَّنا ماجدَ الأصلِ  |
| فمَنْ لِطرادِ الخيلِ تُقدَعُ بالقنا  |  | وللفخرِ يوماً عند قرْقرةِ البُزْلِ  |
| فعنك عليٌّ لا أرى مثلَ موقفٍ  |  | وقفتَ على نَجْدِ المقدَّمِ كالفحلِ  |
| فما ظفرتْ كفاك فخراً بمثلِهِ  |  | أمِنْتَ بهِ ما عشتَ منْ زلّةِ النَّعلِ  |

ومنهم اُخته عمرة الـمُكنّاة : اُمّ كلثوم ، فإنّه لـمّا نُعي إليها ، قالت : مَن ذا الذي اجترأ عليه ؟ قالوا : ابن أبي طالب. فقالت : لمْ يعدُ موتُه أنْ كان على يد كفو كريم ، لا رقأت دمعتي إنْ هرقتها عليه ؛ قتل الأقران وكانت منيته على يد كفو كريم من قومه ، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر ، ثمّ أنشأت تقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لو كانَ قاتلُ عمرٍو غيرَ قاتلِهِ  |  | لكنتُ أبكي عليهِ آخرَ الأبدِ  |
| لكنّ قاتلَهُ مَنْ لا يُعابُ بهِ  |  | قدْ كان يُدعَى أبوهُ بيضةَ البلدِ  |
| منْ هاشمٍ في ذُراهَا وهي صاعدةٌ  |  | إلى السّماءِ تُميتُ النّاسَ بالحسدِ  |
| قومٌ أبى اللهُ إلّا أنْ يكون لهمْ  |  | كرامةُ الدِّينِ والدُّنيا بلا لددِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 9.

وقالت أيضاً في قتل أخيها وذكر علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أسدانِ في ضيْقِ المجالِ تصاوَلا  |  | وكلاهُما كفوٌ كريمٌ باسلُ  |
| فاذهبْ عليٌّ فما ظفرتَ بمثلِهِ  |  | قولٌ سديدٌ ليس فيه تحاملُ  |

وهكذا كانت العرب تفتخر إذا كان قتلها بيد الأشراف ، وتأنف أنْ يكون قتلها بيد الأنذال الأرذال. ولـمّا اُقيم حُيي بن أخطب بين يدي علي (عليه‌السلام) ليُقتل ، قال : قتلة شريفة بيد شريف. وكما هوّن على اُمّ كلثوم اُخت عمرو بن عبد ودّ قتل أخيها ، كونه بيد شريف كفو كريم وهو علي بن أبي طالب ، فقد زاد في حزن أخوات الحسين (عليه‌السلام) ؛ زينب واُمّ كلثوم على أخيهما الحسين (عليه‌السلام) أنّ قتله كان على يد أولاد الأدعياء ، وعلى يد شمر بن ذي الجوشن الرذل النّذل.

ولـمّا جاء الجواد إلى المخيم ، وهو خالي السّرج من راكبه ، وضعت اُمّ كلثوم يدها على اُمِّ رأسها ونادت : وا محمّداه ! وا جدّاه ! وا عليّاه ! وا جعفراه ! وا حمزتاه ! وا حسناه ! هذا حسين بالعراء ، صريع بكربلاء ، محزوز الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرداء. ثُمّ غُشي عليها ، وجعلت زينب تنادي بصوت حزين وقلب كئيب : يا محمّداه ! صلّى عليك مليك السّماء ، هذا حُسينك مرمّل بالدماء ، مقطوع الأعضاء ، وبناتك سبايا. يا محمّداه ! هذا حسين بالعراء ، تسفي عليه ريح الصبا ، قتيل أولاد البغايا ، بأبي مَن لا غائب فيرتجى ، ولا جريح فيداوى ! بأبي المهموم حتّى قضى ! بأبي العطشان حتّى مضى ! بأبي مَن شيبته تقطر بالدماء.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أدهى المصائِبِ في القلوبِ فجيعةً  |  | قتْلُ الكِرامِ على يدِ الأنذالِ  |
| تبّاً لدهرٍ مكَّنتْ أحداثُهُ  |  | كفَّ الثعالبِ من أبي الأشبالِ  |

\* \* \*

المجلس الثالث بعد المئتين

من كتاب لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) إلى معاوية جواباً ، وهو من محاسن الكتب : (( أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لدينه ، وتأييده إيّاه بمَن أيّده من أصحابه ، فلقد خبّأ لنا الدهر منك عجباً ، إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ، ونعمته علينا في نبيّنا ، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر ، أو داعي مسدّده إلى النّضال. وزعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان وفلان ، فذكرت أمراً إنْ تمّ اعتزلك كلّه ، وإنْ نقص لَمْ يلحقك ثلمه. وما أنت والفاضل والمفضول ، والسائس والمسوس ؟! وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين ، وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم ؟!

هيهات ! لقد حنّ قدح ليس منها ، وطفق يحكم فيها مَن عليه الحكم لها ، ألا تربع أيّها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك ، وتتأخّر حيث أخرّك القدر ؟ فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر. وإنّك لذّهاب في التيه ، روّاغ عن القصد ، ألَا ترى غير مخبر لك - ولكن بنعمة الله اُحدّث - أنّ قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين - ولكلٍّ فضل - حتّى إذا استشهد شهيدنا ، قيل : سيّد الشهداء ، وخصّه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بسبعين تكبيرةً عند صلاته عليه ؟ - يريد بذلك حمزة -.

أولاَ ترى أنّ قوماً قطعتُ أيديهم وأرجلهم في سبيل الله - ولكلٍّ فضل - حتّى إذا فُعل بواحدنا - يعني : جعفراً - ما فُعل بواحدهم ، قيل : الطيّار في الجنّة وذو الجناحين ؟ ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة ، تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذان السّامعين ، فدع عنك مَن مالت به الرمية ؛ فإنّا صنائع ربّنا والنّاس بعدُ صنائع لنا.

لَمْ

يمنعا قديم عزّنا ، ولا عادي طولنا على قومك أنْ خلطناكم بأنفسنا ، فنكحنا وأنكحنا ، فعل الأكفاء ولستم هناك ، وأنّى يكون ذلك كذلك ومنّا النّبيّ ومنكم الـمُكذّب ، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النّار ، ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب ، في كثير ممّا لنا وعليكم ؟! فإسلامنا قد سُمع ، وجاهليتنا لا تُدفع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا ، وهو قوله تعالى : ( واُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ)(1). وقوله تعالى : ( إِنّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلّذِينَ اتّبَعُوهُ وَهذَا النّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا وَاللّهُ وَلِيّ الْمُؤْمنينَ )(2). فنحن تارة أولى بالقرابة ، وتارة أولى بالطاعة.

ولـمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فلجوا عليهم ، فإنْ يكن الفلجُ به فالحقّ لنا دونكم ، وإنْ يكن بغيره فالأنصار على دعواهم. وزعمت أنّي لكل الخلفاء حسدتُ ، وعلى كلّهم بغيتُ ، فإنْ يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك ، فيكون العذر إليك، وتلك شكاة ظاهر عنك عارُها.

وقلتَ : إنّي كنتُ اُقاد كما يُقاد الجمل المخشوش حتّى اُبايع ، ولَعمر الله ، لقد أردتَ أنْ تذمَّ فمدحت ، وأنْ تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة أنْ يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ، ولا مُرتاباً بيقينه ، وهذه حُجّتي إلى غيرك قصدها ، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها.

وذكرت : أنّه ليس لي ولا لأصحابي إلّا السّيف ، فلقد أضحكت بعد استعبار ! متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين ، وبالسّيف مُخوَّفين ؟ - لبّث قليلاً يلحق الهيجا حَمَلْ - فسيطلبك مَن تطلب ، ويقرب منك ما تستبعد. وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، شديدٌ زحامهم ، ساطعٌ قتامهم ، متسربلين بالموت ، أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم ، قد صحبَتْهم ذرّيّة بدريّة وسيوف هاشميّة ، قد عرفتَ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 6.

(2) سورة آل عمران / 68.

مواقع نصالها في أخيك وخالك ، وجدّك وأهلك ، وما هي من الظالمين ببعيد )).

أخوه حنظلة بن أبي سفيان ، وخاله الوليد بن عتبة قتلهما أمير المؤمنين (عليه‌السلام) يوم بدر ، وجدّه عتبة بن ربيعة الذي قتله حمزة يوم بدر ، وشرك في قتله أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، وما برحت أحقاد بدر في قلوب بني اُميّة حتّى أظهرها يزيد يوم جيء إليه برأس الحسين (عليه‌السلام) ، فلمّا وُضع الرأس الشريف بين يديه ، دعا بقضيب خيزران وجعل ينكت به ثنايا الحسين (عليه‌السلام) ، ثُمّ قال : يوم بيوم بدر. وكان عنده أبو برزة الأسلمي ، فقال : ويحك يا يزيد ! أتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة ؟! أشهد لقد رأيت النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ، ويقول : (( أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة ، فقتل الله قاتلكما ، ولعنه وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً )). فغضب يزيد وأمر بإخراجه ، فاُخرج سحباً.

وفي رواية : أنّه قال : أما إنّك يا يزيد ، تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ، ويجيء هذا ومحمّد شفيعه. ثُمّ قام فولّى.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أتنْكتُها شُلَّتْ يمينُك إنَّها  |  | وجوهٌ لوجهِ اللهِ طالَ سُجُودُها  |

\* \* \*

المجلس الرابع بعد المئتين

من وصيّة لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) للحسن والحسين (عليهما‌السلام) ، لـمّا ضربه ابن ملجم - لعنه الله - :

(( اُوصيكما بتقوى الله ، وأنْ لا تبغيا الدّنيا وإنْ بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا بالحقّ واعملا للأجر ، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً. اُوصيكما وجميع ولدي وأهلي ، ومَن بلغه

كتابي هذا من المؤمنين ، بتقوى الله ونظم أمركم ، وصلاح ذات بينكم ؛ فإنّي سمعت جدّكما (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يقول : صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام. والله الله في الأيتام ! فلا تغبّوا(1) أفواههم ، ولا يضيعوا بحضرتكم )).

بأبي واُمّي يا أمير المؤمنين ! توصي ولديك الحسنين (عليهما‌السلام) بالأيتام ، فليتك لا غبت عن أيتام ولدك الحسين (عليه‌السلام) ليلة العاشر من الـمُحرّم وقد باتوا جياعى عطاشى ، بلا محامٍ ولا كفيل سوى العليل زين العابدين (عليه‌السلام) الذي نهكته العلّة فلا يستطيع النهوض ، وابنتك زينب (عليها‌السلام) التي قامت تجمع العيال والأطفال وتحرسهم تلك الليلة ، وقد أحرق القوم الخيام ونهبوا ما فيها ، ولا شك أنّهم باتوا تلك الليلة على وجه الأرض بلا غطاءٍ ولا وطاءٍ تحت السّماء ، وهم ينظرون إلى القتلى مجزّرة كالأضاحي جثثاً بلا رؤوس.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مُجرَّدينَ على الرَّمضَاءِ قدْ لبسُوا  |  | منَ المهابَةِ أثواباً لها قُشُبَا  |
| مُغسَّلينَ بمحمرِّ النَّجيعِ بنَى  |  | نبلُ العِدى والقنا منْ فوقِهمْ قُبَبا  |

والله الله في جيرانكم ! فإنّهم وصية نبيّكم ، ما زال يوصي بهم حتّى ظننا أنّه سيورّثهم ، والله الله في القرآن ! لا يسبقكم بالعمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ! فإنّها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربّكم ! لا تخلوه ما بقيتم ؛ فإنّه إنْ تُرك لَمْ تناظروا ، والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله ! وعليكم بالتّواصل والتباذل ، وإيّاكم والتدابر والتقاطع. لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فيولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم.

يا بني عبد المطلب ، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً ، تقولون : قُتل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلنّ بي إلّا قاتلي. انظروا : إذا أنا مِتُّ من

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أغبّ القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً ، أي : لا تقطعوا الطعام عن أفواههم. - المؤلّف -

ضربته هذه ، فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يُمثّل بالرجل ؛ فإنّي سمعت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يقول : إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور )).

ألا لعن الله أهل الكوفة ، فإنّه لم يكفهم قتل الحسين (عليه‌السلام) حتّى مثّلوا به وبأهل بيته وأنصاره؛ قطعوا الرؤوس وشالوها على رؤوس الرماح من بلد إلى بلد ، ولمْ يكفهم ذلك حتّى داسوا بخيولهم صدر الحسين (عليه‌السلام) وظهره حتّى هشّمت الخيل أضلاعه ، وطحنت جناجن صدره.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لمْ يشفِ أعداهُ مثلَ القتلِ فابتَدَرتْ  |  | تجري على جسمِهِ الجُردُ المحاضيرَا  |
| يا عقّرَ الله تلكَ الخيلَ إذْ جعلتْ  |  | أعضاءَهُ لعوادِيها مضامِيرَا  |

\* \* \*

المجلس الخامس بعد المئتين

قال أبو جعفر محمّد بن علي الباقر (عليه‌السلام) لجابر : (( أيكفي مَنْ انتحل التشيع أنْ يقول بحبنّا أهل البيت ؟ فوالله ، ما شيعتنا إلّا مَن اتّقى الله. وما كانوا يُعرفون يا جابر ، إلّا بالتواضع والتخشّع وكثرة ذكر الله ، والصوم والصلاة ، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة ، والغارمين والأيتام ، وكفّ الألسن عن النّاس إلّا من خير ، فكانوا اُمناء عشائرهم في الأشياء )). فقال جابر : يابن رسول الله ، لستُ أعرف أحداً بهذه الصفة. فقال (عليه‌السلام) : (( يا جابر ، لا تذهبنّ بك المذاهب ، حسب الرجل أنْ يقول : اُحبّ عليّاً وأتولاّه ، فلو قال : إنّي اُحبّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فرسول الله خير من

علي ، ثمّ لا يعمل عمله ولا يتبع سنته ، ما نفعه حبّه إيّاه شيئاً ، فاتّقوا الله واعملوا لِمَا عند الله. ليس بين الله وبين أحد قرابة. أحبّ العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له وأعملهم بطاعته. والله ، ما يُتقرّب إلى الله تعالى إلاّ بالطاعة. ما معنا براءة من النّار ولا على الله لأحد من حجة. مَن كان لله مُطيعاً فهو لنا ولي ، ومَن كان عاصياً فهو لنا عدو ، ولا تُنال ولايتنا إلّا بالورع والعمل )).

وقال أبو جعفر (عليه‌السلام) : (( إنّما شيعة علي (عليه‌السلام) الشاحبون الناحلون الذابلون ؛ ذابلة شفاهم ، خمص بطونهم ، متغيرة ألوانهم ، مصفرّة وجوههم ، إذا جنّهم الليل اتخذوا الأرض فراشاً، واستقبلوا الأرض بجباههم ؛ كثير سجودهم كثيرة دموعهم ، كثير دعاؤهم كثير بكاؤهم ، يفرح النّاس وهم يحزنون )). وقال أمير المؤمنين (عليه‌السلام) : (( ألا وإنّ لكلِّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ، ألاَ وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعامه بقرصيه ، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد ، وعفّة وسداد ، فوالله ، ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ، ولا حزت من أرضها شبراً )).

وهكذا كانت عادة أهل البيت (عليهم‌السلام) وطريقتهم في الزهد في الدنيا الفانية ، والإيثار على أنفسهم ، وتفقّد الفقراء والمساكين ، وكثرة الصلاة ، وكثرة ذكر الله تعالى في الليل والنّهار ؛ ولذلك لـمّا زحف عمر بن سعد وأصحابه إلى الحسين (عليه‌السلام) عشية اليوم التاسع من الـمُحرّم ، أرسل إليهم أخاه العبّاس وقال له : (( إنْ استطعتَ أنْ تُؤخِّرَهُمْ إلى غدْوَةٍ وتدفَعَهُمْ عنّا العشيّةَ ؛ لَعلَّنا نُصلِّي لربِّنا اللَّيلةَ ونَدعُوهُ ونَستغفِرُهُ ؛ فهو يعلمُ أنِّي كُنتُ اُحبُّ الصّلاةَ له وتلاوةَ كتابِهِ ، وكثرةَ الدُّعاءِ والاسْتغفارِ )).

فسألهم العبّاس ذلك ، فتوقّف ابن سعد ، فقال له عمرو بن الحجّاج : سبحان الله ! والله ، لو أنّهم من التُرك أو الدّيلم وسألونا مثل

ذلك لأجبناهم ، فكيف وهم آل محمّد ! فأجابوهم الى ذلك. فقام الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه الليل كلّه يُصلّون ويستغفرون ، ويدعون ويتضرّعون ، وباتوا ليلة العاشر من الـمُحرّم ولهم دويّ كدويّ النّحل ؛ ما بين قائم وقاعد ، وراكع وساجد.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سمةُ العبيدِ من الخشوعِ عليهمُ  |  | لله إنْ ضمّتْهُمُ الأسحارُ  |
| فإذا ترجّلتِ الضُّحى شَهدتْ لهُمْ  |  | بيضُ القواضبِ أنّهمْ أحرارُ  |

ولمْ يشغلهم ما هم فيه من الشدائد وانتظار القتل عن ذكر ربّهم وعبادته ، والإقبال بقلوبهم عليه. ولـمّا كان يوم عاشوراء ، قال أبو ثمامة الصّيداوي للحسين (عليه‌السلام) : يا أبا عبد الله ، نفسي لنفسك الفداء ، هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله ، لا تُقتل حتّى اُقتل دونك ، واُحبّ أنْ ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصّلاة. فرفع الحسين (عليه‌السلام) رأسه إلى السّماء ، وقال : (( ذكرتَ الصّلاة جعلك الله من المصلّين الذّاكرين ، نعم هذا أوّل وقتها )). ثمّ قال : (( سلوهم أنْ يكفّوا عنّا حتّى نُصلّي )). ففعلوا ، فقال لهم الحُصين بن تميم : إنّها لا تُقبل. فقال له حبيب بن مظاهر : زعمتَ لا تُقبل الصّلاة من آل رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأنصارهم ، وتُقبل منك يا خمّار !

وقال الحسين (عليه‌السلام) لزهير بن القَين وسعيد بن عبد الله الحَنفي : (( تقدّما أمامي حتّى اُصلّي الظهر )). فتقدّما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتّى صلّى بهم صلاة الخوف ، فوصل إلى الحسين (عليه‌السلام) سهم ، فتقدّم سعيد بن عبد الله ووقف يقيه من النّبال بنفسه ما زال ولا تخطّى ، فما زال يُرمى بالنّبل حتّى سقط إلى الأرض ، وهو يقول : اللهمّ ، العنهم لعن عاد وثمود. اللهمّ ، أبلغ نبيّك عنّي السّلام ، وأبلغه ما لقيتُ من ألم الجراح ؛ فإنّي أردتُ ثوابك في نصر ذرّيّة نبيّك.

وفي رواية : أنّه قال : اللهمّ ، لا يعجزك شيء تريده ، فأبلغ محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) نُصرتي ودفعي عن الحسين (عليه‌السلام) ،

وارزقني مرافقته في دار الخلود. ثمّ قضى نحبه رضوان الله عليه ، فوُجِد فيه ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السّيوف وطعن الرّماح.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صالُوا وجالُوا وأدَّوا حقَّ سيِّدِهمْ  |  | في موقفٍ عقَّ فيهِ الوالدَ الولدُ  |
| وشاقهُمْ ثمرُ العُقبَى فأصبَح في  |  | صدورِهمُ شجرُ الخطيِّ يختضدُ  |

\* \* \*

المجلس السّادس بعد المئتين

من كتابٍ لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري ، وكان عامله على البصرة ، وقد بلغه أنّه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها : (( أمّا بعدُ يابن حنيف ، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعتَ إليها ، تُستطاب لك الألوان وتُنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنّك تُجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيّهم مدعو ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجهه فنِلْ منه.

ألا وإنّ لكلِّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ، ألَا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعامه بقرصيه ، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد، وعفّة وسداد ، فوالله ، ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ، ولا حزت من أرضها شبراً. بلى ، كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلَّته السّماء ، فشحَّتْ عليها نفوس قوم ، وسخَتْ عنها نفوس قوم

آخرين ، ونِعمَ الحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك ، والنّفس مظانُّها في غدٍ جَدَثٌ تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها ! وحفرة لو زِيد في فُسحتها ، وأوسعت يدَا حافرها ، لأضغَطها الحجر والمدر ، وسدّ فُرَجها التراب المتراكم ! وإنّما هي نفسي اُروّضُها بالتّقى لتأتيَ آمنةً يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب الـمَزْلَق.

ولو شئتُ لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القزّ ، ولكن هيهات أنْ يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ، ولعلّ بالحجاز أو باليمامة مَن لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع. أوَ أبيتُ مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى؟! أوَ أكون كما قال القائل :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وحسبُكَ عاراً أنْ تبيت ببطنةٍ  |  | وحولكَ أكبادٌ تحنُّ إلى القدِّ ؟!  |

أأقنع من نفسي بأنْ يُقال : أمير المؤمنين ، ولا اُشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون اُسوة لهم في جشوبة العيش ؟! فما خُلقت ليشغلني أكل الطيّبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها ، أو المرسلة شغلها تقمّمها ، تكترش من أعلافها وتلهو عمّا يُراد بها. أو أترك سدىً ، أو أهمل عابثاً ، أو أجرّ حبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المتاهة ؟!

وكأنّي بقائلكم يقول : إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب ، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان. ألا وإنّ الشجرة البرّيّة أصلب عوداً ، والروائع الخضرة أرقّ جلوداً ، والنّباتات البدويّة أقوى وقوداً وأبطأ خموداً ، وأنا من رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) كالصنوِ من الصنوِ ، والذراع من العضُد. والله ، لو تظاهرت العرب على قتالي لـمَا ولّيت عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها )).

فدىً لك نفسي وأهلي ومالي يا أمير المؤمنين ، ويا بطل المسلمين ، ويا قاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين ، ويا مَن انتهت إليه الشجاعة والفروسيّة. واقتفى أثره في ذلك ولده أبو عبد الله الحسين (عليه‌السلام) ، فإنّ هذا الشبل من

ذلك الأسد ، وهذا الثمر من ذلك الشجر.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولا عجبٌ أنْ يُشبهَ الليثُ شبلَهُ  |  | وحقٌّ على ابنِ الصَّقرِ أنْ يُشبهَ الصَّقرا  |

فهو الذي اختار المنيّة على الدنيّة ، ومصارع الكرام على طاعة اللئام ، وموت العزّ على حياة الذل.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لهُ منْ عليٍّ في الحروبِ شجاعةٌ  |  | و منْ أحمدٍ عندَ الخطابةِ قيلُ  |

وقد شهدت له بالصبر أعداؤه - والفضل ما شهدت به الأعداء - ؛ وذلك لـمّا دعا النّاس إلى البراز ، فلمْ يزل يقتل كلّ مَن برز إليه حتّى قتل مقتلةً عظيمةً ، وهو في ذلك يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| القتلُ أولَى منْ رُكوبِ العارِ  |  | والعارُ أولَى منْ دخولِ النّارِ  |

قال بعض الرواة : فوالله ، ما رأيت مكثوراً ( أي : مغلوباً ) قطْ قد قُتل وُلده وأهل بيته وأصحابه ، أربط جأشاً منه ، وإنْ كانت الرجّالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه ، فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب. ولقد كان يحمل فيهم ، وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً ، فينهزمون من بين يدَيه كأنّهم الجراد المنتشر ، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول : (( لا حول ولا قوّة إلّا بالله )).

فلمّا رأى شمر ذلك ، استدعى الفرسان فصاروا في ظهور الرجّالة ، وأمر الرُماة أنْ يرموه فرشقوه بالسِّهام حتّى صار كالقنفذ ، فأحجم عنهم فوقفوا بإزائه ، وجاء شمر في جماعة من أصحابه فحالوا بينه وبين رحله الذي فيه ثقله وعياله ، فصاح (عليه‌السلام) : (( ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان! إنْ لمْ يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه ، وارجعوا إلى أحسابكم إنْ كنتم عُرُباً كما تزعمون )). فناداه شمر : ما تقول يابن فاطمة ؟ قال (عليه‌السلام) : (( أقول : إنّي اُقاتلكم وتقاتلونني ، والنّساء ليس عليهنّ جناح ، فامنعوا عتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً )).

فقال شمر : لك ذلك يابن فاطمة. ثمّ صاح : إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه ، فلَعمري لهو كفؤ كريم. فقصده القوم ، وهو في ذلك يطلب شربة من الماء ، وكلّما حمل بفرسه على الفرات ، حملوا عليه بأجمعهم حتّى أجلوه عنه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قال اقصدُوني بنفسِي واتْركُوا حَرَمي  |  | قدْ حان حَينِي وقدْ لاحتْ لوائحُهُ  |

\* \* \*

المجلس السّابع بعد المئتين

من كلام لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) : (( إليكِ عنّي يا دُنيا ، فحبلك على غاربك ، قد انسللتُ من مخالبك وأفلتُّ من حبائلك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك. أين القرون الذين غررتهم بمداعبك ؟ أين الاُمم الذين فتنتهم بزخارفك ؟ فها هم رهائن القبور ومضامين اللحود. والله ، لو كنتُ شخصاً مرئيّاً وقالباً حسيّاً ، لأقمت عليك حدود الله في عبادٍ غررتهم بالأماني ، واُمم ألقيتهم في المهاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء ، إذ لا ورد ولا صدر.

هيهات ! مَن وطئ دَحْضك زلِق ، ومَن ركب لُجَجك غرِق ، ومَن ازْوَرَّ عن حبائلك وُفِّق ، والسّالم منك لا يُبالي إنْ ضاق به مناخه ، والدّنيا عنده كيوم حان انسلاخه. اعزُبي عنّي ، فو الله، لا أذلّ لك فتستذلّيني ، ولا أسلس لك فتقوديني ، وأيَم الله ، يميناً أستثني فيها بمشيئة الله ، لأروضنّ نفسي رياضةً تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً ، ولأدَعنَّ مُقلتي كعين ماءٍ نضب معينها ، مستفرغة دموعها ، تمتلئ السّائمة من رعيها فتبرك ، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ،

ويأكل علي من زاده فيهجع ! قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السّنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة ، والسّائمة المرعية. طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت في الليل غمضها ، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسّدت كفّها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم ، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم ،( اُولئِكَ حِزْبُ اللّهِ أَلَا إِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )(1) )).

كما فعل أصحاب الحسين (عليه‌السلام) ليلة العاشر من الـمُحرّم ؛ فإنّهم قاموا الليل كلّه يُصلّون ويستغفرون ، ويدعون ويتضرّعون ، وباتوا ليلة العاشر من الـمُحرّم ولهم دويّ كدويّ النّحل ؛ ما بين قائم وقاعد ، وراكع وساجد.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سمةُ العبيدِ من الخشوعِ عليهمُ  |  | لله إنْ ضمّتْهُمُ الأسحارُ  |
| فإذا ترجّلتِ الضُّحى شَهدتْ لهُمْ  |  | بيضُ القواضبِ أنّهمْ أحرارُ  |

فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً ، فلمّا كان وقت السّحر خفق الحسين (عليه‌السلام) برأسه خفقة ، ثمّ استيقظ فقال : (( رأيت كأنّ كلاباً قد قربت لتنهشني ، وفيها كلب أبقع رأيتُه أشدّها عليّ ، وأظنّ أنّ الذي يتولّى قتلي رجل أبرص. ثمّ إنّي رأيت جدّي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ومعه جماعة من أصحابه ، وهو يقول : يا بُني ، أنت شهيد آل محمّد ، وقد استبشر بك أهل السّماوات وأهل الصفيح الأعلى ، فليكنْ إفطارك عندي الليلة ، عجّل ولا تتأخر ، هذا ملك قد نزل من السّماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنْ يقتلُوكَ فلا عنْ فقدِ معْرفةٍ  |  | الشمسُ مَعْروفةٌ بالعينِ والأثرِ  |
| قدْ كُنتَ في مشرقِ الدُّنيا ومغرِبِها  |  | كالحمدِ لمْ تُغنِ عنها سائرُ السُّورِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة المجادلة / 22.

المجلس الثامن بعد المئتين

عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن علي بن الحسين (عليهم‌السلام) ، قال : (( بينما أمير المؤمنين (عليه‌السلام) جالسٌ ذاتَ يوم مع أصحابه يُعبّئهم للحرب ، إذ أتاه شيخ عليه هيئة السّفر فسلّم عليه ، ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّي أتيتك من ناحية الشام وأنا شيخ كبير ، قد سمعت فيك من الفضل ما لا اُحصيه ، فعلّمني ما علّمك الله. قال : نعم يا شيخ ، مَن اعتدل يوماه فهو مغبون ، ومَن كانت الدنيا همّته كثُرت حسرته عند فراقها ، ومَن كان غده شرّاً من يومه فمحروم ، ومَن لمْ يُبالِ ما ذهب من آخرته إذا سلمت دنياه فهو هالك.

يا شيخ ، مَن خاف البيات قَلّ نومُه ، ما أسرع الليالي والأيام في عمر العبد ! فاخزن لسانك وعد كلامك. يا شيخ ، ارضَ للناس ما ترضى لنفسك ، وائت إلى النّاس ما تُحبّ أنْ يُؤتى إليك. ثمّ أقبل على أصحابه ، فقال : أيّها النّاس ، أمَا تَرَون إلى أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتّى ؟ فبين صريع يتلوّى ، وبين عائد ومعود ، وآخر بنفسه يجود ، وطالب للدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وعلى أثر الماضي يصير الباقي.

فقال له زيد بن صوحان العبدي : يا أمير المؤمنين ، أيّ سلطان أغلب وأقوى ؟ قال : الهوى. قال : فأيّ ذُلّ أذل ؟ قال : الحرص على الدنيا. قال : فأيّ فقر أشد ؟ قال : الكفر بعد الإيمان. قال : فأيّ عمل أفضل ؟ قال : التّقوى. قال : فأيّ صاحب أشرّ ؟ قال : الـمُزيّن لك معصية الله. قال : فأيّ الخلق أشقى ؟ قال : مَن باع دينه بدنيا غيره. قال : فأيّ النّاس أحمق ؟ قال : المغتر بالدنيا وهو يرى ما فيها من تقلّب أحوالها. قال : فأيّ النّاس أشدّ حسرة ؟ قال : الذي حُرم

الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين. قال : فأيّ الخلق أعمى ؟ قال : الذي عمل لغير الله يطلب من عمله الثوابَ من عند الله. قال : فأيّ المصائب أشد ؟ قال : المصيبة بالدِّين. قال : فأيّ النّاس خير عند الله ؟ قال : أخوفهم له ، وأعملهم بالتّقوى ، وأزهدهم في الدنيا. قال : فأي الكلام أفضل عند الله ؟ قال : كثرة ذكره ، والتّضرع إليه ، ودعائه.

ثُمّ أقبل (عليه‌السلام) على الشيخ ، فقال : يا شيخ ، إنّ الله عزّ وجل خلق خلقاً ضيّق الدنيا عليهم نظراً لهم ؛ فزهّدهم فيها وفي حطامها ، فرغبوا في دار السّلام ، وصبروا على ضيق المعيشة ، وصبروا على المكروه ، واشتاقوا إلى ما عند الله ، وبذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله ، وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة ، فلقوا الله وهو عنهم راض ٍ)).

كما فعل أنصار الحسين (عليه‌السلام) حين بذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله ، وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة في سبيل الله وبين يدَي ابن بنت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؛ ففدوه بأنفسهم ، ووقوه بمهجهم حتّى قُتلوا عن آخرهم ، فمنهم : سعيد بن عبد الله الحنفي الذي وقف بين يدي الحسين (عليه‌السلام) يقيه من النّبال بنفسه ما زال ولا تخطّى ، فما زال يُرمى بالنّبل حتّى سقط إلى الأرض ، وهو يقول : اللهمّ ، العنهم لعن عاد وثمود. اللهمّ ، أبلغ نبيّك عنّي السّلام ، وأبلغه ما لقيتُ من ألم الجراح ؛ فإنّي أردتُ ثوابك في نصر ذرّيّة نبيّك.

وفي رواية : أنّه قال : اللهمّ ، لا يعجزك شيء تريده ، فأبلغ محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) نُصرتي ودفعي عن الحسين (عليه‌السلام) ، وارزقني مرافقته في دار الخلود. ثمّ قضى نحبه رضوان الله عليه ، فوُجِد فيه ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السّيوف وطعن الرّماح.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نَصرُوا ابنَ بنتِ نَبيِّهمْ طُوبَى لهُمْ  |  | نالُوا بنُصرتِهِ مراتبَ ساميهْ  |
| قدْ جاورُوهُ ها هُنا بقبورِهُمْ  |  | ولهمُ قصورٌ للحسينِ مُحاذيهْ  |

المجلس التاسع بعد المئتين

من خطبة لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) : (( سبحانك خالقاً ومعبوداً ! بُحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً ، وجعلت فيها مأدَبةً ؛ مشرباً ومطعماً ، وأزواجاً وخدماً ، وقصوراً وأنهاراً ، وزروعاً وثماراً. ثمّ أرسلت داعياً يدعو إليها ، فلا الداعي أجابوا ، ولا فيما رغَّبت فيه رَغبوا ، ولا إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا. أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها ، واصطلحوا على حُبِّها ، ومَن عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه ؛ فهو ينظر بعينٍ غير صحيحة ، ويسمع باُذنٍ غير سميعة ؛ قد خرفت الشهوات عقله ، وأماتت الدُّنيا قلبه ، وولهت عليها نفسه ، فهو عبد لها ولا في يده شيء منها ، حيثما زالتْ زال إليها ، وحيثما أقبلت أقبل عليها ، لا يزدجر من الله بزاجر ولا يتَّعظ منه بواعظ ، وهو يرى المأخوذين على الغِرّة حيث لا إقالة ولا رجعة ؛ كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدُّنيا ما كانوا يأمنون ، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يُوعدون.

فغير موصوف ما نزل بهم ، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ، ففترت لها أطرافهم، وتغيّرت لها ألوانهم ، ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجاً ، فحيل بين أحدهم وبين منطقه ، وإنّه لبينَ أهله ينظر ببصره ويسمع باُذنه ، على صحة من عقله وبقاء من لُبّه ، يُفكر فيمَ أفنى عمره وفيمَ أذهب دهره ، ويتذكّر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها ، وأخذها من مصرِّحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعاتُ جمعها ، وأشرف على فراقها ، تبقى لمَن وراءه ينعمون فيها ويتمتّعون بها ؛ فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره ، والمرء قد غلقت رهونه بها ، فهو يعضّ يده ندامةً على ما أصحر له عند الموت من أمره ، ويزهد فيما كان

يرغب فيه أيام عمره ، ويتمنى أنّ الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه ، فلمْ يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط لسانه وسمعه ، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه ، يُردد طرفه بالنّظر في وجوههم ، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ، ثمّ ازداد الموت التياطاً به ، فقُبض بصره كما قُبض سمعه ، وخرجت الروح من جسده ، فصار جيفة بين أهله ، قد اُوحشوا من جانبه وتباعدوا من قُربه ، لا يُسعد باكياً ولا يُجيب داعياً ، ثمّ حملوه إلى محطٍّ في الأرض ، وأسلموه فيه إلى عمله ، وانقطعوا عن زورته ، حتّى إذا بلغ الكاتب أجله والأمر مقاديره ، وألحق آخر الخلق بأوّله ، وجاء من أمر الله ما يُريده من تجديد خلقه ، أماد السّماء وفطرها ، وأرج الأرض وأرجفها ، وقلع جبالها ونسفها ، ودكّ بعضها بعضاً من هيبة جلاله ومخُوفِ سطوته ، وأخرج مَن فيها فجدّدهم [ بعد ] إخلاقهم ، وجمعهم بعد تفرّقهم ، ثمّ ميّزهم لـمِا يُريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال ، وجعلهم فريقين : أنعم على هؤلاء ، وانتقم من هؤلاء ؛ فأمّا أهل طاعته ، فأثابهم بجواره وخلّدهم في داره ، حيث لا يظعن النّزال ولا تتغير لهم الحال ، ولا تنوبهم الأفزاع ولا تنالهم الأسقام ، ولا تعرض لهم الأخطار ولا تشخصهم الأسفار ؛ وأمّا أهل المعصية ، فأنزلهم شرّ دار ، وغلّ الأيدي إلى الأعناق ، وقرن النّواصي بالأقدام ، وألبسهم سرابيل القطران ومقطّعات النّيران ، في عذاب قد اشتدّ حرُّه ، وباب قد اُطبق على أهله في نار لها كَلَب ولجب ، ولهب ساطع وقصيف هائل ، لا يظعن مُقيمها ولا يُفادى أسيرها ، ولا تفصهم كبولها. لا مدّة للدار فتفنى ، ولا أجل للقوم فيقضى )).

مقام عظيم أبكى زين العابدين (عليه‌السلام) وقال : (( ومالي لا أبكي ولا أدري إلى ما يكون مصيري ؟! وأرى نفسي تُخادعني وأيامي تُخاتلني ، وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت. فمالي

لا أبكي ؟! أبكي لخروج نفسي ، أبكي لظلمة قبري ، أبكي لضيق لحدي ، أبكي لسؤالِ منكر ونكير إيّاي ، أبكي لخروجي من قبري عريان ذليلاً ، حاملاً ثقلي على ظهري ، أنظر مرّةً عن يميني واُخرى عن شمالي ، إذ الخلائق في شأنٍ غير شأني ،( لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه \* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ \* ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ \* وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ \* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ )(1) وذلّةٌ)).

ولمْ يزل زين العابدين (عليه‌السلام) ، وهو ذو الحلم الذي لا يبلغ الوصف إليه ، حزيناً على مصيبة أبيه الحسين (عليه‌السلام) مدّة حياته بعد أبيه ، وهي أربعون سنة ، صائماً نهاره قائماً ليله ، فإذا حضر الإفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه ، فيقول : كُلْ يا مولاي. فيقول (عليه‌السلام) : (( قُتل ابن رسول الله جائعاً ، قُتل ابن رسول الله عطشان )). فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتّى يبلّ طعامه من دموعه ، ثمّ يمزج شرابه بدموعه ، فلمْ يزلْ كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجل.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فيا وقْعةً لمْ تُبلَ إلّا تجدّدتْ  |  | وأحزانُها بين الضِّلوعِ رواسخُ  |

المجلس العاشر بعد المئتين

من كلام لأمير المؤمنين (عليه‌السلام) في صفة الأموات : (( سلكوا في بُطون البرزخ سبيلاً سُلِّطت الأرض عليهم فيه ، فأكلت من لحومِهم وشربتْ من دمائهم ، فأصبحوا في فجَوات قبورِهم جماداً لا يَنْمون ، وضِماراً لا يُوجدُون ؛ لا يُفزعُهم ورودُ الأهوال ولا يحزنهم تنكُّر الأحوال ، ولا يحفلون بالرّواجف ولا يأذنون للقواصف. غُيّباً لا يُنتَظَرون وشهوداً لا يحضرُون ، وإنّما كانوا جميعا فتشتَّتوا واُلاَّفاً فافتَرقوا.

وما عن طول عهدهم ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة عبس / 37 – 41.

ولا بُعد محلِّهم عَميتْ أخبارُهم وصَمَّت ديارُهم ، ولكنّهم سُقوا كأساً بدّلتهم بالنُّطق خَرَساً ، وبالسّمع صَمماً ، وبالحركات سُكوناً. جيرانٌ لا يتأنَّسون وأحبَّاء لا يتزاورون ، بَلِيت بينهم عُرى التّعارف وانقطعت منهم أسباب الإخاء ؛ فكُلّهم وحيدٌ وهم جميع ، وبجانب الهجرِ وهم أخلاّء.

لا يتعارفون لليلٍ صباحاً ولا لنهار مساء ، أيُّ الجديدين(1) ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً ، شاهدوا من أخطار دارهم أفظعَ ممّا خافوا ، ورأوا من آياتها أعظمَ ممّا قدَّروا. ولئن عميت آثارُهم وانقطعت أخبارُهم ، لقد رجعت فيهم أبصارُ العِبر ، وسمعت عنهم آذانُ العقول ، وتكلّموا من غير جهات النُّطق ، فقالوا : كَلَحت الوجوه النّواضر ، وخوت الأجسام النّواعم ، ولبسنا أهدام البِلى ، وتكاءَدَنا ضيق المضجع ، وتوارَثْنا الوحشة ، فانمحت محاسنُ أجسادنا ، وتنكّرت معارف صورنا ، وطالت في مساكن الوحشة إقامتُنا ، ولمْ نجدْ من كربٍ فرجاً ، ولا من ضيقٍ مُتّسعاً.

فلو مثّلتهم بعقلك ، أو كُشف عنهم محجوب الغطاء لك ، وقد ارتسختْ أسماعهم بالهوامِّ فاستكَّتْ ، واكتحلت أبصارُهم بالتّراب فخَسَفَتْ ، وتقطَّعتْ الألسنة في أفواههم بعد ذَلاقتها ، وهمدتْ القلوب في صدورهم بعد يقظتها ، وعاث في كلِّ جارحة منهم جديدُ بلىً سَمَّجَها ، وسهَّل طُرقَ الآفةِ إليها ، لرأيت أشجان قلوبٍ واقذاءَ عيون.

وكم أكلتْ الأرض من عزيزِ جسدٍ ، وأنيق لونٍ كان في الدّنيا غذيَّ ترفٍ وربيب شرف ! يتعلّل بالسّرور في ساعة حُزنه ، ويفزعُ إلى السّلوة إنْ مصيبةٌ نزلتْ به ؛ ضنّاً بغضارة عيشه ، وشَحاحةً بلهوه ولَعبه. فبينا هو يضحك إلى الدُّنيا وتضحك الدُّنيا إليه ، إذ وطئَ الدهر به حَسَكهُ ، ونقضت الأيّام قُواه ، فخالطه بثٌّ لا يعرفه ، ونجيُّ همٍّ ما كان يجدُه ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أيْ : الليل والنّهار.

وتولَّدت فيه فتراتُ عللٍ ، آنَسَ ما كان بصحَّته حتّى فتر مُعلِّله وذَهَل مُمرِّضُه ، وتعايا أهلُه بصفة دائه ، وخَرسوا عن جواب السّائلين عنه. فبينا هو كذلك على جَناحٍ من فراق الدُّنيا وترك الأحبّة، إذ عرض له عارضٌ من غُصصهْ ، فتحيَّرت نوافذ فِطنتهْ ، ويَبِستْ رطوبةُ لسانهْ. فكم من مهمٍّ من جوابه عرفه فعيَّ عن ردّه ! ودعاءٍ مُؤلمٍ لقلبه سَمعه فتصامَّ عنه ! من كبير كان يُعظِّمه ، أو صغيرٍ كان يرْحمُهْ. وإنّ للموت لَغمراتٍ هي أفظع منْ أنْ تستغرق بصفة ، أو تعتدلَ على قلوب أهل الدُّنيا )).

ولذلك سأل زين العابدين (عليه‌السلام) مِن ربِّه الرحمة عند تلك الغمرات ، فقال : (( ارحم في هذه الدنيا غربتي ، وعند الموت كربتي ، وفي القبر وحدتي ، وفي اللّحد وحشتي ، وإذا نُشرت للحساب بين يديك ذلّ موقفي. وارحمني صريعاً على الفراش تُقلّبني أيدي أحبَّتي ، وتفضَّل عليَّ ممدوداً على المغتسل يُغسِّلُني صالحُ جيرتي ، وتحنَّنْ عليَّ محمولاً قد تناول الأقرباء أطرافَ جنازتي ، وجُد عليَّ منقولاً قد نزلتُ بك وحيداً في حُفرتي ، وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي )).

هذا كلام زين العابدين (عليه‌السلام) وخوفه من أهوال الموت وغمراته ، وأهوال ما بعد الموت ، وهو إمام أهل البيت في عصره ، وزين العابدين الذي ضُرب بعبادته المثل ، ولمْ يكنْ يُشبه جدّه أمير المؤمنين (عليه‌السلام) في عبادته غيره ، فكيف بأمثالنا من أهل التقصير ؟!

وهذا الإمام ، الذي هذا كلامه وهذا خوفه من ربّه وهذه عبادته ، قد حُمل أسيراً إلى ابن مرجانة نغل زياد بن سُميّة بالكوفة ، ثمّ حُمل أسيراً إلى ابن هند بالشام والغلُّ في عُنقه. ولـمّا اُدخل على ابن زياد ، قال له : مَن أنت ؟ فقال : (( أنا علي بن الحسين )). فقال : ألَيس قد قتل الله عليَّ بن الحسين ؟ فقال (عليه‌السلام) له : (( قد كان لي أخٌ يُسمّى عليّاً قتله النّاس )). فقال : بل الله قتله. فقال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( الله يتوفَّى الأنفس حين موتها )). فغضب ابن زياد ، وقال : وبك جرأة لجوابي ! وفيك بقيّة للردّ عليّ ! اذهبوا به فاضربوا

عُنقه. فتعلّقت به عمّته زينب , وقالت : يابن زياد ، حسبُك من دمائنا. واعتنقته وقالت : لا والله ، لا اُفارقه ، فإنْ قتلته فاقتلني معه.

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ، ثمّ قال : عجباً للرحم ! والله ، إنّي لأظنُّها ودّت أنْ قتلتُها معه ، دعوه فإنّي أراه لـمَا به - أي : إنّه شديد المرض -.

وفي رواية : أنّ علي بن الحسين (عليه‌السلام) قال لعمّته : (( اسكتي يا عمّة حتّى اُكلّمه )). ثمّ أقبل عليه ، فقال : (( أبالقتل تُهددني يابن زياد ؟! أمَا علمت أنّ القتل لنا عادة ، وكرامتَنا الشهادة ؟ )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نفرٌ حَوتْ جُملَ الثَّنا وتسنَّمتْ  |  | ذُللَ الـمَعَالي والداً ووليدَا  |
| مَنْ تلقَ منهُمْ تلقَ كهلاً أو فتَى  |  | علمَ الهُدى بحرَ النَّدى المورودَا  |

المجلس الحادي عشر بعد المئتين

كان النّاس قبل الإسلام ، منهم مَن يعبد الأصنام كمشركي العرب وغيرهم ، ومنهم مَن يعبد النّار وهم المجوس ، ومنهم مَن يعبد النّجوم والكواكب ، ومنهم مَن يعبد الملائكة ، ومنهم مَن يعبد الآدميين ، ومنهم عبَدَة الأصنام والأوثان ، ومنهم مَن لا يؤمن بالبعث ويرى أنّ الأصنام تنفعه في دنياه ، ويقول : ( إِنْ هِيَ إِلّا حَيَاتُنَا الدّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ )(1). وقال في ذلك شاعرهم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يُخبِّرُنا ابنُ كبشةّ أنْ سنُحْيا  |  | وكيفَ حياةُ أصْدَاءٍ وهامِ  |

والذين كانوا على شرائع الأنبياء كانوا قد غيّروا وبدّلوا ، واتّخذوا رؤساءهم أرباباً من دون الله ؛ حلّلوا لهم حراماً ، وحرّموا عليهم حلالاً

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأنعام / 29.

فاتَّبعوهم. وكانوا يأكلون الرّبا ويشربون الخمر ، ويطوفون بالبيت عراةً رجالاً ونساءً ، وقد فشا فيهم الزنا وارتكاب الفواحش ، ووأدوا البنات فدفنوهنّ أحياء : ( وَإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُم بِالاُنثَى‏ ظَلّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ )(1).

ومُلئت الأرض من مشرقها إلى مغربها بالخرافات والسّخافات ، والبدع والقبائح وعبادة الأوثان، فبعث الله تعالى نبيّه محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) على حين فترة من الرسل إلى النّاس كلّهم ، فقام في وجه العالم كافة ، ودعا إلى الإيمان بإله واحد ، آمراً بعبادته وحده لا شريك له ، مُبطلاً عبادة الأوثان والأصنام ، متمّما لمكارم الأخلاق ، حاثّاً على محاسن الصفات ، آمراً بكل حسن ، ناهياً عن كلّ قبيح. واكتفى من النّاس بأنْ يقولوا : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ، ويُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويصوموا شهر رمضان ، ويحجّوا البيت ، ويلتزموا بأحكام الإسلام.

وكان قول هاتين الكلمتين موجباً أنْ يكون لقائلهما ما للمسلمين وعليه ما عليهم ولو قالهما والسّيف على رأسه ؛ وأنزل عليه قرآناً عربياً مبيناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ أعجز به بلغاء العرب وفصحاءهم ، وتحدّاهم فيه بالمعارضة فلم يستطيعوا معارضته. فحوى من أحكام الدين وأخبار الماضين ، وتهذيب الأخلاق ، والأمر بالعدل والنّهي عن الظُّلم ، وتبيان كلّ شيء. ما يزال يُتلى على كرّ الدهور ومرّ الأيام وهو غضّ طريّ ، يحير ببيانه القول ، ولا تملّه الطباع مهما تكرّرت تلاوته وتقادم عهدُه.

بعث النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق ، وبالإخوّة بين جميع المؤمنين : ( إِنّمَا الْمُؤْمنونَ إِخْوَةٌ )(2). وبالعفو العام عمّن دخل في الإسلام ( الإسلام يجبّ ما قبله ) ، وسنّ شريعةً باهرة وقانوناً عادلاً ، فكان هذا القانون جامعاً لجميع ما يحتاجه النّاس في معاشهم ومعادهم ، فكان عباديّاً اجتماعيّاً سياسيّاً ، أخلاقيّاً اقتصاديّاً ، لا يشذّ عنه شيء ممّا يمكن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النّحل / 58.

(2) سورة الحجرات / 10.

وقوعه في الكون ويحتاج إليه بنو آدم. فما من واقعة تقع ولا حادثة تحدث إلّا ولها في الشريعة الإسلاميّة أصل مُسلّم عند المسلمين ترجع إليه ؛ وهذا ممّا امتازت به الشريعة الإسلاميّة ؛ وذلك لأنها خاتمة الشرائع ، وباقية إلى انقراض عمر الدنيا.

على أنّ العبادات في الدين الإسلامي لا تتمحض لمجرد العبادة ، ففيها منافع بدنية واجتماعيّة، وسياسيّة وأخلاقيّة ؛ فالطهارة تُفيد النّظافة ، وفي الصلاة رياضة روحيّة وبدنيّة ، وفي صلاة الجماعة والحجّ فوائد اجتماعيّة وسياسيّة ظاهرة ، وفي الصوم رياضة النّفس وصحة البدن ، وفي المعاملات حفظ نظام الاجتماع ، وفي أحكام التجارة حفظ الحقوق ، وفي النّكاح بقاء النّسل وقطع مادة الفساد ، وفي الميراث حبس أموال الميّت على أقربائه دون الغرباء ، وفي الوصيّة والوقف عدم حرمان المرء من منفعة ماله بعد وفاته ، وفي القضاء رفع الخصام على قاعدة العدل ، وفي الأخلاقيّات حُسن العشرة والآداب.

وفي السّياسيّات : الجهاد للدفاع عن الوطن ، والسّبق والرّماية لتعلُّم فنون الحرب ، والجنديّة والحدود والدِّيات لحفظ النّفوس والأموال وقمع الجرائم.

وأمرَ هذا الدِّين بتعلّم العلم وحثّ عليه : ( هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنّمَا يَتَذَكّرُ اُولُوا الألبَابِ )(1). ( إِنّمَا يَخْشَى اللّهَ من عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ )(2). (( طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مُسلمٍ ومُسلمة )). (( اطلبوا العلمَ ولو في الصِّين )). وأوجب تعلّم كلَّ علم نافع - دِيني أو صناعي - على الكفاية.

وأمرَ هذا الدين بالنّظر وإعمال العقل ، والأخذ بالدليل والبرهان ، وذمّ التقليد : ( فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى‏ طَعَامِهِ)(3). ( فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ )(4). ( أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السّماوات وَالأَرْضِ )(5). ( قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)(6). ( وَيَتَفَكّرُونَ فِي خَلْقِ السّماوات وَالأَرْضِ)(7). ( أفلمْ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الزُّمر / 9.

(2) سورة فاطر / 29.

(3) سور عبس / 24.

(4) سورة الطارق / 5.

(5) سورة الأعراف / 185.

(6) سورة الأنعام / 11.

(7) سورة آل عمران / 191.

يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا )(1).

وحثّ على السّعي والجدّ والعمل : ( وَأَن لّيْسَ لِلاْنسَانِ إِلّا مَا سَعَى )(2). ( فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا من فَضْلِ اللّهِ )(3). وقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( لأنْ يأخذ أحدكم حبلاً فيحتطب على ظهره ، خيرٌ من أنْ يأتيَ رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه )). وقال النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( إنّ الله يُحبّ العبد يتّخذ المهْنة ليستغني بها عن النّاس )).

وآخى الإسلام بين كافّة أهله ؛ فآخى النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أوّلاً بين المهاجرين ، ثمّ بين المهاجرين والأنصار ؛ لانحصار المسلمين فيهم يومئذ ، وأراد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بناء الإسلام على أساسٍ ثابتٍ وطيدٍ هو تأليف القلوب ، ورفع الشحناء من النَفوس ، والتّناصر والتعاون ؛ لأنّ ذلك هو السّبب الوحيد في نجاح الأعمال ورُقيّ الاُمم.

وأعلن الله تعالى في كتابه العزيز المؤاخاة بين عموم أهل الأسلام ؛ شريفهم ووضيعهم ، رجالهم ونسائهم ، فقال : ( إِنّمَا الْمُؤْمنونَ إِخْوَةٌ )(4). وبهذه الإخوّة ، وعلى أساسها المتين والمحافظة عليها ، قام الإسلام وظهر وانتشر ، وبالتهاون بها ضعف وتقهقر. وأردف قوله هذا بقوله : ( فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ )(5). فجعل الإصلاح من مقتضى تلك الإخوّة وموجبها. وقال النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يُسلمه )).

فانظر بعين عقلك ، كم في هذه الإخوّة من منافع وفوائد ، ومصالح عامّة ؛ سياسيّة واجتماعيّة وأخلاقيّة ! وكم فيها من تأليف للقلوب وحفظ للنظام الاجتماعي ، وحرص على هناء العيش وسعادة البشر ! وهذه هي الإخوّة الصحيحة الشريفة النّافعة التي تفوق كلَّ ما يُسمّى بالإخوّة وتُغني عنه.

والشريعة الإسلاميّة يتساوى فيها جميع الخلق في الحقوق : الملك والرعية ، والشريف والوضيع ، والغني والفقير : (( لا يحلّ مالُ امرئٍ إلّا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الحج / 46.

(2) سورة النّجم / 39.

(3) سورة الجمعة / 10.

(4) ، (5) سورة الحُجرات / 10.

عن طيب نفسه )). (( لا شفاعة في حدٍّ )). (( العدل شاملٌ للكلّ )). ( وَاُمِرْتُ لأِعْدِلَ بَيْنَكُمُ )(1). ( إِنّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَان )(2). ( إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتّقْوَى ‏)(3). ( وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى )(4). ( وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ )(5). ( فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ )(6).

وأوجب الشرع الإسلامي على القاضي أنْ يُسوّي بين الخصمين في الكلام والسّلام ، والمكان والنّظر والإنصات ، وحرّم الرَّشوة وقبول الهديّة ، وأنْ يُلقّن أحد الخصمين ما فيه ضرر على خصمه. وبالغ الدِّين الإسلامي في حفظ الأمن ، والمحافظة على الأموال والدماء وشدّد فيه ، وفرضَ العقوبات الشديدة على مخالفيه : ( إِنّمَا جَزَاءُ الّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتّلُوا أَوْ يُصَلّبُوا أَوْ تُقَطّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم من خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا من الأَرْضِ )(7). وأمر بقطع يد السّارق ، وبقتل القاتل عمداً ، وتغريم الدّية في الخطأ ، و( أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ )(8). ( وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا اُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ )(9).

واعتنى الدِّين الإسلامي بحفظ الصحة عنايةً فائقة ، فجعل النّظافة من الإيمان ، وأمر بقصّ الأظافر والشوارب وتسريح الشعر ، والوضوء عند كلّ صلاة ، وغسل الثياب والبدن والأواني من النّجاسة والقذارة ، ورخّص في ترك كلّ عبادة يُخاف منها الإضرار بالصحة ، وحرّم تناول كلَّ طعام أو شراب يضرّ بالصحة ، وحرّم الزيادة في الأكل على الشبع. وقال النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) (( المعدةُ بيت الداء ، والحميّة رأس الدواء )).

وأمر أنْ لا يجلس الإنسان على الطعام إلّا وهو يشتهيه ، وأنْ يقوم عنه وهو يشتهيه. وقال الله تعالى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الشورى / 15.

(2) سورة النّحل / 90.

(3) سورة المائدة / 8.

(4) سورة الأنعام / 152.

(5) سورة النّساء / 58.

(6) سورة الحجرات / 9.

(7) سورة المائدة / 33.

(8) سورة المائدة / 45.

(9) سورة البقرة / 179.

( وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا )(1). فجمع بذلك أساس علم الطبِّ وحفظ الصحة وأهمّ اُموره.

وأوجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، وأمرَ بالصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد ، وصلة الأرحام وحسن الجوار ، وبرّ الوالدين ، وأنْ يحبّ المرء لأخيه ما يُحبّ لنفسه ، ومعاونة الضعيف وحفظ مال اليتيم ، والرأفة والحنوِّ على السّائل.

ومن أحكام الشرع الإسلامي وأوامره في حفظ الحقوق والأموال : الأمر بكتابة الدَّين والإشهاد عليه ، وأخذ الرهن إنْ لمْ تكن الكتابة ، وسنَّ قانون كاتب العدل الذي اتّبعت فيه جميع دول الأرض قانون الإسلام : ( يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوْا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى‏ اَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ... وَاسْتَشْهِدُوا شَاهِدَيْنِ... وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى‏ أَجَلِهِ \* وَإِن كُنْتُمْ عَلَى‏ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ )(2).

وحرّم الدِّين الإسلام كلَّ ما فيه مفسدة ومضرّة ؛ فحرّم الرِّبا والزِّنا والفواحش ، وشرب الخمر وكلَّ مسكر والقمار ، والغيبة والنّميمة ، والحسد والكذب إلّا في الإصلاح ورفع الضرر ، وكتمان الشهادة والسّرقة ، وقتل النّفس وقطع الطريق ، والغشّ والخيانة ، والفتنة والبغي ، والرشا وخلف العهد ، والإسراف وتضييع المال وأكل المال بالباطل ، ونهى عن التنازع والتنابز بالألقاب ، وبخس المكيال والميزان.

فكم ترى من المفاسد في الرِّبا بذهاب الثروات ! وفي الزِّنا من اختلاط الأنساب وفساد نظام العائلة وتفشِّي الأمراض الـمُهلكة ! وفي شرب الخمر من زوال العقل وصيرورة المرء اُضحوكة ، ووصوله إلى أقصى دركات المهانة والسّفالة ، ومن هلاك

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأعراف / 31.

(2) سورة البقرة / 282 - 283.

النّفوس وتلف الأموال ، والإضرار بالبدن والنّسل حتّى أنّ دولة أميركا حرّمته بعد مضي أكثر من ألف وثلاثمئة سنة من تحريم الإسلام ! وفي القمار من تلف الأموال وهياج الشرّ ! وفي الغيبة والنّميمة من حصول العداوات والفتن ، والإخلال بالمجتمع البشري !

ولمْ يكتفِ الشرع الإسلامي في جملةٍ من الـمُحرّمات بالنّهي والتحريم والعقاب في الآخرة حتّى فرض عليها التأديب والعقوبة في الدنيا ؛ فأوجب الحدَّ على الزاني بالضرب أو الرجم ، وعلى شارب الخمر بالضرب ، وعلى السّارق بقطع اليد ، وعلى مخالف العهد واليمين بغرامة ماليّة ، وفرض العقوبات التأديبيّة غير المحدودة في شتّى المواضع ، وأباح كلَّ لذَّة وزينة وتنعّم في الدُّنيا لا تخلّ بالآداب ، ولا تضرّ بالمجتمع الإنساني.

واعتنى الشرع الإسلامي بالمرأة عنايةً كبيرةً حتّى نزلت في القرآن الكريم سورة أكثرها في الوصاية بالنّساء والعناية باُمورهنّ ؛ فسُمّيت : سورة النّساء. وأوجب على الزوج القيام بكلِّ ما تحتاج إليه الزوجة من إسكانٍ وإخدام ، وكسوةٍ وطعام ، وجعل نفقتها مقدّمةً على نفقة أبويه ، العظيمُ حقُّهما عليه ، وعلى نفقة أولاده ، وأوجب معاشرتها بالمعروف : ( وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ )(1).

وأبطل العادات الجائرة التي سنّتها الجاهليّة في حقّ النّساء ؛ فكان الرجل إذا زوّج أمةً أخذ صداقها دونها ، وكانوا لا يورّثون المرأة. وأكدّ النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الوصاية بالمرأة في مواضع كثيرة.

ولم يضيِّقْ الدِّين الإسلامي على المرأة فيما يجلب ترويح النّفس ، مع مراعاة الحشمة والآداب ، والبعد عمّا يوجب الظنّة والارتياب ، وعدم الاختلاط بالأجانب ومجانبة ما يوقع في الفساد. فالإسلام قد أكرم المرأة كرامةً ليس عليها من مزيد ، وصانها الصيانة التي تليق بكرامتها.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النّساء / 19.

أمّا الذين يدعون إلى السّفور وهتك الحجاب ، واختلاط الرجال بالنّساء ، فهم الذين يُريدون أنْ لا يكون بين بني آدم وحوّاء وبين البهائم فرق ، والذين يُريدون أنْ يتّخذوا لأنفسهم طريقاً سهلةً ، ووسيلةً قريبةً لقضاء شهواتهم والوصول إلى لذّاتهم. فأيّ أحكام عباديّة واجتماعيّة ، وسياسيّة وأخلاقيّة أسمى وأرقى ، وأنفع وأجمع ، وأصلح وأنجع ، وأسهل وأعدل ، وأنزه وأرفه وأقرب إلى تهذيب الأخلاق وسعادة البشر وهناء العيش من هذه الأحكام ؟ أمْ أيّ أحكام تُدانيها في جميع الشرائع والأديان ؟

ولِما في هذا الدِّين من محاسن وموافقة أحكامه للعقول وسهولتها وسماحتها ، ولِما في تعاليمه من السّموِّ والحزم والجدّ ، دخل النّاس فيه أفواجاً ، وقضى أهله على أعظم ممالك الأرض ؛ مملكة الأكاسرة ومملكة الروم ، واخترق شرق الأرض وغربها ودخل جميع أقاليمها وأقطارها ، ودانت به الاُمم على اختلاف عناصرها ولغاتها. وأصبح هذا الرجل الذي فرّ من مكّة مستخفياً ، وأصحابه يُعذّبون ، يدخل مكّة بأصحابه هؤلاء ظاهراً على رغم جبابرة قريش ، فاتحاً لها ، مالكاً رقاب أهلها.

وسمت نفسه إلى مكاتبة ملوك الأرض ؛ كسرى وقيصر ومَن دونهما ، ودعاهم إلى الإسلام ، وظهر دينه على الدِّين كلّه كما وعده ربّه ، وفتح أتباعه ممالك الدُّنيا. ولمْ يقمْ هذا الدِّين بالسّيف والقهر كما يُصوّره أعداؤه ؛ بل كما قال الله تعالى : ( ادْعُ إِلَى‏ سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ )(1). ( لَا إِكْرَاهَ فِي الدّينِ قَد تَبَيّنَ الرّشْدُ من الْغَيّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى‏ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(2).

ولمْ يحارب أهل مكّة والعرب حتّى حاربوه وأرادوا قتله وأخرجوه ، وأقرّ أهل الأديان التي نزلت بها الكتب السّماويّة على أديانهم ، ولمْ يجبرهم على الدخول في الإسلام ، وأجبر الوثنيّين على ذلك.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النّحل / 125.

(2) سورة البقرة / 256.

ولمْ يكن تأخُّرُ أتباع هذا الدين وضعفهم ناشئاً إلاّ عن عدم تمسّكهم بتعاليم دينهم ، ولمْ يكن فتح العدو لبلادهم إلاّ لتهاونهم بما أمر الله تعالى به ، بقوله : ( وَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعْتُم من قُوّةٍ وَمن رِبَاطِ الْخَيْلِ )(1). وعدم فهمهم مغزى قوله تعالى : ( وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنّ اللّهَ قَوِيّ عَزِيزٌ )(2).

ولمْ يطلب النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) على ما أسداه إلينا من هذه النّعم العظيمة ، وكابده من المحن في سبيل تبليغ الرسالة أجراً ، إلّا المودّة في القربى : ( قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى)(3).

عن ابن عبّاس : لـمّا نزلت هذه الآية ، قالوا : يا رسول الله ، مَن هؤلاء الذين أمرنا الله بمودَّتهم ؟ قال : (( عليٌّ وفاطمةٌ وولْدُهما )).

وروى الحاكم في كتاب شواهد التنزيل : قال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( لو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ، ثمّ ألف عام ، ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشّن البالي ، ثمّ لمْ يُدرك محبَّتنا ، أكبّه الله على منخريه في النّار )). ثمّ تلا : ( قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى ).

وروي عن علي (عليه‌السلام) ، قال : (( فينا في آل حم آية ، لا يحفظ مودَّتنا إلاّ كلّ مؤمن )). ثمّ قرأ هذه الآية.

وإلى هذا أشار الكميت بقوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وجدنَا لكُمْ في آلَ حاميمَ آيةً  |  | تأوَّلها منَّا تقيٌّ ومُعربُ  |

وقال المؤلف :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنتمْ وُلاةُ الورَى حقّاً وحُبُّكمُ  |  | فرضٌ أكيدٌ بنصِّ الذّكرِ قدْ وَجَبا  |

وقال أيضاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وقدْ فرضَ الرَّحمنُ حُبَّهمُ على  |  | جميعِ البرايَا في الكتابِ وأوجَبا  |

وحسبك قول الإمام الشافعي محمّد بن إدريس في ذلك :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا أهلَ بيتِ رسولِ اللهِ حُبُّكمُ  |  | فرضٌ منَ اللهِ في القُرآنِ أنزَلَهُ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأنفال /60.

(2) سورة الحديد / 25.

(3) سورة الشورى / 23.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كفاكُمُ من عظيمِ القدرِ أنَّكُمُ  |  | مَنْ لا يُصلِّي عليكُمْ لا صلاةَ لهُ  |

وقال الشيخ مُحي الدِّين بن عربي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رأيتُ ولائي آلَ طه فريضةً  |  | على رغمِ أهلِ البُعدِ يُورثُني القُرْبا  |
| فما طلبَ المبعوثُ أجراً على الهُدى  |  | بتبليغِهِ إلّا الموَدَّةَ في القُربى  |

ولكن هذه الاُمّة لمْ تُجازِ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) على تبليغ الرسالة بالمودّة في قُرباه - كما أمرها الله - ، بل بالبغضة والشنآن ، والمحاربة والعدوان ، والقتل والأسر ، وجرّعتهم الغصص ، وأذاقتهم أنواع البلايا والمحن ؛ فحاربت ابن عمّه عليّاً (عليه‌السلام) وآل أمرها إلى أنْ قتلته وهو يصلّي في محرابه ، وسبّته على منابر الإسلام عشرات الأعوام في الأعياد والجماعات ، وما قامت أعواد تلك المنابر إلّا بسيفه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أعلَى المنابرِ تُعلنونَ بسبِّهِ  |  | وبسيفِهِ نُصبَتْ لكُمْ أعوادُهَا  |

وقتلت ولده الحسن (عليه‌السلام) أحد السّبطين بالسّمِّ ، ومنعت من دفنه عند جدّه ، وقتلت ولده الحسين (عليه‌السلام) ثاني السّبطين بالسّيف ، غريباً ظامياً ، وحيداً فريداً ، بعدما قتلت أنصاره وسبعة عشر رجلاً من أهل بيته ، ليس لهم على وجه الأرض شبيه ، وقدّمت عليه يزيد السّكّير الخميّر ، صاحب القرود والفهود ، والمتجاهر بالكفر والفجور ، حتّى تطرّق العار إلى هذه الاُمّة بولاية يزيد عليها.

وقال أبو العلاء المعري :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أرَى الأيامَ تفعلُ كلَّ نُكرٍ  |  | فما أنا في العجائبِ مُستزيدُ  |
| أليسَ قُريشكُمْ قتَلتْ حُسيناً  |  | وكان علَى خلافتِكُمْ يزيدُ  |

ولمْ تكتفِ بقتله حتّى سبت نساءه وعياله وأطفاله ، وحملتهم على أقتاب الجِمال من بلد إلى بلد ، ودارت برأسه في البلدان.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لهفي لـمَنْ وُدُّهمْ أجرُ الرِّسالةِ لمْ  |  | يرَوا سِوى علَمِ الشَّحناءِ منْشورَا  |

وليكن هذا آخر الجزء الثالث من المجالس السَّنيّة في مناقب ومصائب العترة النّبويّة ، ويليه الجزء الرابع. ولمْ نألُ جهداً في اختياره وانتقائه وترتيبه حسبما وصلت إليه مقدرتنا القاصرة ، حتّى جُمع بين دفَّتيه من مهمّات الأخبار والحروب ، والفوائد والاحتجاجات ما لم يجمعه كتاب. والله المسؤول أنْ ينفع به إخوان الدين ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ويحشرنا في زمرة محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

ووافق الفراغ منه في شهر ربيع الثاني سنة 1343 من الهجرة ، بمدينة دمشق المحميّة ، ووافق الفراغ من إعادة النّظر فيه ثانياً ، والزيادة عليه وتغيير ترتيبه إلى أحسن ، وتهيئته للطبع للمرّة الثانية عصر يوم الاثنين 13 من شهر رمضان المبارك سنة 1362 ه بمنزلي في دمشق الشام - صانها الله عن طوارق الأيام - ، ووافق الفراغ من إعادة النّظر فيه وتهئيته للطبع للمرّة الثالثة ، بقرية الشياح من ضواحي بيروت في أواسط جمادى الأولى سنة 1369 ه. وكتب بيده الفانية مؤلفه الفقير إلى عفو ربّه الغني محسن ابن المرحوم السيّد عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي نزيل دمشق ، تجاوز الله عن سيئاته ، حامداً مُصليّاً مُسلّماً.

\* \* \*

الفهرس

[المجلس الرابع والأربعون بعد المئة 3](#_Toc18255813)

[المجلس الخامس والأربعون بعد المئة 6](#_Toc18255814)

[المجلس السّادس والأربعون بعد المئة 8](#_Toc18255815)

[المجلس السّابع والأربعون بعد المئة 11](#_Toc18255816)

[المجلس الثامن والأربعون بعد المئة 13](#_Toc18255817)

[المجلس التاسع والأربعون بعد المئة 16](#_Toc18255818)

[المجلس الخمسون بعد المئة 20](#_Toc18255819)

[المجلس الحادي والخمسون بعد المئة 23](#_Toc18255820)

[المجلس الثاني والخمسون بعد المئة 25](#_Toc18255821)

[المجلس الثالث والخمسون بعد المئة 27](#_Toc18255822)

[المجلس الرابع والخمسون بعد المئة 29](#_Toc18255823)

[المجلس الخامس والخمسون بعد المئة 31](#_Toc18255824)

[المجلس السّادس والخمسون بعد المئة 33](#_Toc18255825)

[المجلس السّابع والخمسون بعد المئة 35](#_Toc18255826)

[المجلس الثامن والخمسون بعد المئة 39](#_Toc18255827)

[المجلس التاسع والخمسون بعد المئة 41](#_Toc18255828)

[المجلس الستّون بعد المئة 45](#_Toc18255829)

[المجلس الحادي والستّون بعد المئة 48](#_Toc18255830)

[المجلس الثاني والستّون بعد المئة 51](#_Toc18255831)

[المجلس الثالث والستّون بعد المئة 55](#_Toc18255832)

[المجلس الرابع والستّون بعد المئة 57](#_Toc18255833)

[المجلس الخامس والستّون بعد المئة 60](#_Toc18255834)

[المجلس السّادس والستّون بعد المئة 62](#_Toc18255835)

[المجلس السّابع والستّون بعد المئة 64](#_Toc18255836)

[المجلس الثامن والستّون بعد المئة 66](#_Toc18255837)

[المجلس التاسع والستّون بعد المئة 68](#_Toc18255838)

[المجلس السّبعون بعد المئة 71](#_Toc18255839)

[المجلس الحادي والسّبعون بعد المئة 74](#_Toc18255840)

[المجلس الثاني والسّبعون بعد المئة 76](#_Toc18255841)

[المجلس الثالث والسّبعون بعد المئة 79](#_Toc18255842)

[المجلس الرابع والسّبعون بعد المئة 82](#_Toc18255843)

[المجلس الخامس والسّبعون بعد المئة 85](#_Toc18255844)

[المجلس السّادس والسّبعون بعد المائة 87](#_Toc18255845)

[المجلس السّابع والسّبعون بعد المئة 89](#_Toc18255846)

[المجلس الثامن والسّبعون بعد المئة 92](#_Toc18255847)

[المجلس التاسع والسّبعون بعد المئة 94](#_Toc18255848)

[المجلس الثمانون بعد المئة 97](#_Toc18255849)

[المجلس الحادي والثمانون بعد المئة 100](#_Toc18255850)

[المجلس الثاني والثمانون بعد المئة 103](#_Toc18255851)

[المجلس الثالث والثمانون بعد المئة 104](#_Toc18255852)

[المجلس الرابع والثمانون بعد المئة 106](#_Toc18255853)

[المجلس الخامس والثمانون بعد المئة 109](#_Toc18255854)

[المجلس السّادس والثمانون بعد المئة 112](#_Toc18255855)

[المجلس السّابع والثمانون بعد المئة 116](#_Toc18255856)

[المجلس الثامن والثمانون بعد المئة 118](#_Toc18255857)

[المجلس التاسع والثمانون بعد المئة 121](#_Toc18255858)

[المجلس التسعون بعد المئة 123](#_Toc18255859)

[المجلس الحادي والتسعون بعد المئة 124](#_Toc18255860)

[المجلس الثاني والتسعون بعد المئة 130](#_Toc18255861)

[المجلس الثالث والتسعون بعد المئة 134](#_Toc18255862)

[المجلس الرابع والتسعون بعد المئة 136](#_Toc18255863)

[المجلس الخامس والتسعون بعد المئة 138](#_Toc18255864)

[المجلس السّادس والتسعون بعد المئة 140](#_Toc18255865)

[المجلس السّابع والتسعون بعد المئة 142](#_Toc18255866)

[المجلس الثامن والتسعون بعد المئة 144](#_Toc18255867)

[المجلس التاسع والتسعون بعد المئة 148](#_Toc18255868)

[المجلس المئتين 151](#_Toc18255869)

[المجلس الحادي بعد المئتين 154](#_Toc18255870)

[المجلس الثاني بعد المئتين (1) 159](#_Toc18255871)

[المجلس الثالث بعد المئتين 170](#_Toc18255872)

[المجلس الرابع بعد المئتين 172](#_Toc18255873)

[المجلس الخامس بعد المئتين 174](#_Toc18255874)

[المجلس السّادس بعد المئتين 177](#_Toc18255875)

[المجلس السّابع بعد المئتين 180](#_Toc18255876)

[المجلس الثامن بعد المئتين 182](#_Toc18255877)

[المجلس التاسع بعد المئتين 184](#_Toc18255878)

[المجلس العاشر بعد المئتين 186](#_Toc18255879)

[المجلس الحادي عشر بعد المئتين 189](#_Toc18255880)

[الفهرس 200](#_Toc18255881)